جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان
دراسة دلالية

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

إشراف

أ. د. محمد جواد النوري

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس –فلسطين.

2023م

حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان دراسة دلالية

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2023/02/21، وأجيزت.

أ. د. محمد جواد النوري	
المشرف الرئيسي	التوقيع
د.	
الممتحن الخارجي	التوقيع
د.	
الممتحن الداخلي	التوقيع
د.	
الممتحن الداخلي	التوقيع

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان

دراسة دلالية

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

إشراف

أ. د. محمد جواد النوري

بناء على تعليمات منح درجة الدكتوراة الصادرة عن مجلس عمداء جامعة النجاح فقد تم نشر البحث المستل التالي من الاطروحة

إبراهيم، جمال سعد احمد، (2023). حروف الجزم في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان: دراسة دلالية. **المجلة الدولية للاجتهاد القضائي، المركز الديمقراطي العربي**، العدد 09، آذار – مارس 2023.

الإهداء

إلى العاملين في حقل الدعوة والجهاد

إلى علمائي، ومشايخي، وأساتذتي الكرام.

إلى التي مازلت أتنسم عبير دعائها كل صباح، أمي الحنون.

إلى الذي عاش مرحلة الدراسة وجه النهار، وأمسى آخره في الرّمْس دفينا، والدي الحبيب.

إلى التي وقفت، وما زالت معي في رحلة العلم، رعاية وتشجيعاً، زوجتي العزيزة.

إلى أخويّ الكريمين، وأختَيّ الكريمتين.

إلى ابنتيّ خديجة، وإسراء، وأبنائي حذيفة، ومجاهد، وعز الدين، ومحمد، وعمر.

إلى من شرفت بصحبتهم في مرحلة الدراسة هذه، علماء وتلامذة.

الشكر والتقدير

بداية أرفع أكف الضراعة بالحمد والشكر الواجب عليَّ لله سبحانه الذي أتم علينا النعمة، وأجزل لنا العطاء؛ فله سبحانه الحمد ملء السماوات والأرض، وأثني بالشكر الجزيل لمن كانا سبباً لي في الوجود الوالدين الكريمين: الأب الذي كان يبالغ في الدعاء لولده توفيقاً وسداداً، فله من ولده الدعاءُ بالمغفرة والرحمة. وأعطف بالشكر على صاحبة العطف أمي الحنون، سائلا الله تعالى لها الطهر من المرض، ومن السيآت.

والشكر موصول للذي أخذ بيدي فأوصلني إلى الذي وصلت إليه: الأستاذ الدكتور محمد جواد الذي تفضل عليَّ بقبوله الإشراف على هذه الدراسة، والذي كان خير موجّه ومرشد في متابعته تفاصيل الدراسة، فجزاه الله عنا خير الجزاء، كما وأواصل الشكر للدكتور الضيف الذي تجشم مشاق السفر هذا الصباح، إنه الدكتور الفاضل الصادق الدباس، فله كل تقدير وتحية من تلميذه على ما بذل من وقته.

والشكر كذلك لمن كانت له الرعاية في مرحلتي اللقبين العلميين الماجستير والدكتوراة، وَشَرُفتُ بأن كنت تلميذاً بين أيديهم في المحاضرات تعليماً وإرشاداً، وكذلك اليوم أتشرف بمثولي بين أيديهم تلميذاً منتظراً ما يجودان به عليَّ من ملحوظات ترقى بالبحث والباحث، إنهما الدكتوران صاحبا الفضل: محسن الخالدي، وعودة عبد الله، فلهما من تلميذهما كل الشكر والتقدير على ما بذلاه سابقاً ويبذلانه لاحقاً.

ولا أنسَ من الشكر من كان له من الحث على طلب العلم، والصبر على مشاقه مالا أستطيع أن أجازيه إلا بقول: جزاكِ الله كل خير زوجتي الفاضلة، وشكري كذلك للأبناء الأحباب الذين كانوا يدوّنون مسودة الرسالة على الحاسوب، حفظهم الله تعالى جميعاً.

وأختم شكري إلى الذين كانت لهم من وراء حجاب بصمة في هذه الرحلة العلمية المباركة بإذن الله تعالى، الأستاذ فايز أبو سرحان الذي دلني على هذا السبيل، والدكتور الذي رافقني في رحلات الدراسة الجامعية الثلاث: الأولى والثانية والثالثة، رعاية وإرشاداً الذي كان معي أيام البحث عن عنوان أطروحة، حتى كان الرسوُّ بدلالته لي على اختيار عنوان هذه الأطروحة، إنه الدكتور الفاضل تمام الشاعر، والشكر كذلك لمن فتح لي مكتبته واستعرت منها ما يلزم الدراسة، إنه الأستاذ وليد حمدان، فله مني الشكر والتقدير.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان دراسة دلالية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب **جمال سعد أحمد إبراهيم**

التوقيع:

التاريخ: 2023/2/21

فهرس المحتويات

الأبحاث المستلة من الاطروحة..... ج
الإهداء ..... د
الشكر والتقدير ..... هـ
الإقرار ..... و
فهرس المحتويات..... ز
فهرس الملاحق ..... ي
الملخص ..... ك
مقدمة..... 1
الفصل التمهيدي: التعريف بمفردات الدراسة 9
المبحث الأول: مفهوم الحرف في اللسان العربي وأقسامه 9
المطلب الأول: مفهوم الحرف وحدّه 9
المطلب الثاني: أقسام الحروف 12
المبحث الثاني: أقسام حروف المعاني، وأهميتها، وعددها 16
المطلب الأول: أقسام حروف المعاني..... 16
المطلب الثاني: أهمية دراسة حروف المعاني 18
المطلب الثالث: عدد حروف المعاني..... 19
المبحث الثالث: التعريف بسورة البقرة..... 21
المبحث الرابع: الزمخشري وتفسيره..... 25
المطلب الأول: التعريف بالزمخشري 25
المطلب الثاني: التعريف بالكشاف 26
المبحث الخامس: أبو حيان وتفسيره 28
المطلب الأول: التعريف بأبي حيان 28
المطلب الثاني: التعريف بتفسير البحر المحيط..... 29
الفصل الأول: دلالات حروف المعاني المختصة بالأسماء بين الزمخشري وأبي حيان 31
المبحث الأول: الحروف المشبهة بالفعل..... 31
المطلب الأول: حرف (إنّ)..... 32
المطلب الثاني: حرف (أنّ) 35
المطلب الثالث: حرف (لكنّ) 38
المطلب الرابع: حرف كأنّ..... 42

المطلب الخامس: حرف (لعل) 44
المبحث الثاني: حروف الجر 48
المطلب الأول: حرف الجر (مِنْ) 50
المطلب الثاني: حرف الجر (في) 57
المطلب الثالث: حرف الجر (عن) 63
المطلب الرابع: حرف الجر (على) 67
المطلب الخامس: حرف الجر (إلى) 74
المطلب السادس: حرف الباء 78
المطلب السابع: حرف اللام 84
المطلب الثامن: حرف (الكاف) 88
المطلب التاسع: حرف (حتى) 93
المبحث الثالث: حروف النداء والاستثناء والتنبي 99
المطلب الأول: حرف النداء (يا) 99
المطلب الثاني: حرف الاستثناء (إلا) 106
المطلب الثالث: حرف التنبيه (ألا) 113
الفصل الثاني: دلالات حروف المعاني المختصة بالأفعال 118
المبحث الأول: حروف النصب 118
المطلب الأول: حرف (أَنْ) 118
المطلب الثاني: حرف (لن) 126
المبحث الثاني: حروف الجزم 135
المطلب الأول: حرف (لم) 135
المطلب الثاني: لا الناهية 139
المطلب الثالث: لام الأمر 142
المبحث الثالث: حروف الشرط 149
المطلب الأول: حرف (إنْ) 149
المطلب الثاني: حرف (لو) 154
المبحث الرابع: حروف التنفيس والتوقع 161
المطلب الأول: حرفا التنفيس 161
المطلب الثاني: حرف التوقع (قد) 167
الفصل الثالث: دلالات حروف المعاني المشتركة للأسماء والأفعال بين الزمخشري وأبي حيان 174
المبحث الأول: حروف العطف 174

المطلب الأول: حرف الواو 175
المطلب الثاني: حرف الفاء 183
المطلب الثالث: حرف ثم 189
المطلب الرابع: حرف (أو) 198
المطلب الخامس: حرف أم 206
المبحث الثاني: حروف النفي والاستفهام 214
المطلب الأول: حروف النفي 214
المطلب الثاني: حروف الاستفهام 225
الخاتمة 233
قائمة المصادر والمراجع 235
الملاحق 256
Abstract ..... B

فهرس الملاحق

ملحق (أ): غلاف البحث المستل من الأطروحة المنشورة في المجلة الدولية للاجتهاد القضائي..... 256

حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان: دراسة دلالية

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

إشراف

أ. د. محمد جواد النوري

الملخص

جاءت هذه الدراسة، الموسومة (حروف المعاني في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان: دراسة دلالية في التفسير)؛ لتبين الأثر البارز والواضح لدلالات حروف المعاني في توجيه التفسير لآيات السورة عند الإمامين، وكان لهما اهتمام بيّن لهذه الحروف في إظهار المعنى.

وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي. وهدفت الدراسة إلى إيضاح المقصود بحروف المعاني، فهي التي تدل على معنى في غيرها، لا في نفسها، وأبانت دلالة حروف المعاني المختصة بالأسماء (الحروف المشبهة بالفعل، وحروف الجر، وحروف الاستثناء، والنداء، والتنبيه)، ودلالة الحروف المختصة بالأفعال (حروف النصب، والجزم، والشرط، والاستقبال، والتوقع)، وتلك الحروف المشتركة التي تدخل على الأسماء والأفعال (حروف العطف، والنفي، والاستفهام). وكانت دراستها على جزأين: نظرية، حيث التعريف بالحرف، وذكر معانيه، وبيان شيء من أحكامه، ثم تطبيقية على آيات من سورة البقرة.

وخلصت الدراسة إلى تميز الزمخشري في التأسيس لمعان دلالية جديدة لبعض الحروف لم يُسبق إليها، أفاد منها من جاء بعده، كما تميز بالإجمال والعمق في عبارته عن الدلالة للحرف؛ فهو ألخص وأغوص من أبي حيان الذي كان يُفصّل. ولم يكن أبو حيان قد أفلح في أكثر اعتراضاته على الزمخشري في دلالة حروف المعاني، بل كان يعود لقول الزمخشري أحياناً، كما وأظهرت الدراسة تناقض أبي حيان في بعض الدلالات لبعض الحروف. وأوصت الدراسة بمزيد البحث في حروف المعاني عند الزمخشري وأبي حيان، مثل: الدلالات المستحدثة لحروف المعاني عند الزمخشري في كشافه.

الكلمات المفتاحية: حروف المعاني، سورة البقرة، الزمخشري، أبو حيان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، ورفع أهل العلم درجات فقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[المجادلة: 11]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الخلق، وحبيب الحق، أحسنَ بيانَ القرآن، وتركنا على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال، وبعد:

فقد امتن الله تعالى علينا بأن أنزل القرآن العظيم بلغة العرب هداية للخلق، وتزكية للنفس، وإزاحة للران عن القلوب، وقد اختلفت العربية عن غيرها من اللغات البشرية لما لها من خصائص فاقت كل خصائص اللغات الأخرى سواء أكان هذا في المستوى الصوتي أم في المستوى الصرفي، والمستوى النحوي، ومستوى المعاني، والبيان، والبديع، والشعر، والخطابة، وغيرها.

ومن أقسام الكَلِم العربي الحروف التي يسطع معناها بدرْجها في غيرها من الكلام، لا بانفرادها. وكلما كان الكلام أبلغ كان معنى الحروف فيه أوقع في النفس، وأقوى حجة، وأظهر بياناً.

والقرآن العظيم الذي لا تدانيه بلاغة بشر، حارَ فيه الفصحاء، والبلغاء، ووقف كبراؤهم عاجزين عن الإتيان ولو بسورة من مثله؛ لما له من أساليب في الكلام تقديماً وتأخيراً، ذكراً وحذفاً، فصلاً ووصلاً، تقييداً وإطلاقاً، تخصيصاً وتعميماً، تعريفاً وتنكيراً، وغير ذلك من الأساليب، فكانت كل لفظة تعشق مكانها، كما قال ابن عطية: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[1].

[1] ابن عطية، عبد الحق بن عبد الرحمن بن تمام (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1422هـ، ج1–52.

وهكذا كانت حروف المعاني من أوجه البلاغة في القرآن الكريم، وجاءت هذه الدراسة توضح دلالاتها في مواضعها من سورة البقرة في تفسيرين بارزين لعلمين من أعلام البلاغة، وهما: "تفسير الكشاف" للزمخشري، و"البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي.

الدراسات السابقة:

جاءت الدراسات السابقة على نوعين: رسائل جامعية، أو بحوث علمية، وأهمها:

1. موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، للباحث: رمضان يخلف. كلية أصول الدين –جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية –الجزائر.

وما توصل إليه الباحث من رسالة الدكتوراة هذه: هو أن منهج الباحث كان استقرائيا لجزئيات تشترك في معنى كلي –كتتبع آيات العقيدة مثلا– والوصول منها إلى حكم كلي، وكان للباحث، في هذه الدراسة، قراءة نقدية، وسلك المنهج المقارن والتاريخي. وما توصلت إليه من هذه الرسالة أنها تعنى بموضوعات طرقها المفسران في تفسيريهما، دون أن تتحدث عن حروف المعاني بشكل مختص.

2. تعقبات الإمام أبي حيان الأندلسي للإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف. للباحثة: عبير الشيخ، 1433هـ، أم درمان –جامعة أم درمان الإسلامية.

وهي رسالة دكتوراة جاءت في فصول ستة: كان السادس منها بعنوان: تعقبات أبي حيان للإمام الزمخشري في مسائل اللغة، وكان المبحث الثاني من هذا الفصل: قوله في حروف المعاني. وكما هو ملاحظ لم تختص الدراسة في حروف المعاني تحديدا، وتعقبات الإمام أبي حيان الأندلسي للإمام الزمخشري في حروف المعاني لم تكن في سورة محددة.

3. تفسير سورة آل عمران بين الزمخشري وأبي حيان دراسة مقارنة. للباحث: عطية صدقي عطية الأطرش، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة. وهي رسالة دكتوراة.

جاءت الدراسة في تمهيد، وأربعة أبواب، كل باب يحتوي فصولاً، كان الباب الثاني بعنوان قضايا لغوية بين الإمامين، وكان الفصل الأول منه موسوما ب "حروف المعاني والكلمات المفردة بين الإمامين". تناول فيه دلالة حروف المعاني الواردة في سورة آل عمران عند الزمخشري وأبي حيان.

4. حروف المعاني في كتاب البحر المحيط لأبي حيان (جمعاً ودراسة وتقويماً) للباحث: عبد الفتاح محمد حبيب، 2002م، الزقازيق –جامعة الأزهر، عدد الصفحات:624.

وهي رسالة ماجستير، ولم أستطع الوصول إليها. ويمكن أن نفهم من عنوانها أنها رسالة ركزت بعامة على حروف المعاني في تفسير البحر المحيط من حيث الجمع والدراسة والتقويم، ولم تختص بسورة معينة.

وحين العودة إلى سيرة صاحبها الذاتية التي تمكنت من الوصول إليها تبين أنه أستاذ قسم اللغويات –كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر 1997م، ومؤلفاته تشير كذلك إلى تخصصه في اللغة العربية، وليس التفسير، ومنها: النيابة في لغة العرب، والتوسع في الظرف الجار والمجرور، والنحو والتصريف عند الفراء، والنحو العربي بين الصناعة والمعنى.

5. حروف المعاني في كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري "جمعاً ودراسة وتحقيقاً". للباحث: السيد حسن حامد عبد الحميد البهوتي. 2006م، الزقازيق –جامعة الأزهر. وهي رسالة ماجستير، وقد استطعت الوصول إلى مستخلصه فقط، وذُكر فيه نتيجتان: إضافة كثير من الآيات القرآنية إلى شواهد كتب النحو، وكذلك كان للقراءات القرآنية أثر بالغ في تأجيل[1] معنى الحرف.

ويظهر من خلال كتابات صاحب هذه الدراسة أنه متخصص في اللغة، والتي منها: حذف الحرف في النحو والصرف، قضايا الاتفاق والافتراق في الأسماء، القضايا اللغوية والنحوية في سورة البروج.

[1] هكذا وجدتها مكتوبة، ولعلها تأصيل.

6. أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية على سورة البقرة.

للباحث: عبد الرحمن بن عبد الله بن سالم القريشي، 1413هـ، جامعة أم القرى –مكة المكرمة، عدد الصفحات، 764. وهي رسالة ماجستير. ولم أستطع الوصول إليها. وتبدو من العنوان، أنها مختصة بحروف الجر، ولم تختص بتفسير معين.

7. حروف العطف في سورة البقرة (دراسة تطبيقية تحليلية).

للباحثة: رقية بنت أبي طالب، 2006م، الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا.

وهو بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. واختص البحث بعطف النسق في سورة البقرة. وجاء البحث في فصول أربعة. وما توصلت إليه الباحثة نتائج نظرية، وأخرى تطبيقية متعلقة بالعطف.

8. دلالات حروف المعاني الثنائية في سورة البقرة: حرف الجر "مِن" أنموذجاً. للباحثة: زهراء صديق عبد الرحمن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، 2021، عدد الصفحات: 36، مج14، ع23.

وعنيت الدراسة بدلالات المعاني لحرف الجر ثنائي البنية "من" دون غيره من الحروف، عمدت الباحثة إلى تقسيم بحثها إلى تمهيد ومباحث ستة، كل منها يعنى بدلالة واحدة من دلالات "من"، وهي على التوالي: دلالة الابتداء، ودلالة التبعيض، ودلالة التبيين، ودلالة الزيادة أو التوكيد، ودلالة التعليل أو السببية، ثم المبحث السادس بمعنى التفضيل أو المجاوزة.

وكان من نتائجها: دراسة إحصائية لحرف الجر "من" ودلالاته المختلفة حسب السياق الذي ورد فيه، كذلك اختلاف النحاة في دلالات "من" وأثره على الأحكام الشرعية في سورة البقرة. وهذه الدراسة لم تكن مختصة بتفسير معين.

9. دلالة معاني حروف الجر الثنائية "حرف في" في القرآن الكريم: سورة البقرة نموذجاً.

للباحث: عبد الله عبد الرازق أولووتوين، مجلة كيرالا، مج4/ع14، 2015م، عدد الصفحات:16. اعتنى الباحث بإبراز الدراسات النحوية التحليلية التي عنيت بمعاني الحروف في القرآن الكريم، وهدف البحث إلى مراعاة دراسة معاني حرف الجر الثنائي "في" في سورة البقرة، وجاء البحث في مقدمة ومبحث واحد بعنوان: معاني حرف الجر "في" في القرآن الكريم سورة البقرة نموذجاً.

10. حروف المعاني: موازنة بين كتاب الكشاف للزمخشري، وكتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي.

للباحث: حسين محمد أحمد العربي، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، ليبيا، مج 14، ع1، 2015م، عدد الصفحات: 18.

هدف البحث إلى لفت نظر البلاغيين واللغويين إلى أحد مصادر البلاغة، وهو كتب التفسير، في قضية "حروف المعاني". وعقد موازنة بين الكتابين في المسائل الخلافية وعنايتهما بالتعليل، واجتهاداتهما. وكان من نتائج البحث أن للزمخشري والمالقي إضافات لما أخذاه ممن سبقهما من أهل البلاغة واللغة.

ومما يميز هذه الدراسة جانبان:

الأول: أثر حروف المعاني في توجيه التفسير.

الثاني: المقارنة بين توجيه دلالات حروف المعاني بين الإمامين: الزمخشري، وأبي حيان، ووضعها في ميزان النقد.

أهمية الدراسة:

1. النسب الذي تنتمي إليه الدراسة هو الكلام الذي لا يدانيه كلام، ولا يباريه أساطين العلماء؛ إنه كلام الله رب العالمين.

2. تدبر دلالات حروف المعاني في القرآن العظيم يزيد من ذائقة المسلم البلاغية؛ بما يعقب ذلك حسن التزام وإيمان.
3. حروف المعاني من مباحث علوم القرآن التي لا يستغني عنها المفسر، ولا من أراد فهْم القرآن الكريم.
4. الأثر الظاهر لتلك المعاني في بلاغة القرآن.

أسباب اختيار الموضوع:

1. خدمة كتاب الله الذي وصفه بأنه مبارك، وشفاء لما في الصدور.
2. المكانة التي يحظى بها التفسيران: (الكشاف، والبحر المحيط) في الأوساط العلمية.
3. إبراز قيمة تفسيري الزمخشري وأبي حيان.
4. بيان أثر حروف المعاني في نظم القرآن وبلاغته.
5. إيضاح أثر حروف المعاني في اختلاف المفسرين، فيكون اتساعاً لدلالة الآية، أو الوصول إلى الراجح من معاني الآية.
6. أمّا سبب اختيار سورة البقرة؛ فلأنها أطول سورة، وثاني السور ترتيباً، وغالب المفسرين يبرز فيها علوم القرآن، وبلاغة اللغة تأصيلاً، ثم إذا تكرر الموضوع أحالوا إليه.

أمّا اختيار تفسيري الكشاف، والبحر المحيط فَلِما لهما من مكانة عند العلماء، وهما من أبرز التفاسير التي عنيت بعلوم اللغة؛ إظهاراً لمعاني القرآن الكريم.

مشكلة الدراسة:

حرصت هذه الدراسة على إيضاح أثر حروف المعاني في التفسير لسورة البقرة، وذلك بتتبعها في تفسيري الكشاف والبحر المحيط، ويتوقع من هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما معنى مصطلح حروف المعاني؟ وما أقسامها؟ وما دلالاتها؟
2. من هو الزمخشري؟ وما تفسيره الكشاف؟

3. من هو أبو حيان؟ وما تفسيره البحر المحيط؟
4. ما دلالات حروف المعاني المختصة بالأسماء عند الزمخشري وأبي حيان؟
5. ما دلالات حروف المعاني المختصة بالأفعال عند الزمخشري وأبي حيان؟
6. ما دلالات حروف المعاني المشتركة (للأسماء والأفعال) عند الزمخشري وأبي حيان؟
7. هل أفلح أبو حيان في اعتراضاته على الزمخشري في دلالات حروف المعاني؟

أهداف الدراسة:

1. بيان المقصود بحروف المعاني، وأقسامها، ودلالاتها.
2. التعريف بالإمامين الزمخشري وأبي حيان، وتفسيريهما.
3. بيان دلالات حروف المعاني المختصة بالأسماء عند الزمخشري وأبي حيان.
4. بيان دلالات حروف المعاني المختصة بالأفعال عند الزمخشري وأبي حيان.
5. بيان دلالات حروف المعاني المشتركة (للأسماء والأفعال) عند الزمخشري وأبي حيان.
6. معرفة ما إذا كان أبو حيان قد أفلح في جميع اعتراضاته على الزمخشري أم لا.

حدود الدراسة:

تختص الدراسة بدلالات حروف المعاني في سورة البقرة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي الذي يعنى باستقراء الظواهر اللغوية الخاصة بالدراسة في تفسير سورة البقرة عند الزمخشري وأبي حيان الأندلسي، وسيستضيء الباحث بالمنهجين: الوصفي والتحليلي.

والآلية التي يتبعها الباحث في الدراسة هي:

1. تتبع آيات سورة البقرة التي تتضمن حروف المعاني.
2. استقراء دلالات حروف المعاني في تفسيري الكشاف والبحر المحيط.
3. جمع المادة العلمية المختصة بكل حرف من حروف المعاني الذي ورد في السورتين، وترتيبها وتبويبها في مكانها الذي أُعدت له من الخطة.
4. مراجعة المصادر المتصلة –سواء أكانت مصادر لغوية أم مصادر تفسير– كلما دعت الحاجة؛ لإيضاح أمر، أو ترجيح مسألة، أو بيان الرأي الأكثر دقة عند أحد المفسرِيْن.

الفصل التمهيدي

التعريف بمفردات الدراسة

يحرص الباحث في هذا الفصل على إيضاح ما يتعلق بمفردات عنوان الدراسة؛ لذا تضمن هذا الفصل المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم الحرف في اللسان العربي وأقسامه

المطلب الأول: مفهوم الحرف وحدّه

أولاً: الحرف في اللغة

يطلق الحرف على الجانب، وعلى الناقة الصلبة تُشَبه بحرف الجبل، وتَحَرفَ الإنسان إذا مال عن الشيء[1]. وحرف الشيء: ناحيته. والمحارفة المجازاة، وأحرف الرجل إذا جازى على خير أو شر، أو إذا استغنى بعد فقر[2]. ويحارَف بذنوبه عند الموت: يشدد عليه ليمحص عن ذنوبه. والحرف: الوجه، والانحراف عن الشيء: العدول عنه[3].

---

[1] ينظر الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت:170هـ)، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج3/210-211.

[2] ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد (ت:370هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1، 2001م، ج5/10-13.

[3] ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت:393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين -بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، ج4/1342-1343.

والحرف هو الطرف[1]. وحرف الشيء شفيره، وحرفا الرأس: شقاه[2]. والحرف لغة الوجه الواحد، ومن الجبل: أعلاه المحدد، ومسيل الماء، وهو واحد حروف التهجي[3]. وقد وردت لفظة (حرف) ومشتقاتها في القرآن الكريم ست مرات[4].

وقد وصف الله تعالى اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:46]. "والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم"[5]. وذكر أبو حيان أن التحريف هو "إمالة الشيء من حال إلى حال، والحرف الحد المائل"[6].

يتبين مما سبق أن الحرف يطلق على الجانب، وناحية الشيء، وعلى الميل عن الشيء والعدول عنه، ويعني كذلك الطرف وشفير الشيء، والوجه الواحد، والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها ويطلق على الحد المائل.

---

[1] الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت538هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1419هـ–1998م، ج183/1.

[2] ينظر الحميدي، نشوان بن سعيد (ت:573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، دار الفكر –بيروت –دمشق، ط1، 1420هـ–1999م، ج3/1384–1385. وينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:711هـ)، لسان العرب، دار صادر –بيروت، ط3، 1414هـ، ج9/41–42.

[3] وينظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة –بيروت، ط8، 1426هـ، 2005م، ج799/1.

[4] البقرة:75، النساء:46، المائدة: 13، 41، الأنفال: 16، الحج: 11. ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث –القاهرة، ص197.

[5] الفراهيدي، العين، ج211/3.

[6] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، 1420هـ، ج434/1.

ثانيا: الحرف اصطلاحاً

الحرف: "من حيث هو حرف ماهية معلومة متميزة عما عداها... والحرف كيفية للصوت، بها يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع"[1].

ويأتي الحرف في الاصطلاح لمعانٍ عدة، هي:

أنه أحد أقسام الكلام: فالكلمة جنس يشمل الاسم، والفعل، وحرف جاء لمعنى[2]. يقول ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثمّ حرف الكلم[3]

فالمقصود بالحرف الذي هو قسيم الاسم والفعل، هو حرف المعنى، لا حرف المبنى؛ لأن حرف المبنى يتركب منه الاسم والفعل، ويتركب منه حرف المعنى.

ويأتي الحرف، ويراد به اللغة أو القراءة التي يُقرأ بها القرآن الكريم، روى البخاري عن ابن عباس ﷺ أن الرسول ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[4]. "وكل كلمة تقرأ على وجه من القرآن تسمى حرفاً، يقال: يُقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود، أي: في قراءته"[5]. كما يطلق الحرف ويراد به اللغة[6].

---

[1] أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ)، الكليات، تح: عدنان درويش –محمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت، ج1/394.

[2] ينظر: ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت:723هـ)، متن الآجرومية، دار الصميعي، 1419هـ، ص5. وينظر: المرادي، الحسن بن قاسم (ت:749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، 1992م، ص 20.

[3] ابن مالك، محمد بن عبد الله (ت:672)، ألفية ابن مالك، دار التعاون، ص9.

[4] البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ)، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب بدء الخلق –باب ذكر الملائكة، رقم الحديث (3219)، ج4/113.

[5] الفراهيدي، العين، ج3/211.

[6] ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت:310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م، ج1/57. وينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، ج3/306.

ويطلق الحرف أيضا على حروف المباني، وحروف المعاني، وهما قسما الحروف عند العلماء. وهذا عنوان المطلب اللاحق.

المطلب الثاني: أقسام الحروف

يقسم الحرف إلى حرف مبنى، وحرف معنى، ويتم تناول هذا المطلب في هاتين المسألتين:

المسألة الأولى: حروف المباني: وهي التي تبنى منها الكلمة، وتسمى كذلك حروف التهجي. يقول ابن منظور: "والحرف في الأصل: الطرف والجانب وبه سمي الحرف من حروف الهجاء"[1]. والحرف الأصلي هو: "ما ثبت في تصاريف الكلمة لفظاً، أو تقديرا"[2]. بمعنى أن تكون هناك حروف ثابتة في الكلمة رغم تصريفها لماضٍ، أو مضارعٍ، أو أمرٍ، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول، وغيرها. فمثلا كلمة شرب تحوي من الناحية الصرفية الشين والراء والباء، وأي تصريف منها يبقي على هذه الحروف الثلاثة؛ فانظر مثلا: يشرب، اشربْ، شارب، مشروب، شربة، تجتمع كلها في أن الحروف الثلاثة مشتركة بينها جميعاً. أمّا تقديراً فيعني أنه لو سقط أحد الحروف الأصلية من الكلمة؛ فيكون مقدراً مثل: يقول، مقول، قول، فحرف الواو فيها جميعاً، لكن يقدر في قلت. وهذا لا يعني أن سقوطه لزيادته؛ بل لعلة تصريفية.

وحروف الهجاء هي حروف المباني الثمانية والعشرون حرفا، التي تبنى منها كلمات اللغة العربية، كالألف، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، وبقية الحروف. "ويقع الحرف على الحرف المكتوب من حروف المعجم، ويقع في اللغة على الكلمة التامة، وعلى الكلمة غير التامة"[3]. وسميت بحروف التهجي؛ لأنها أطراف الكلمة[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج41/9.

[2] الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: 816هـ)، التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ، ج85/1.

[3] ابن عقيل، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (ت: 513هـ)، الواضح في أصول الفقه، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م، ج109/1.

[4] ينظر: الكفوي، الكليات، ج393/1.

المسألة الثانية: حروف المعاني: تناول العلماء حروف المعاني قديماً وحديثاً، كمصطلح، بالتعريف؛ إيضاحاً للمقصود منه. فقد عرفها سيبويه بأنها: "ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل"[1]. وعرفها الزجاجي بقوله: "ما دلّ على معنى في غيره، نحو من، وإلى، وما أشبه ذلك"[2]. وبين الزمخشري المقصود منها بقوله: "الحرف ما دل على معنى في غيره. ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب، نحو قولهم: نعم وبلى وإي وإنه ويا، وَزِيد قد في قوله وكأن قد"[3].

وقد عرف المرادي حروف المعاني فقال: "**كلمة تدل على معنى في غيرها فقط**"[4]. ولم يكن تعريف المتأخرين بعيدا عن قول المتقدمين، فهو يحمل معنى في غيره. يقول الغلاييني: "وحرف المعنى ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتظم في الجملة، كحروف الجر، والاستفهام، والعطف، وغيرها"[5].

وقد تناول العلماء هذه التعريفات بالمناقشة؛ مظهرين ما لها، وما عليها. فقد عقب صادق خليفة على تعريف سيبويه بأنه: "يعتبر وصفاً أكثر منه حداً"[6]، أي: إنه وصف الحرف بأنه أدى معنى، ولم يكن تعريفه مظهِراً للمقصود بالحرف، بحيث يعرف به، ويفصل بينه وبين غيره من أقسام الكلام. وأوضح السيرافي أن المقصود من تعريف سيبويه هو ما "جاء لمعنى ذلك المعنى ليس باسم، أي: ليس بدالّ عليه الاسم ولا الفعل"[7]. وأدرك

---

[1] سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر (ت: 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م، ج12/1.

[2] الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت: 337هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ، ص54.

[3] الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت: 538هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال –بيروت، ط1، 1993م، ص379.

[4] المرادي، الجنى الداني، ص20.

[5] الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (ت: 1364هـ)، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية –صيدا، بيروت، ط28، 1414هـ،1993م، ج253/3. وينظر: حسن، عباس (ت: 1398هـ)، النحو الوافي، دار المعارف، ط15، ج66/1. وينظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، ج167/1.

[6] راشد، صادق خليفة، دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قاز –تونس –بنغازي، 1996م، ص34.

[7] السيرافي، الحسن بن عبد الله بن مرزبان (ت: 368هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م، ص14.

الزمخشري من خلال كلامه السابق، أن حروف المعاني لا بد لها من متعلق؛ كي يتضح معناها، لذا أوضح أنها لا تنفك من اسم أو فعل يصحبها عدا مواضع يحذف منها الفعل، فيقتصر على الحرف ويجري مجرى النائب.

وكان المرادي قد صدر تعريفه بلفظة (كلمة)؛ معترضاً على تصديره بكلمة (ما) في التعريفات الأخرى، فقال: "واعلم من تصدير الحد به أن ما ليس بكلمة فليس بحرف: كهمزتي الوصل والنقل، وياء التصغير فهذه من حروف الهجاء، لا من حروف المعاني؛ فإنها ليست بكلمات بل هي أبعاض كلمات، وهذا أولى من تصدير الحد ب "ما"[1]. وختم الحد بلفظة "فقط"؛ ليخرج به الأفعال، والأسماء[2].

فكلمة (ما) عامة تدل على قسمي الحرف: حرف الهجاء، وحرف المعنى، وحرف الهجاء ليس بكلمة، إنّما هو جزء من بنية الكلمة، ولا يفيد معنى. ورغم تقييد تعريف سيبويه بما "ليس باسم ولا فعل"، وتقييد تعريف الزجاجي بالتمثيل على حروف المعاني "نحو من، وإلى، وما أشبه ذلك"، رغم ذلك فإنه يدخل في التعريفين حروف الهجاء التي ليست بحروف معان، كما هو معلوم، مما يُدخل في التعريف ما ليس منه. وحروف المعاني ليست من بنية الكلمة الأصلية، بل جاءت دالة على معنى في غيرها، وليس في ذاتها.

وعلّق ابن يعيش على تعريفي سيبويه، والزجاجي بقوله: إن تعريف سيبويه يشير إلى العلة، أمّا تعريف الزجاجي فيعني الدلالة على الذات[3]. فابن يعيش نظر إلى معاني حروف الجر في التعريفين، فاللام في تعريف سيبويه تفيد التعليل، أي: إن الحرف جاء في الجملة لأجل معنى، في حين نظر إلى حرف الاستعلاء (على)، والظرفية (في) في تعريف الزجاجي فذكر أن الحرف يؤدي معنى حين اتصاله بالجملة.

---

[1] المرادي، الجنى الداني، 21.

[2] ينظر: المصدر السابق، 22.

[3] ينظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت:643هـ)، شرح المفصل في صنعة الإعراب، إدارة الطبعة المنيرية –مصر، ج2/8–3.

يتبين مما سبق أن ما ذكره المرادي من تعريف لحرف المعنى هو الأقرب؛ لأنه منع غير أفراد المعرف من الدخول إليه، ومنع أفراد المعرف من الخروج منه، في حين أن تعريف الزجاجي صدر بكلمة "ما" الممثلة للاسم والفعل والحرف. فحروف المعاني ألفاظ تدلّ على معانٍ حينما تنتظم في الكلام، وليست أسماء ولا أفعالاً.

وتسمى حروف المعاني بحروف الربط، فهي تصل الأسماء إلى الأفعال، والأسماء إلى الأسماء؛ فبها يتضح المعنى، يقول ابن سيده: "والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة التي تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، كعن وعلى ونحوها"[1].

وعلة تسميتها بحروف المعاني؛ أنها وضعت لمعان تميزت بها عن حروف المباني، وإفادة كل منها معنى من المعاني، كالاستفهام، والاستعلاء، والمجاوزة، وغيرها[2].

[1] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج306/3.

[2] ينظر: المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مصطفى البابي، الحلبي وأولاده –مصر، ط2، 1377هـ ص207، وينظر: عطا، دياب عبد الجواد، حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دار المنار –القاهرة، 1421هـ،2000م، ص6.

المبحث الثاني: أقسام حروف المعاني، وأهميتها، وعددها

المطلب الأول: أقسام حروف المعاني

قسم العلماء حروف المعاني وفق اعتبارات، منها: اعتبار الإفراد والتركيب، والوظيفة، والمتعلق، وجهة العمل.

ففيما يتعلق بأقسامها وفق الإفراد والتركيب تحدث أهل العلم عن بنية حروف المعاني من حيث عدد حروف الحرف منها، فهي منحصرة في خمسة أقسام: ما هو على حرف، وعلى حرفين، وما هو على ثلاثة، وعلى أربعة، إلا أنه لا يزيد على خمسة حروف في البنية[1].

وبين أبو حيان أن البنيات تفرعت من تقسيم الحروف إلى بسيطة ومركبة، فالمركب مثل: كأن، ولولا، وهلا، ولما، والبسيط منه الأحادي كالواو، والفاء، والباء، ومنه الثنائي كحرف أم، وبل، ولن، والثلاثي مثل: على، وخلا، وبلى، ومنه الرباعي مثل: حتى، وإمّا، ولعل، ومنه البسيط الخماسي كحرف لكنّ[2].

كذلك قسم العلماء حروف المعاني باعتبار الوظيفة، فمنها ما يترك أثراً فيما بعده، ويسمى عاملاً، ومنها ما لا يترك أثراً فيما دخل عليه، ويسمى مهملاً. يقول المرادي: "الحرف قسمان: عامل، وغير عامل، فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً، أو نصباً، أو جراً، أو جزماً، وغير العامل بخلافه، ويسمى المهمل"[3].

ومن الحروف العاملة: حروف الاستثناء، والجزم، والجر، والقسم، والمشبهة بالفعل، وحروف النصب، والنفي. ومن الحروف المهملة: الاستدراك، والتحضيض، والتنديم، والتوبيخ، والتنبيه، والتحقيق، والعطف، والمفاجأة[4].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، 29، وينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب العلمية –بيروت، 1421هـ،2000م، ج3/2. وينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ج13/1.

[2] ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: 745هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط12، 1418هـ،1998م، ج2363/5.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، 27. وينظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج253/3–254.

[4] ينظر: بكوش، يوسف، حروف المعاني، دار هومة –الجزائر، 2004م، ص175–176، وينظر الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد (ت: 1417هـ)، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر –بيروت، 2003م، ج394/1.

وإذا تنزل الحرف منزلة الجزء من الاسم أو الفعل؛ فإنه لا يعمل، ك (لام) التعريف في الاسم، والسين في الفعل. أمّا إن لم يتنزل من الاسم أو الفعل منزلة الجزء فحقه أن يعمل؛ لأن ما لازم شيئاً، ولم يكن كالجزء منه؛ أثر فيه غالباً. والحرف يعمل أنواع الإعراب الأربعة، فيعمل الجر والجزم بطريق الأصالة، وعمله الرفع والنصب لشبهه بما يعملها، مثل إن المصدرية وأخواتها، فإنها لمّا شابهت نواصب الاسم نصبت. ولولا ذلك لكان حقها أن تجزم[1].

أمّا تقسيم العلماء حروف المعاني باعتبار المتعلَّق؛ فقد قسموها إلى ثلاثة أقسام: المختص بالأسماء، ولا يدخل على الأفعال، ومنها: المختص بالأفعال، ولا يدخل على الأسماء، ومنها المشترك بين الاسم والفعل[2]. وعلى هذا كان تقسيم عناوين فصول الدراسة.

والحروف التي تختص بالأسماء تؤثر فيها أمّا جراً، أو رفعاً، أو نصباً. والمختصة بالأفعال تؤثر فيها نصباً، أو جزماً. أمّا ما كان مشتركاً يدخل على الأسماء والأفعال؛ فلا يعمل في اسم، ولا فعل[3].

ولمّا كانت حروف المعاني قاصرة في معناها الإفرادي؛ كان لا بد من متعلق لإيضاح معناها، بخلاف الاسم والفعل، فالحرف وحده لا يدل على معنى جزئي غير مقترن بزمن كالاسم، ولا يدل كذلك على معنى جزئي مقترن بزمن كالفعل، لكن إذا دخل جملة دل على معنى في غيره، ولم يدل على زمن[4]. فمعناها لا يظهر إلّا بوجودها في جملة تتعلق بها، ولا يظهر معناها بانفرادها دون جملة. قال ابن عقيل عن حرف المعنى: هو "اللفظ المتصل بالأسماء والأفعال، وكل جملة من القول، والداخل عليها؛ لتغيير معانيها، وفوائدها، مثل: من، وإلى، وبعد"[5].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، 26-28.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، 25.

[3] ينظر: ابن السراج، محمد بن السري بن سهل(ت:316هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة -بيروت، ج1/54-55.

[4] ينظر: المرادي، الجنى الداني، 22، وينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، ج1/394. ينظر: حسن عباس، النحو الوافي، ج1/68.

[5] ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، ج1/109.

المطلب الثاني: أهمية دراسة حروف المعاني

لمعرفة أهمية حروف المعاني، يُنظر إلى الجملتين الآتيتين: خرجت إلى السلطان، خرجت على السلطان، فكلتاهما اتفق في الاسم والفعل، لكنهما اختلفتا في الرابط بين الفعل والاسم. فالأولى تعني: خرجت إليه طالباً حاجة أو مستغيثاً، في حين أن الثانية تعني عدم طاعته، والحرص على عزله.

من هنا كان اهتمام العلماء بحروف المعاني، فمنهم من خصها بالتأليف كالمالقي في رصف المباني، والمرادي في الجنى الداني، والزجاجي في حروف المعاني، ومنهم من جعلها جزءاً من مؤلفه، كابن هشام في مغني اللبيب، وهو أوسعها، والزركشي في البحر المحيط.

وبين المالقي أهميتها حيث يقول: "ومعاني معظمها أشد غوراً، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائدها إليها"[1]. وكذلك المرادي أظهر أهمية حروف المعاني فقال: "لمّا كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها. وهي مع قلتها، وتيسير الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها"[2].

ولمكانة هذه الحروف، فقد ألفينا علماء الأصول لهم اهتمام كبير بها، لما لها من أثر في الاستنباط. فهذا القاضي أبو يعلى يجعل في كتابه "العدة" فصلاً بعنوان "فصل في حروف تتعلق بها أحكام الفقه، ويتنازع في موجباتها المتناظران"[3]. وقد احتاج إليها الأصولي، لأن الأحكام الفقهية تختلف بسبب اختلاف معانيها[4]. ويقول الشيرازي تحت عنوان: باب القول في حروف المعاني: "واعلم أن الكلام في هذا الباب كلام في باب

---

[1] المالقي، أحمد بن عبد النور (ت: 702هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق، ط4، 1435هـ، 2014م، 97.

[2] المرادي، الجنى الداني،19.

[3] أبو يعلى، محمد بن حسين بن محمد بن خلف (ت:458هـ)، العدة في أصول الفقه، تح: أحمد بن علي سير المباركي، ط2، 1990م، ج194/1.

[4] ينظر: الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج3/2.

من أبواب النحو غير أنه لمّا كثر احتياج الفقهاء إليه ذكره الأصوليون"[1]. وجعلها السيوطي (النوع الأربعون) من أنواع علوم القرآن، فقال عنها: "وأعني أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"[2].

ويجاء بحروف المعاني نيابة عن الجمل، ومفيدة معناها من الاختصار والإيجاز، فمثلاً جيء بحروف العطف عوضاً عن أعطف، وجيء بحروف الاستفهام عوضاً عن أستفهم، وبلام التعريف نيابة عن أعرف وهكذا، لذلك لا تحذف حروف المعاني، لأن الغرض منها الاختصار، واختصار المختصر إجحاف[3].

المطلب الثالث: عدد حروف المعاني

اختلف أهل الصنعة اللغوية في عددها، ولم يكن بينهم إجماع في إحصائها، وهم في ذلك بين مقل ومكثر.

فمن المكثرين الزجاجي الذي أحصاها في سبعة وثلاثين ومائة حرف جمعها في كتابه "حروف المعاني" شارحا فيه جميع الحروف، وعلى كم وجه يتصرف الحرف منها[4]. ومن المقلّين الهروي فقد جعلها في واحد وأربعين حرفاً في كتابه "الأزهية" استجابة لسؤال سائل أن يجمع له أبواباً من النحو[5].

وكان المالقي قد عدها خمسةً وتسعين حرفاً في مؤلفه "رصف المباني"، وكان غرضه فيه الكلام في حروف المعاني جملة، ثم على التفصيل فقال: "اعلم أن جملة الحروف في هذا الكتاب خمسة وتسعون حرفاً، منها ثلاث عشرة مفردة، واثنان وثمانون مُرَكبة"[6].

---

[1] الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت:476هـ)، اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ، 2003م، ص64.

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 1974م، ج166/2.

[3] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج7/8.

[4] ينظر: الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق (ت:340هـ) حروف المعاني، تح: علي توفيق حمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م، ص1-74.

[5] ينظر: الهروي، علي بن محمد النحوي (ت:415هـ)، الأزهية في علم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، 1413هـ،1997م، ص33-290.

[6] المالقي، رصف المباني، ص4.

ورأينا المرادي يصنف مؤلَّفه الجنى الداني في حروف المعاني، وقد حصرها في خمسة ومئة حرف في أبواب خمسة: الأول في الأحادي، وهو أربعة عشر حرفاً[1]، والثاني في الثنائي، وفيه ثلاثة وثلاثون حرفاً[2]، والثالث في الثلاثي، وجعل تحته ستة وثلاثين حرفاً[3]، والرابع في الحروف التي بنيتها رباعية، وجملته تسعة عشر حرفاً[4]، والخامس الحروف الخماسية، وهي ثلاثة[5].

يتبين من ذلك أن عدة الحروف عند المرادي مئة وخمسة. أمّا عدتها عند الأفغاني فلا تتجاوز الثمانين[6].

وقد تضمن كتاب مغني اللبيب تسعة وتسعين حرفاً، تحدث صاحبه فيه عن هذه الحروف في أكثر من نصفه بقليل، ويعدّ من أوسع من تحدث في حروف المعاني[7]. وكان السيوطي قد جعلها مئة واثني عشر حرفاً ضمنها كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وقد بين قواعدها وأصولها، لا فروعها وجزئياتها[8].

ويعود سبب الاختلاف في عددها إلى عدم اتفاق العلماء على عدد حروف الموضوع الواحد كالحروف المشبهة بالفعل، وحروف النداء، ومواضع حرف (ما) وغيرها، كما سيظهر ذلك في الدراسة إن شاء الله تعالى.

---

[1] المرادي، الجنى الداني، 30.

[2] المصدر السابق،185.

[3] المرادي، الجنى الداني، 359.

[4] المصدر السابق، 508.

[5] المصدر السابق، 615.

[6] ينظر: الأفغاني (ت:1417هـ)، الموجز في قواعد اللغة العربية، ج388/1.

[7] ينظر: ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت:761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: فخر الدين قباوة، دار اللباب –إسطنبول، بيروت، ط3، 1440هـ،2019م، ص39–456.

[8] ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج167/2–308.

المبحث الثالث: التعريف بسورة البقرة

التعريف بأي سورة في القرآن يتضمن الحديث عن أسمائها، ومكيتها ومدنيتها، وعدد آيها، وفضلها، كما ويشمل الحديث عن موضوعاتها، وأوجه المناسبات فيها، وغير ذلك.

أمّا أسماؤها فمنها: البقرة، وهو أشهر أسمائها، وقد سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة البقرة فيها، إذ قُتل زمن موسى عليه السلام قتيل، ولم يعرف قاتله، فأمرهم الله تعالى على لسان موسى عليه السلام، أن يذبحوا بقرة، وبعد جدال ومماطلة ذبحوها وما كادوا يفعلون، وأمروا أن يضربوا القتيل ببعضها؛ فأحياه الله تعالى، ودل على قاتله. وآيات القصة من السورة هي (67-74)، **وسنام القرآن**: وهذا الاسم ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: "إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن سورة البقرة"[1]. **والزهراء**، وقد ورد هذا الاسم في حديث للنبي ﷺ جمع فيه بين سورتي البقرة وآل عمران باسم الزهراوين، حيث روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران"[2].

وقد نزلت بعد الهجرة، وابتدأ نزولها عليهﷺ بعد ما قدم المدينة سورة البقرة[3]، وعدد آيها مئتان وخمس وثمانون آية في المدني والمكي والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري[4].

---

[1] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حيان بن معاذ (ت: 357هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1414–1993، ذكر تمثيل النبي ﷺ سورة البقرة، رقم الحديث (780)، ج59/3. والحديث صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت:1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، دار باوزير –جدة، ط1، 1424هـ، 2003م، ج180/2.

[2] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت:261هـ) صحيح مسلم، تح: مجموعة من المحققين، دار الجيل –بيروت، كتاب الصلاة –باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث (1825)، ج197/2.

[3] ينظر: أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت: 444هـ)، البيان في عد آي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م، ج136/1.

[4] ينظر: أبو عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن، 140.

أمّا فضلها فقد ورد فيه أحاديث كثيرة، منها: أنها وسورة آل عمران تحاجان عن صاحبهما: روى مسلم جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا"[1]. وروى البخاري، في فضل خواتيمها، عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه"[2].

وفيما يتعلق بموضوعها فهي أطول سور القرآن الكريم، واحتوت موضوعات كثيرة، ومنها: أصناف الناس، واستخلاف آدم، والحديث عن بني إسرائيل ومخازيهم، وكذلك الحديث عن رفع القواعد من البيت، وتحويل القبلة إليه، وعن الجهاد والقصاص والوصية، والعبادات كالصيام والحج، والإنفاق، وشيء من الأحوال الشخصية فيما يتعلق بالأسرة كالطلاق، وتحدثت السورة عن أمور العقيدة كالإيمان بالغيب والبعث، وعن المعاملات كالربا والديْن، هذه مجمل موضوعات السورة، فهل بينها ناظم؟

السورة، رغم تعدد موضوعاتها، كما يذكر سيد قطب، إلا أنها تدور حول أمرين رئيسين: فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الجديدة في المدينة، وكيفية استقبالهم لها بالكفران، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة الناشئة على أساسها، واجتماعهم مع المنافقين والمشركين لمواجهة هذه الدعوة، ومن ناحية تدور السورة حول إعداد الجماعة المسلمة وإنشائها، وتهيئتها لحمل أمانة الخلافة في الأرض بعد نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها[3].

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث (1827)، ج197/2.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي –باب شهود الملائكة بدرا، رقم الحديث (3786)، ج1472/4.

[3] ينظر: سيد قطب: إبراهيم حسين الشاري (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق –بيروت –القاهرة، ط17، 1412هـ، ج28/1. للاستزادة ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية –بيروت، 1415هـ،1995م، ج24/1، وابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(ت:1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون –تونس، 1997م، ج202/1.

وفيما يتعلق بأوجه التناسب، **فمناسبة مبتدئها لخاتمتها** أنها بدأت بمدح المتقين المؤمنين بالغيب، والمقيمين الصلاة، والمنفقين، وبيّنت في آخرها أن الممدوحين في أولها هم أمة محمد ﷺ[1].

أمّا **المناسبة بين سورتي البقرة والفاتحة**، فسورة الفاتحة فيها إجمال وسورة البقرة فيها تفصيل، فمثلاً الفاتحة فيها دعاء للمؤمنين أن يهديهم الله صراطه المستقيم، وأن يجنبهم صراط المغضوب عليهم. وسورة البقرة تناولت هذا الدعاء بالتفصيل، فأوضحت أن الصراط المستقيم هو هذا الكتاب الذي لا ريب فيه، والمتضمن بيان ما عليه بنو اسرائيل من تنكب لهذا الصراط المستقيم، ونقضهم العهد والميثاق، وهذا فيه إجابة لدعاء اجتناب صراط المغضوب عليهم وهم اليهود، ومن ثم بيان ما هو الواجب، على من طلب الهداية، من التكاليف؛ ليكون سالكاً طريق الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، والنجاة في هذا[2].

وسورة الفاتحة تضمنت ملك يوم الدين لله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة: 4]، وسورة البقرة تحدثت عن الإيمان باليوم الآخر والبعث كإحياء الميت في قصة البقرة، وقصة إبراهيم والنمرود، وقصة الرجل الذي مر على القرية، وقصة إبراهيم والطير. وذكرت سورة الفاتحة تخصيص المؤمنين ربهم بالعبادة والاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: 5]، وسورة البقرة فصلت هذه العبادة، كالصلاة والحج والعمرة والصيام والجهاد والطلاق، والمعاملات المالية والإنفاق.

---

[1] ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(ت:606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط3، 1420هـ، ج106/7. للاستزادة يراجع كتاب النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز، ص196 وما بعدها.

[2] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية –بيروت، 1415هـ،1995م، ج32/1.

أما مناسبتها مع التي تليها آل عمران فكلتاهما مفتتح بالحروف المقطعة (الم)، وموضوعهما متقارب، فالأولى دعوة إلى الإيمان بالقرآن والتمسك به، والثانية دعوة إلى اتباع الرسول والمسارعة إلى أوامره[1].

وسورة البقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى، والنبي ﷺ لمّا هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر[2].

وحين النظر إلى خاتمتيهما نجد أنهما في الدعاء، فخاتمة سورة البقرة دعاء بألّا يؤاخذهم حين الخطأ والنسيان، وألا يحمل عليهم إصراً، وأن يعفو عنهم، ويغفر لهم، ويرحمهم، وبالنصر على القوم الكافرين ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[البقرة: 285]. وخاتمة آل عمران كالتتمة في الدعاء، وهو ما يتعلّق بيوم القيامة بأن يقيهم عذاب النار، وأن يتوفاهم مع الأبرار، وأن يؤتيهم ما وعدهم على رسله من عدم الخزي يوم القيامة، والاستجابة بتكفير السيئات ودخول الجنة[3]. والأمر بالصبر والمصابرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ٢٠٠﴾[آل عمران: 200] وهما طريق النصر.

[1] ينظر: سبحاني، محمد عناية الله أسد، البرهان في نظام القرآن، في الفاتحة والبقرة وآل عمران، دار عمار –عمان، ط1، 1426هـ، 2005م، ص641-642

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام –القاهرة، ص76.

[3] ينظر: سورة آل عمران: 191-195.

المبحث الرابع: الزمخشري وتفسيره[1]

المطلب الأول: التعريف بالزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي. لقب بـ(جار الله)؛ لأنه جاور مكة زماناً[2]. ولد بزمخشر، ونسب إليها، سنة سبع وستين وأربعمئة[3].

وكان قد ارتحل، طلباً للعلم، فدخل خراسان، وورد العراق، وأقام بخوارزم، وخرج منها إلى الحج. ولمّا نزل مكة وجد بها أبا الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس فعرف قدره، ورفع أمره، وأكثر الاستفادة منه، ونشطه للتصنيف، كما وأفاد الزمخشري منه[4].

وقد أثنى عليه العلماء؛ لعلوّ كعبه في العلم، فهو أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه[5]، وكان يضرب به المثل في الأدب[6]. قال الذهبي: "وكان رأساً في البلاغة، والعربية، والمعاني، والبيان"[7].

أمّا معتقده فهو الاعتزال، وهو يجاهر به مفتخراً، حتى نه إذا أراد صاحباً له، واستأذن عليه، يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وكان متحققاً بالاعتزال[8]. وأمّا مذهبه الفقهي فهو الحنفي، وهو

---

[1] البحث لا يتسع لهذا العنوان، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة الرسائل العلمية التي تحدثت عن الزمخشري، مثل: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه لمصطفى الصاوي الجويني، وكتاب البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لمحمد أبو موسى

[2] ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت:681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط1، 1994م، ج5/168–169

[3] ينظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف(ت:646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية–بيروت، ط1، 1424هـ، ج3/266.

[4] ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج3/266–268، وينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري (ت:1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، ج3/118

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/340.

[6] ينظر: السمعاني، أبو سعد، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ج3/163.

[7] الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث –القاهرة، 1427هـ،2006م، ج15/18.

[8] ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أبناه النحاة، ج3/270. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5/170.

غير متعصب له[1]. وفيما يخص مذهبه النحوي، فقد اختلف فيه، فمنهم من ينسبه إلى البصريين، ومنهم من ينسبه إلى البغداديين[2]. والاختلاف هذا لا تحتمل الدراسة مناقشته.

وقد صنف الزمخشري أكثر من خمسين مصنفاً[3]، منها: الكشاف، وأساس البلاغة، والمفصل في صنعة الإعراب[4].

توفي بجرجانية بخوارزم ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة، وعاش إحدى وسبعين سنة[5].

المطلب الثاني: التعريف بالكشاف

ذكر الزمخشري في مقدمة الكشاف سبب تأليفه له أن إخوانه المعتزلة كلما سمعوا منه تفسير آية، وأبرز لهم بعض الحقائق من الحجب، استُطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطراف ذلك، كذلك ما كان يرى من شوق أهل البلاد التي يجتازها في طريق عودته إلى مكة إلى العثور على ذلك المملى حرصاً على اقتباسه[6].

وفيما يتعلق بمنهجه في تفسيره، فهو كغيره من المعتزلة الذين يقدمون العقل على النقل، فهو ينتصر لمعتقداتهم، كالحسن والقبح العقليين[7]، وحرية الإرادة وخلق الافعال[8]، وصاحب الكبيرة مخلد في النار[9]. واهتم بالبلاغة القرآنية، ولا يتوسع في المسائل الفقهية، مقل من الإسرائيليات، وإذا روى منها شيئاً رواه مصدراً بصيغة التمريض (روي) المشعرة بضعف الرواية، أو ينبه إلى درجة صحتها[10].

---

[1] ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج279/2.

[2] ينظر: الجبالي، مهند حسن محمد، أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف، إشراف: سليمان محمد القضاة، جامعة اليرموك –عمان، 2001م، ص17.

[3] الحموي، إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ج2691/6.

[4] ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج168/5–169، وينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج280/2.

[5] ينظر: السمعاني، الأنساب، ج164/3، وينظر: محي الدين الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج161/2.

[6]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج16/1–17.

[7]– المصدر السابق، ج625/1.

[8]– ينظر: المصدر السابق، 667/1.

[9]– ينظر: المصدر السابق، 583/1.

[10]– ينظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ط8، القاهرة، مكتبة وهبة، 1424هـ، 2003م، ج334/1–336.

ورغم اعتزاليات الكشاف إلا أن من جاء بعده أفادوا منه سواء أكانوا من المعتزلة أم من أهل السنة، وممن رجع إليه: الرازي في مفاتيح الغيب، وأبو حيان في بحره المحيط، وتلميذ أبي حيان السمين الحلبي في دره المصون، والبيضاوي في أنوار التنزيل، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم، وغيرهم. وقد كثرت الدراسات العلمية حول هذا التفسير. واليوم توجد دراسات علمية كثيرة حول الكشاف[1].

[1] مثل كتاب البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لمحمد أبو موسى، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه لمصطفى الصاوي الجويني.

المبحث الخامس: أبو حيان وتفسيره

المطلب الأول: التعريف بأبي حيان[1]

هو "محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجيَّاني الغرناطي"[2]، ويلقب بأثير الدين، وكنيته أبو حيان[3].

ولد بمدينة (مطخشارش) سنة أربع وخمسين وست مئة[4]. ونشأ ببلدة غرناطة[5].

رحل طلباً للعلم، فقد سمع بغرناطة، وجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، والإسكندرية، وديار مصر، والشام والعراق[6]، وتونس، والقاهرة، ومكة وجدة وأيلة[7].

أثنى عليه العلماء فهو رأس العربية[8]، وهو أمير المؤمنين في النحو، وشرح كتاب سيبويه حتى أصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيداً[9]. وهو الإمام العلامة ذو الفنون، حجة العرب، عالم الديار المصرية[10].

---

[1] من أراد الاستزادة فليراجع من ترجم له من أصحاب المصادر مثل: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5/175-186، السبكي تاج الدين عبد الوهاب (ت:771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2، 1413هـ، 276-307، والسيوطي، بغية الوعاة، ج1/280-285، المقري، أحمد بن محمد (ت:1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر -بيروت، ط1، 1997م، ج2/535-584، وغيرها. والرسائل العلمية التي تناولت شخصيته مثل: الحديثي، خديجة، أبو حيان النحوي، مكتبة النهضة -بغداد، 1385هـ، 1966م. وشكري، أحمد خالد، أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، دار عمان، ط1، 1428هـ، 2007م، وغيرها.

[2] جميل، صدقي محمد، مقدمة البحر المحيط في التفسير، دار الفكر -بيروت، 1420هـ، ج1/4.

[3] ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3/28.

[4] الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت: 764هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر -بيروت، دمشق، ط1، 1418هـ، 1998م، ج5/328.

[5] ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج6/62.

[6] ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ-2000م، ج5/175.

[7] ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2/560.

[8] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/634.

[9] ينظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج5/325.

[10] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ)، المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق -الطائف، ط1، 1408هـ 1988م، ج1/267.

أمّا **مذهبه الفقهي** فكان بداية يرى رأي الظاهرية، فلمّا قدم القاهرة ورأى مذهب الظاهر مهجوراً فيها تمذهب للشافعي[1]. وكان حجة ثَبَتاً سالماً في العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم على نمط السلف الصالح[2]. وهو في النحو على مذهب سيبويه[3].

أمّا **مصنفاته** فقد زادت على الخمسين ما بين طويل وقصير[4]. ومنها: البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب[5]، وشرح كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك[6].

وقد توفي بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر[7].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير البحر المحيط

نظم أبو حيان تفسيره نظماً بديعاً، تناثرت لآلئه، وتكاثرت جواهره، مما حدا بمن جاء من بعده العود إليه، والاحتكام إليه، وهذا التفسير، كما يذكر صاحبه، ابتدأ تأليفه سنة سبع وخمسين من عمره، إذ عكف على تصنيفه، وأجال الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، ملخصاً مُطَوّلها، وحالاً مشكلها، ومقيداً مطلقها، وفاتحاً مغلقها، ومخلصاً منقذها، مضيفاً إلى ذلك ما استخرجه فكره من لطائف علم البيان، ودقائق علم الإعراب، وبيان الأدب[8].

---

[1] ينظر: الصفدي، أعيان العصر، ج332/5. وينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج63/6.

[2] ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج62/6. ج291/2.

[3] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت:1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، دار المعرفة –بيروت، ج59/6.

[4] المقري، نفح الطيب، ج563/2.

[5] ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ)، نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1428هـ–2007م، ج269/1.

[6] ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج29/3.

[7] ينظر: الصفدي: أعيان العصر، ج327/5، وابن رافع، محمد بن هجرس (ت:774هـ)، الوفيات، تح: صالح مهدي عباس وبشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1402هـ، ج482/1–483.

[8] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج10/1.

وقد أثنى عليه العلماء حيث قال ابن الجزري: "له التفسير الذي لم يسبق مثله، سماه البحر المحيط"[1]. وأفادوا منه، ومنهم: السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، والسفاقسي في كتابه" المجيد في إعراب القرآن المجيد". وكلاهما من تلاميذ الشيخ. واختصره تلميذه ابن مكتوم في كتابه "الدر اللقيط من البحر المحيط"[2]. وكان لطلبة العلم اليوم أرضاً خصبة يحصدون منه ما يرمون إليه[3]، وهو من التفسير بالرأي.

وقد أبان عن منهجه في تأليفه[4] في مقدمته، فهو يورد أسباب النزول، ويتحدث عن المناسبة بين الآيات، ويوضح المفردات أول ورودها في القرآن، ثم يحيل إليها، ولم يكن ناقلاً لأقوال العلماء فقط، بل كان مناقشاً مرجحاً، ولا يلجأ إلى التأويل ما دام النص يمكن حمله على ظاهره، وقّاف عند التفسير النبوي، ناهياً عن مجاوزته، ولا يكثر من الإسرائيليات، وإن ذكرها فبصيغة التمريض (روي، أو قيل) بياناً لضعفها. يقول أبو شهبة: "مهما يكن من شيء؛ فتفسير أبي حيان من التفاسير المتحفظة، والمقلة في ذكر الإسرائيليات والموضوعات"[5].

---

[1] ابن الجزري، غاية النهاية، ج2/286.

[2] ينظر: ناصر البدر، بدر، أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، مكتبة الرشد –الرياض، 1420هـ، 2000م، ص116–117.

[3] منهم: مبروكة الهاشمي البوعيشي في رسالتها لنيل درجة الدكتوراه الموسومة بعنوان: "المسائل الصرفية في تفسير البحر المحيط"، والطالب أحمد خالد شكري في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: "أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات القرآنية"، وغيرهم.

[4]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/12–13.

[5] شهبة، محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ص141.

الفصل الأول

دلالات حروف المعاني المختصة بالأسماء بين الزمخشري وأبي حيان

المبحث الأول: الحروف المشبهة بالفعل

ويقصد بها التي تدخل على الجمل الاسمية؛ فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها[1]، وقد اختلف علماء اللغة في عددها، فهي عند ابن مالك الأندلسي ستة أحرف: إنّ، أنّ، ليت، لعل، لكنّ، كأنّ[2]، وعدها سيبويه خمسة، وهي: إنّ، ليت، لعل، لكن، كأن[3].

وشبهها بالفعل؛ لأنها مبنية على الفتح شبه الفعل الماضي المبني على الفتح، وكذلك تدخل على الجمل الاسمية؛ فتنصب المبتدأ، وترفع الخبر، وكذلك الفعل فإنه يرفع الفاعل وينصب المفعول، ومعانيها معاني الأفعال؛ فإنّ تفيد التوكيد، وكأنّ التشبيه، ولكنّ الاستدراك، ولعل الترجي، وليت التمني[4]، وكذلك يتصل بها نون الوقاية[5] وأشبهت الفعل كذلك لاتصال الضمير بها على حد اتصاله بالفعل، كقولك: إنه، ليتني[6].

ويتناول الباحث هذه الحروف كلا منها في مطلب، باستثناء حرف ليت فهو غير موجود في سورة البقرة موضع الدراسة، على النحو الآتي:

---

[1] الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج298/2.

[2] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ج21/1.

[3] ينظر: سيبويه، أبو بشير بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، ج279/1، ابن السراج، الأصول في النحو، ج229/1.

[4] ابن السراج، الأصول في النحو، ج230/1، وينظر: المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال (ت:479هـ)، شرح عيون الإعراب، تح: عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب –القاهرة، ط1، 2007م، ص117.

[5] المالقي، رصف المباني، ص203.

[6] ينظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 384هـ)، معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم العشى حسونة، المكتبة العصرية – بيروت، 1435هـ، 2014م، ص143.

المطلب الأول: حرف (إنّ)

مكسور الهمزة، مشدد النون من حروف النواسخ، فهو يدخل على الجمل الابتدائية؛ **لتوكيد** نسبة المسند إلى المسند إليه، **ونفي الشك**، والإنكار لها[1].

ويأتي (إن) **للتحقيق والتعليل، ويكون جواباً بمعنى "نعم"** فيقع بعد الطلب والخبر، كقول القائل: اضرب زيداً فتقول: إنّه، أي: نعم[2]، ويكون صلة للقسم[3] ويكون دخولها على الجملة الاسمية للتوكيد عوضاً عن تكرير الجملة، وإن دخلت اللام في خبرها صارا، إن واللام، عوضاً من تكرير الجملة ثلاث مرات[4]. ويأتي بمنزلة أجل[5] ويكون بمعنى الاستئناف وما جرى مجراه؛ لأن الحكاية بعد القول تجري مجرى الاستئناف، تقول: قلت: زيد منطلق، وكذلك إذا دخل في خبرها لام الابتداء صرفت للابتداء من أجل اللام[6]. وتكسر همزة إن في مقام التعليل على أن التعليل بجملة (إن) ومعموليها، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴿٧٠﴾﴾[البقرة: 20][7]، وهي لتوكيد مضمون الجملة.

وبعد الحديث عن معاني (إنّ)، يتناول الباحث هذا الحرف من حيث عدد وروده في سورة البقرة، ومعناه عند الالزمخشري وأبو حيانين الزمخشري وأبي حيان، فقد تكرر في سور البقرة ثمان وثمانين مرة[8]. تحدث الزمخشري عن موقعين منها، أفادت "إن" فيهما التوكيد[9]، شاركه في هذين الموقعين أبو حيان[10]، وأشار

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج463/1، والمرادي، الجنى الداني، ص397، وابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله(ت:761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل –بيروت، ط5، 1979م، ج328/1.

[2] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص30، والمالقي، رصف المباني، ص198–204، وأبو حيان، البحر المحيط، ج75/1.

[3] الزجاجي، حروف المعاني، ص56.

[4] ينظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدا لله(ت:616هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر –دمشق، ط1، 1416هـ، 1995م، ج205/1.

[5] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج151/3.

[6] ينظر: الرماني، علي بن عيسى بن علي (ت: 384هـ)، رسالة منازل الحروف، تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر –عمان، ص58.

[7] ينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث –القاهرة، 1425هـ، 2004م، ج500/1.

[8] ينظر: الشريف، محمد حسن، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م، ج404/1–406.

[9] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج71/1،73.

[10] ينظر: أبو حيان، ج198/1،202.

تلميحاً في موقع ثالث إلى أنها أفادت التوكيد. ولم يعرض لمعاني هذا الحرف في بقية المواضع؛ ولعله اكتفى بما ذكر، ولم يشر لغير معنى التوكيد. في حين أن أبا حيان قد ذكر معنى التوكيد لهذا الحرف في اثني عشر موضعاً[1]، وأنه أفاد معنى التعليل في ثمانية مواضع[2]. وكان قد أوضح المعاني التي يفيدها حرف (إن) في أول ورود له في سورة البقرة، وهذا دأبه، في الأغلب الأعم، في كل لفظة عند أول ورود لها من حروف المعاني وغيرها.

ولم يذكر أبو حيان غير هذين المعنيين: التوكيد، والتعليل لحرف (إنّ) في سورة البقرة. وغالب ورود معنى التعليل لهذا الحرف في فواصل الآيات التي ورد فيها هذا الحرف.

وهاك أمثلة على هذه المعاني من تفسيري الزمخشري وأبي حيان.

الآية الأولى: يقول المولى عز وجل مؤكداً معية المنافقين لشياطينهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾[البقرة: 14].

بين الزمخشري، في تفسيره على أسلوب الفنقُلة[3]، أن مخاطبة المنافقين للمؤمنين كان بالجملة الفعلية من غير توكيد؛ لأن الإيمان لا يبدو منهم، وليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك عليه، في حين كانت مخاطبتهم إخوانهم اليهود منبئة عما في أنفسهم من الثبات على اليهودية، إذ جملة (إنا معكم) اسمية تدل على الثبوت، وقرارهم على اعتقاد الكفر، والبعد عن الزلل عنه، وهذا نابع من صدق رغبة، ووفور نشاط، فهو قول رائج عنهم متقبل منهم؛ لذا كان مظنة للتحقيق، ومئنة للتوكيد[4].

---

[1] أبو حيان، ج1/170،198، 202، 264، 320، 419، 429، 531، 538، 582، 601، 613.

[2] المصدر السابق، ج1/613، 654 مثلا.

[3] كلمة منحوتة من سؤال افتراضي وإجابة عنه، يعبر عنه بقولك: فإن قلتَ: ... قلتُ: ... ينظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000، ص294.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/73.

وإذا ما نظرنا إلى قول أبي حيان في الآية، نجد أنه لا يبتعد كثيراً عن قول الزمخشري إذ بيّن أن المنافقين أخبروا المؤمنين بمطلق الإيمان من غير توكيد؛ لأن مقصودهم الإخبار بحدوث ذلك منهم، لا في ادعاء أنهم الوحيدون فيه، ولو أكدوه لما راج ذلك على المؤمنين، لكن حين ذكر خلوهم إلى شياطينهم أخرجوا الخبر في جملة اسمية مؤكدة بإن؛ ليدلوا بذلك على ثباتهم في دينهم[1].

فهم صادقون في معيتهم مع يهود، ثابتون على ذلك؛ لذا تم تأكيد ذلك بأقوى أدوات التوكيد (إنّ)، حيث أكدت نسبة هذه المعية. وهذا ما نراه اليوم من بعض المنافقين من التشدق بالوطنية، وحب الأوطان، وحقيقة الواقع مكذبة ذلك، مظهرة المعية مع اليهود. فحرف (إن) أفاد التوكيد عند الزمخشري وأبي حيان.

الآية الثانية: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾[البقرة: 12]. قال الزمخشري: "والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا، وإن من التأكيدين وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل"[2]. المؤكدات في هذه الآية: ألا التنبيهية، وإنّ، وضمير الفصل هم، وتعريف المفسدين بأل. فحرف إن شارك في تأكيد إسناد وصف الإفساد للمنافقين، وهو أقوى حروف التوكيد، وهذا من أبلغ الرد عليهم إذ زعموا أنهم هم المصلحون.

الآية الثالثة: عند حديث القرآن عن تحويل القبلة، ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: 143]، وقد بين أبو حيان أن هذا التعقيب يجري مجرى التعليل لما قبله، فمن لطفه سبحانه، وسعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم، أو لم يجعل فيه مشقة على الذين هداهم الله، أو لا يضيع إيمان من آمن، والأخير أظهر[3]. فالله عز وجل من رحمته بالناس ألا يجعل عليهم حرج في الدين، ويختار لهم الأوفق من الشرع، ويأجرهم ولا يضيع إيمانهم. حرف (إنّ) أفاد عند أبي حيان في هذه الآية التعليل، وذكر

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج202/1.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج63/1

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج600/1-601. وينظر كذلك: ج418/1-419 آية (70)، ج665/1 آية رقم (173)، ج110/2 آية (199) من سورة البقرة.

أموراً ثلاثة لهذا التعليل، أن الله تعالى أمرهم بالتحول من قبلة بيت المقدس إلى قبلة أبينا إبراهيم عليه السلام، أو ليس في هذا مشقة على الذين هدى الله، أو من مات قبل تحويل القبلة لا يضيع أجر صلاته إلى بيت المقدس، وقد رجح أبو حيان الثالث[1]. ولم يكن للزمخشري تعليق على هذه الآية[2].

فالتعليل كان بجملة (إن) ومعموليها، وهذا كقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾[الحج: 1] فالله أمرهم بالتقوى؛ لأن زلزلة الساعة أهل لأن تُتَقى.

المطلب الثاني: حرف (أنّ)

حرف (أنّ) مفتوح الهمزة مشدد النون يأتي **لتوكيد الخبر وتقريره**، فهو "لتوكيد النسبة، ونفي الشك عنها، والإنكار لها"[3]. ويأتي **بمعنى لعل**، تقول: السوقَ أنّا نشتري غلاماً، أي: لعلنا نشتري غلاماً[4].

ويكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر ومعناه، كقولك: يسرني أنك خارج، أي: يسرني خروجك[5]، "وتفتح همزة (أَن) على تقدير لام العلة"[6]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ قال العكبري: "إذا فتح الهمزة صار التقدير: لا تتبعوه لأنه لكم عدو"[7] وهو توكيد لمضمون الجملة، ويقلب الجملة إلى حكم المفرد[8].

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج601/1.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج188/1.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج328/1.

[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج123/3، والزجاجي، حروف المعاني، ص57.

[5] ينظر: الرماني، منازل الحروف، ص58.

[6] عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج500/1.

[7] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج139/1.

[8] ينظر: الزمخشري، المفصل، ج390/1.

وقد تكرر حرف (أنّ) في سورة البقرة ثلاثاً وثلاثين مرة.[1] ذكر الزمخشري له معنى التعليل في موضع واحد[2]، ولم يذكر له معنى التوكيد في أي من مواقع وروده في سورة البقرة. في حين ذكر أبو حيان إفادة حرف (أنّ) معنى التعليل في موضعين[3]، وقدّره مع معموليه بالمصدر في موضع[4]، وسد هو ومعموليه مسد مفعولين في ثلاثة مواضع[5]. والتمثيل على هذه المعاني من تفسيري الزمخشري وأبي حيان فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾[البقرة: 77]. قال أبو حيان: "يحتمل أن يكون مما سدّت فيه مسدّ المفرد إذا قلنا: إن يعلمون متعد إلى واحد كعرف، ويحتمل أن يكون مما سدّت فيه أن مسدّ مفعولين، إذا قلنا: إن يعلمون متعد إلى اثنين كظننت، وهذا على رأي سيبويه، وأمّا الأخفش فإنها تسد عنده مسد مفعول واحد، ويجعل الثاني محذوفاً"[6]. فجملة أن واسمها وخبرها سدّت مسد مفعولي علم إذا كانت مثل ظن التي تأخذ مفعولين، أو سدت مسد مفعول واحد إذا كانت علم تتعدى إلى مفعول واحد. والآية تضمنت توبيخ يهود الذين علموا صدق النبي محمد ﷺ وأخفوا ذلك، وكأن الله لا يعلم سرهم ونجواهم! وأكدت الآية ذلك بحرف (أنّ) الذي يفيد تقرير علم الله سبحانه بكل شيء، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾[طه:7].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[البقرة: 165] وجّه أبو حيان ما أفاده حرف (أنّ) بناء على القراءات في الآية؛ لذا سيذكر الباحث هذه القراءات أولا[7].

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج1/396-397.

[2] ينظر: الزمخشري، ج1/277.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/645، ج2/121، آية165، وآية 203.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/503، آية 103.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/441، 645، ج2/56، آيات: 165،77، 187.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/441.

[7] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج2/224.

قراءة (يرى):

1. قراءة الخِطاب (تَرى)، وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب.
2. قراءة الغيب (يُرى)، وهي قراءة الباقين.

قراءة (يرون):

1. قراءة ابن عامر (يُرون) بضم الياء، لما لم يسمّ فاعله.
2. قرأ الباقون (يَرون) بفتح الياء، مبني للمعلوم.

قراءة (أن) في (أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب):

1. قرأ أبو جعفر ويعقوب (إنّ) بكسر الهمزة فيهما.
2. قرأ الباقون (أَنّ) بفتح الهمزة فيهما. وكلها قراءات متواترة.

أوضح أبو حيان أن جواب لو مقدر أمّا آخر الكلام، أو قبل (أنّ القوة لله جميعاً). فإذا كان تقديره آخر الكلام، وكانت (أنّ) مفتوحة فقد كان توجيهها، كما يذكر أبو حيان، على تقديرين: أحدهما: أن تكون معمولة ليرى في قراءة من قرأ بالياء، أي: ولو رأى الذين ظلموا أن القوة لله جميعا، وحينها تكون (يرى) بمعنى علم متعدية لمفعولين، سدت أنّ مسدهما. ثانيهما: (أنّ) مع قراءة (ترى) بالتاء، تكون مفعولاً لأجله، أي: لأن القوة لله جميعاً[1]. ولو رأى الذين ظلموا أن أندادهم التي يحبونها أشد من حبهم لله لا تنفعهم بشيء؛ لعلموا أنّ القوة جميعها لله وحده، فهو الضار النافع، ولا تملك الأنداد الحجرية أو البشرية التي اتخذوها آلهة من ذلك شيئا.

ونسبة القوة جميعها لله سبحانه، وتقرير العذاب الشديد وتأكيده له وحده بحرف (أنّ) المؤكد ومعموليها كمصدر مؤول؛ فيه دفع لمتخذي غير الله أنداداً ألا يغتروا بقوة هذه الأنداد مهما بلغت، وأنها أوهن من بيت العنكبوت

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج645/1.

لو كانوا يعلمون، ولن تغني عنهم من الله شيئاً، وتكرير (أنّ) فيه توكيد لفظي كذلك. كما وأن إظهار اسم الجلالة في موطن الإضمار فيه إلقاء للروعة والهيبة في النفس. وكذلك حذف جواب لو؛ لتذهب النفس في الذين ظلموا كل مذهب حين يرون العذاب، لعظم ما يلاقونه. كل هذا؛ ليناسب عظم جعل الند لله سبحانه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾[البقرة: 196]. بين الزمخشري أن علة الأمر بالتقوى علمكم أن الله شديد العقاب، فقال عند هذه الآية: "(واعلموا أنّ الله شديد العقاب) لمن خالف؛ ليكون علمكم بشدة عقابه لطفاً لكم في التقوى"[1]. على تقدير لام العلة، أي: اتقوا الله في التزام ما أمركم به، وما نهاكم عنه في الحج وغيره؛ لأنكم تعلمون أن الله شديد العقاب، فهذا العلم دافع لكم إلى تقواه.

المطلب الثالث: حرف (لكنّ)

وهو حرف خماسي البنية، ويكون "**للاستدراك والتوكيد**"[2] والاستدراك: "هو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه"[3].

ويتوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإيجاباً، إذ يستدرك به النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي، فحكم ما بعده مخالف لحكم ما قبله[4]، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ١٠٢﴾[البقرة: 102]. فحكم الكفر منفي عن سليمان عليه السلام ومثبت للشياطين. ويستدرك به ما كان مستغنياً، أي أن ما بعده كلام مستغن.[5] نحو قولك: جاء خالد، ولكن محمد لم يأت. وإذا خفف (لكن) لا يصح إعماله عند أبي حيان[6].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج227/1.

[2] ابن هشام، أوضح المسالك، ج328/1.

[3] ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (ت: 761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383هـ، ص148.

[4] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص398.

[5] ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت:285هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب –بيروت، 1431هـ، 2010م، ج108/4، وابن يعيش، شرح المفصل، ج80/8.

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج495/1.

وقد تكرر حرف (لكنّ) المشدد سبع مرات في سورة البقرة[1]. وأفاد الاستدراك عند الزمخشري وأبي حيان[2].

أمّا حرف (لكنْ) المخفف من المشدد فقد تكرر ثماني مرات في سورة البقرة[3]. وقد اتفق الزمخشري وأبو حيان على أفادته الاستدراك، والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة: 177]..

المعنيّ بهذه الآية اليهود والنصارى، ذلك أنهم تجادلوا في أمر القبلة، فاليهود تصلي قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق، وزعم كل من الفريقين أن البِرَّ التوجه إلى قبلته، فنزلت، وهذا رواه الطبري عن قتادة[4]. وهذا سبب نزول صريح كما هو مبين من حرف الفاء في قول قتادة: (فنزلت).

وكانت الآية تناولت أصناف البر، الواجب على المسلم صرف همته لها، وقد ذكرت الآية من أصنافه أركان الإيمان، وإيتاء المال على حب له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كركنين من أركان الإسلام، والوفاء بالعهد، والصبر في حال البؤس والفقر، وفيما يصيب نفسه من مرض، وحين لقاء العدو كأخلاق؛ فهؤلاء هم الصادقون المتقون. قال الزمخشري: "ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به، وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الأعمال"[5]. وقال أبو

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج926/1.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج265/1، وأبو حيان، البحر المحيط، ج198/1، 201، 495، ج5/2، 236، 260، 284.

[3] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج923/2.

[4] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج337/3-338.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج203/1.

حيان: "ومضمون الآية أن البر لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب، بل بمجموع أمور"[1]، وذكرها كما في الآية موضحاً إياها.

الحرف "لكنّ" أفاد معنى بل التي هي للإضراب، إذ سبقها نفي (ليس البر)، وتبعها إثبات (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر...). فحرف (لكنّ) أفاد نفي ما مضى، وهو أن يكون البر هو التولية قبل المشرق والمغرب، وأثبت موجبا لَحِقَه، وهو أن البر من قام بهذه الأعمال العظيمة من أركان العقيدة، وأركان الإسلام، وأصول الأخلاق.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[البقرة: 57]. قال أبو حيان: "لمّا تقرر أنه قد وقع منهم ظلم، فلمّا نفي ذلك أن يصل إلى الله تعالى بقيت النفس متشوفة ومتطلعة إلى ذكر من وقع به الظلم؛ فاستدرك بأن ذلك الظلم الحاصل منهم إنّما كان واقعاً بهم"[2]. فبنو إسرائيل أنعم الله عز وجل عليهم بالظل من الحر الشديد، وإنزال المن والسلوى، وكان الأجدر بهم شكر هذه النعم، إلا أن جبلتهم في الجحود والنكران هي الغالبة عليهم؛ فجحدوا النّعم، ولم يؤدوا شكرها؛ فكان هذا ظلماً منهم لأنفسهم. فجاءت الآية الكريمة بحرف (لكن) الذي نفى أن يصل ظلمهم إلى الله تعالى، واستدركت بأن هذا الظلم لا يحيق إلا بأهله، وإيجاب ذلك على أنفسهم.

فحرف (لكن) حرف ابتداء أفاد الاستدراك، وقد وليه جملة فعلية[3]. ولم يعلق الزمخشري على (لكن) هنا[4].

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج2/5

[2] المصدر السابق، ج1/376.

[3] ينظر: الحمد، علي توفيق، والزعبي، يوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل –إربد، الأردن، ط2، 1414هـ، 1993م، ص283.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1ورد/127.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴿٢٧٢﴾﴾[البقرة: 272]..

سبب نزولها ما رواه الحاكم عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم، وهم مشركون، فنزلت... قال: فرخص لهم"[1].

فحرف لكن وقع بين متضادين: الهدى مقابل الضلال في الظاهر، أي ليس عليك خلق الهدى في قلوبهم، حتى تمنعه من الصدقة؛ لأجل دخولهم في الإسلام، فتصدق عليهم، وهداية قلوبهم على الله، وما عليك إلا البلاغ[2].

في حين جعل الزمخشري الهدى مقابل المنّ والأذى والإنفاق من الخبيث، أي: لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى حد الانتهاء، عن المن والأذى، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب فالله يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه، فينتهي عما نهي عنه[3].

فالمتضادان، اللذان جاءت (لكن) بينهما، مستدركة على السابق وهو النفي (ليس عليك هداهم)، ومفيدة اللاحق وهو (ولكن الله يهدي من يشاء)، اختلف الزمخشري وأبو حيان فيهما، فعند الزمخشري الهدى يقابله المن والأذى والإنفاق من الخبيث، في حين أن عند أبي حيان الهدى يقابل الضلال وهو الكفر. والذي قاله الزمخشري هو على طريقته الاعتزالية في أن العبد يخلق أفعاله، وقد ردّ ابن المنير هذا الاعتقاد بأن اللطف

---

[1] قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت:405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م، كتاب التفسير، بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، رقم الحديث (3128)، ج313/2. وهو صحيح، ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 748هـ)، تلخيص المستدرك، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1340هـ، ج285/2.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج340/2.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج296/1.

الحقيقي هو أن الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هدايته، لا كما يزعم الزمخشري بأن لطف الله هو الحامل للعبد على أن يخلق هداه[1].

والراجح ما قاله أبو حيان من أن الضلال هو ضد الهدى في هذه الآية يؤيد ذلك سبب النزول الوارد في الآية، وكذلك العبد لا يخلق أفعاله؛ فهداية التوفيق ليست بيد العبد يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[القصص: 56]، أمّا هداية التبليغ والإرشاد فالنبي محمد ﷺ مكلف بها يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى: 52]، والعبد لا يخلق شيئاً، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾[الزمر: 62]. فهداية التوفيق منفية عنه ﷺ ثابتة لله تعالى.

المطلب الرابع: حرف كأنّ

وهو من الحروف المركبة، إذ إنها: "إنّ" لحقتها كاف التشبيه؛ فصارت بمنزلة كلمة واحدة[2]، **ويفيد التشبيه المؤكد**[3]، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾[المنافقون: 4] ولها ثلاثة أوجه: **التشبيه، والشك، وتكون مخففة**، فهي تشبيه إذا وقعت على الأسماء، كقولك: كأن زيداً أخوك، وتكون شكاً إذا كان خبرها مشتقاً من الفعل، كقولك: كأن زيداً منطلق[4].

وقد أوضح السهيلي أنها تدل على التشبيه، وهو معنى في نفس المتكلم، يقع على الاسم بعدها، تخبر عنه أنه مشبه غيره، فصار معنى التشبيه مسنداً إلى هذا الاسم[5]. وذكر ابن هشام أن لها أربعة معان: **التشبيه**، وهو الغالب عليها، **والشك، والتحقيق، والتقريب**[6].

---

[1] ينظر: ابن المنير، أحمد، الانتصاف، دار الحديث –القاهرة، 1433هـ، 2012م، ج296/1.

[2] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج151/3.

[3] ينظر: المبرد، المقتضب، ج108/4، وابن هشام، أوضح المسالك، ج328/1.

[4] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص28–29.

[5] ينظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت:581هـ)، نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م، ص265.

[6] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص258–259.

والمخففة (كأنْ) غير عاملة، ليس هذا محل دراستها، ولم ترد في سورة البقرة. في حين ورد حرف (كأنّ) المشدد في سورة البقرة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 101].

تتحدث الآية عن بني إسرائيل الذين نبذوا التوراة التي وصفت النبي ﷺ فجاءت صفاته كما ذكرت التوراة، ونزل عليه القرآن الذي صدق ما في التوراة من أصول التوحيد والدين، وأمرتهم التوراة باتباعه ﷺ، وهم يعلمون ذلك كله، ولكنهم كابروا وعاندوا وطرحوه وراء ظهورهم. يقول الزمخشري: "عِلْمُهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم، مثل لتركهم وإعراضهم عنه، مثل بما يرمى به وراء الظهر؛ استغناء عنه وقلة التفات إليه"[1].

ففي الآية تشبيه من رسخ في العلم، ولم يعمل به كمن جهل، وأبان هذا حرف (كأنّ). يقول أبو حيان: "وهو تشبيه لمن يعلم بمن يجهل؛ لأن الجاهل بالشيء لا يحفل به ولا يعتد به؛ لأنه لا شعور له بما فيه من المنفعة... أي: كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك لثبوت ذلك عندهم وتحققه، وإنّما نبذوه على سبيل المكابرة والعناد"[2]. أفاد حرف (كأنّ) هنا التشبيه.

فالأصل العمل بالعلم، ومن لم يعمل بما علم، كان كمن لا يعلم، وكانا في الجهل سواء، وهكذا كان بنو إسرائيل الذين عرفوا النبي ﷺ أكثر من معرفتهم أبناءهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾[البقرة: 146] فكتم فريق منهم الحق وهم عالمون بذلك: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ

[1] الزمخشري، الكشاف، ج162/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج494/1.

ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 146]، ولمّا كان تمكنهم من العلم وصل لهذا الحد؛ ولم يكن منهم عمل بذلك ولا انتفاع، استحقوا التشبيه بالجهلة ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 101].

المطلب الخامس: حرف (لعل)

وهو من الحروف العاملة، وجاء لمعان عدة. **فهو لتوقع أمر محبوب ترجوه**، أو مكروه تشفق منه؛ فهو إطماع وإشغاف[1] أي بمعنى **الترجي**، أو الخوف. ويأتي بمعنى **التمني** كليت، **والتعليل** بمعنى كي، **والاستفهام**[2].

ومن أوجهه **الشك**، وهو بمنزلة عسى، كقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾[غافر: 36] والإيجاب، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[الطلاق: 1][3]، ويأتي **بمعنى كأن**، كقوله سبحانه: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾[الشعراء: 129][4].

ومن أمثلة التعليل كمعنى لعل، قوله سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾[الأنبياء: 58]. فعدم كيد إبراهيم عليه السلام بمعبودهم الكبير دون غيره، علته رجوع قومه إلى هذا الصنم لسؤاله، وإقامة الحجة عليهم بعدم استحقاقهم العبادة. ومن أمثلة معنى الاستفهام قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبٗا﴾[الأحزاب: 63]، ومن أمثلة توقع محبوب ترجياً، قوله سبحانه عن تصريف

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/233، والهروي، الأزهية في علم الحروف، ص217-218، وابن هشام، مغني اللبيب، ص363-364.

[2] ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م، ص124، وابن نور الدين، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب(ت:820هـ)، مصابيح المغاني في حروف المعاني، تح: جمال طلبة، ط1، 1415هـ، 1995م، ص303-304.

[3] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص30، والهروي، الأزهية، ص217.

[4] ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت:598هـ)، نزهة الأعين النواظر في علوم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م، ص530.

الوعيد في القرآن، رجاء التقوى والتذكر، إذ قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[طه: 113].

وقد ورد حرف لعل في سورة البقرة سبع عشرة مرة[1]. جاء بمعنى الترجي، والتعليل عند الزمخشري وأبي حيان[2]، وهاك أمثلة على ذلك.

الآية الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:21]. هذه الآية اختلف الزمخشري وأبو حيان في متعلق (لعل) فيها، فقد أوضح الزمخشري[3] أن معنى (لعل) لا يحمل على رجاء الله تقواهم؛ لأن الرجاء لا يجوز عليه سبحانه، فهو عالم الغيب والشهادة، ولا يحمل على أن يخلقهم راجين للتقوى، فليس هذا بسديد، لكنها واقعة موقع المجاز. وجعل الزمخشري متعلق (لعلكم تتقون) هو (خلقكم)؛ لأن التقوى قصارى أمر العابد، ومنتهى جهده، فليست التقوى غير العبادة. فإذا قال: (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) للاستيلاء على أقصى غايات العبادة؛ كان أبعث على العبادة، وأثبت لها في النفوس.

أمّا عند أبي حيان[4] فالحرف (لعل) يعني الترجي والإطماع بالنسبة للمخاطبين؛ لأن الترجي لا يقع من الله سبحانه إذ هو عالم الغيب والشهادة. ومتعلقها (اعبدوا ربكم) كأنه قال: إذا عبدتم ربكم رجوتم التقوى.

وحين تحرير محل النزاع بين المفسريْن نراه في متعلق (لعلكم تتقون)، فالزمخشري يرى أن المتعلق هو(خلقكم)، في حين أن أبا حيان يراه: (اعبدوا ربكم).

وحجة الزمخشري[5] أن الله خلق الخلق ليتعبدهم بالتكليف، وجعل فيهم العقول والشهوات، وهداهم النجدين، ومكنهم من الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى، فهم في صورة من يرجى منه التقوى؛ ليترجح أمره، كترجح

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ج928/2.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج234/1، 359، 361، 373، 407، 425، 616.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج93/1-94.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج156/1.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج93/1-94

حال المترجي بين أن يفعل وأن لا يفعل. واستدل على ذلك بقوله سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، فالذي يبلو هو الذي تخفى عليه العواقب، ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار. وجعل التقوى هي العبادة، إذ هي قصارى أمر العابد، فإذا قال: (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) للاستيلاء على أقصى غايات العبادة؛ كان أبعث على العبادة، وأثبت لها في النفوس.

أمّا دليل أبي حيان[1] فهو أن الذي نودوا لأجله هو الأمر بالعبادة؛ فناسب التعلق بها، أمّا الموصول وصلته فجيء به على سبيل المدح للذي تعلقت به العبادة، لا ليحدث عنه، وجيء بالصلة (خلقكم) لتتميم ما قبلها، فلا يتعلق بها ترجٍّ، وإذا تعلق بقوله (اعبدوا) كان موافقاً، وفيه الرجاء.

ورد أبو حيان على سؤال الزمخشري: فهلا قيل: تعبدون لأجل (اعبدوا) أو اتقوا لمكان (تتقون)؛ ليتجاوب طرفا النظم؟ بأنه لا يمكن هنا تجاوب طرفي النظم؛ لأن المعنى يصير: (اعبدوا ربكم لعلكم تتقون)، واتقوا ربكم لعلكم تتقون، ولا يخفى ما في هذا من غثاثة اللفظ، وفساد المعنى، والقرآن منزه عن ذلك. والمعنى الصحيح: أنهم أمروا بالعبادة على رجائهم عند حصولها حصول التقوى لهم، وعليه فالعبادة ليست التقوى نفسها. والاتقاء احتراز عن المضار، والعبادة فعل المأمور به، وليسا سيّان. ولو خلقوا وهم راجون للتقوى؛ لكان ذلك مركوزاً في جبلتهم، فلا يقع منهم إلا التقوى، والواقع ليس كذلك؛ فالمعاصي هي الأكثر.

وحين النظر، بعد هذا، في أقوال بعض المفسرين نجد أنهم ذهبوا إلى تعلق (لعلكم تتقون) بقوله (اعبدوا)، وهذا عند السمين الحلبي[2]، والقرطبي[3]، وابن عاشور[4]. أمّا ابن عطية فلم يجزم تعلقها حيث قال: "إذا تأملتم

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/235-236.

[2] ينظر: السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج1/189.

[3] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن بكر (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار الكتب العلمية –الرياض، 1423هـ، 2003م، ج1/158.

[4] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/328.

حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لأنفسكم التقوى، و(لعلكم) متعلقة بقوله: (اعبدوا ربكم)، ويتجه تعلقها ب (خلقكم)، أي: لمّا ولد كل مولود على الفطرة فهو إن تأمله متأمل توقع له، ورجا أن يكون متقياً"[1].

بعد هذا، فالراجح أن متعلقها هو (اعبدوا ربكم)؛ ذلك أن الغاية من الخلق هو العبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56]. والعبادة وسيلة موصلة لتقوى الله تعالى، ومثال ذلك عبادة الصيام، يقول المولى عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 183]، وربط بين العبادة والتقوى في قوله سبحانه: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون: 32][2]، ومن غايات الصلاة: الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، يقول المولى عز وجل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[العنكبوت: 45].

الآية الثانية: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[البقرة: 53].

قال أبو حيان: "ترجية لهدايتهم"[3]، فحرف لعل بمعنى الرجاء، وهذا المعنى حين تكون (لعل) في المحبوبات. ولم يكن للزمخشري بيان لحرف(لعل) في هذه الآية[4].

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1/318-319.

[2] ينظر كذلك: البقرة: 63، 177، 179، الأنعام: 51، الأعراف: 161، وغيرها.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/361.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/135

المبحث الثاني: حروف الجر

هي حروف لا تدخل إلا على الأسماء، وهي من أكثر حروف المعاني تداولاً في اللغة، وقد عرفها الجرجاني بقوله: "ما وضع لإفضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه، نحو: مررت بزيد، وأنا مار بزيد"[1]. وهي التي توصل معنى الفعل إلى الاسم، نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[البقرة: 7]، وتوصل الاسم إلى الاسم نحو: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾[الأعراف: 128]. وتدخل على الأسماء دون الأفعال، كما تدخل على الاسم الظاهر والضمير.

وتسمى حروف جر؛ لأنها تجر اسماً إلى اسم، وتسمى بحروف الإضافة؛ "لأن وضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء"[2]، وليضاف بها الأسماء والأفعال إلى ما بعدها[3]. وتسمى كذلك بحروف الصفات، لأنها تحدث صفة في الاسم، فقولك جلست في الدار، دلت (في) على أن الدار وعاء للجلوس، أو لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات[4]. فهي حروف جر من حيث أثرها، وحروف إضافة من حيث معناها، ومن حيث الصفات فهي تدل على المجاوزة، والظرفية[5]، والاستعلاء، وغيرها كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهذه هي العلاقة الدلالية في التفسير التي تؤديها هذه الحروف.

والأفعال إمّا قوية لا تحتاج إلى حروف الإضافة، أو ضعيفة عن تجاوز الفاعل إلى المفعول؛ فتحتاج إلى ما يعينها على ذلك من حروف الإضافة. يقول ابن جني: " اعلم أن هذه الحروف، أعني الباء، واللام ... إنّما جرت الأسماء من قِبَل أن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها

---

[1] الجرجاني، التعريفات، ص86.

[2] علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد (ت:730هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزودي، تح: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م، ج250/2.

[3] ينظر: المبرد، المقتضب، ج136/4.

[4] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر، ج414/2.

[5] ينظر: صفحة 88، 66، 92 من الرسالة.

وتناولها إياها، كما يتناول غيرها من الأفعال القوية الواصلة إلى المفعولين ما يقتضيه منهم بلا وساطة حرف إضافة"[1]. كقوله سبحانه: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾[يوسف: 100]، فالفعل أحسن لا يقوى بنفسه لإيصال معناه إلى ضمير الياء العائد على يوسف، عليه السلام، فاحتاج إلى حرف الباء لأجل ذلك، في حين لا يحتاج الفعل القوي لمثل هذا.

أمّا عددها فقد عدها ابن مالك في ألفيته عشرين حرفاً إذ قال:

هَـاكَ حُـروفَ الْـجَـرِّ وهِـيَ مِـنْ إلـى وحتّى خَلا حَـاشـــا عَـدا في عن على
مُـذْ مُـنْـذ رُبَّ الـلام كَـيْ وَاوٌ وَتَـا والـكـاف والـبـاء ولـعـلّ ومَـتَـى[2]

وذكر المرادي أن (لولا) حرف جر عند سيبويه، إذ يجر بها الضمير بعدها[3]، ضمير (الياء، والواو، والكاف)، لولاك، لولاي، لولاه.

وتقسم إلى أقسام ثلاثة[4]:

1. حروف الجر الأصلية: وهذه تؤدي معنى جديداً في الجملة، وهي: (من، حتى، في، عن، مذ، منذ، اللام، كي، الواو، التاء، الكاف).
2. حروف الجر الزائدة: وهذه تقوي المعنى القائم في الجملة، ولا تفيد معنى جديداً، وهي: الباء، واللام، والكاف، ومن.
3. حروف شبيهة بالزائدة: وتفيد الجملة معنى جديداً مكملاً لمعنى موجود. وهي: رُبّ، وخلا، وعدا وحاشا.

ولم ترد مذ، ومنذ، وخلا، وعدا في القرآن الكريم، أمّا رُبّ فلم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة مخففة في سورة الحجر وذلك في الآية الثانية، أمّا حاشا فقد وردت مرتين فقط في سورة يوسف وذلك في آيتي (31،

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت:392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م ج135/1.
[2] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص34.
[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص603.
[4] ينظر: قيس، أحمد، الكامل في النحو والصرف والإعراب، دار الجيل –بيروت، ط2، 1974م، ص171–172.

51). وفيما يتعلق بحرف الواو الذي للقسم فقد ورد في سورة البقرة ثماني مرات[1] إلا أن الزمخشري وأبا حيان لم يذكرا له دلالة في أي من هذه المواضع؛ وعليه فلا يكون له مجال للدراسة في هذا المبحث، وكذلك تاء القسم؛ لخلو سورة البقرة منه، وكذلك الحال فيما يتعلق ب (كي، ولعل، ومتى) الجارة.

وعليه؛ فيندرج تحت هذا المبحث مطالب تسعة، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: حرف الجر (مِنْ)

يعد هذا الحرف من الحروف التي تتألف من الميم والنون، مكسور الأول، مبني على السكون. وهو حرف جر، يجر الاسم الظاهر والمضمر، ويكون: زائدا، وغير زائد[2]. وقد ذكر ابن مالك معانيه في ألفيته، فقال:

بـعِّـض، وبـيّـن، وَابْـتَـدِئْ فـي الأمـكـنـة بـمـن وقـد تـأتـي لِـبَـدْءِ الأَزْمِـنَـة
وَزِيـدَ فـي نَـفْـيٍ، وَشِـبْـهِـه فـجَـرّ نَـكِـرةً كـمـا لـبـاغٍ مـن مَـفَـرّ[3]

ومن معاني حرف (من) غير الزائد:

1. **ابتداء الغاية**[4]، كقولك: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[البقرة: 279][5]. وهذا المعنى هو الغالب عليه. ويكون لابتداء الغاية وانتهائها[6]، ويأتي في المكان نحو: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[الإسراء:1]، وفي الزمان بدليل: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة: 108][7]، ولا يكون لابتداء الغاية في الزمان عند أبي حيان[8].

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج3/1150-1159.

[2] ينظر: الحمد والزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص315، ويعقوب، إميل بديع، موسوعة الحروف في اللغة العربية، دار الجيل، بيروت، ط2، 1415هـ، 1995م، ص466.

[3] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص35.

[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/224، والمبرد، المقتضب، ج4/136.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج2/353.

[6] ينظر المالقي، رصف المباني، ص388.

[7] ينظر: ابن هشام، المغني، ص399.

[8] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج4/1718.

2. **التبعيض:** وعلامة ذلك أن يسد مكانه كلمة (بعض)، وأن يعم ما قبله الذي بعده إذا حذف، كقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:3]، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:92][1]، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود: بعض ما تحبون[2]، وهي قراءة تفسيرية شاذة؛ لمخالفتها الرسم العثماني.

3. **بيان الجنس:** "وكثيراً ما يقع بعد (ما ومهما)، وهما به أولى؛ لإفراط إبهامهما. نحو: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[البقرة: 106]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾[الأعراف: 132]، وهي ومخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال"[3]. "ولها علامتان: أن يصح وضع (الذي) موضعها، وأن يصح وقوعها صفة لما قبلها... أن تذكر شيئاً تحته أجناس، والمراد أحدها"[4]. وتعرف بأن يكون مجرورها مفسراً لمبهم قبلها، أو بعدها، ويقع اسم ذلك المجرور على ذلك المبهم[5].

4. **التعليل،** وقدّرها الزركشي باللام نحو: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾[نوح: 25][6]، أي: لأجل خطيئاتهم أغرقوا. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾[البقرة: 202][7]. ويأتي صفة، وموضع الصفة يكون للتبعيض[8]، نحو: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة: 23][9]. وبمعنى **البدل،** نحو

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج53/1، أبو حيان، البحر المحيط، ج165/1.

[2] ينظر: ابن هشام، المغني، ص400، الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، 1391هـ، ج416/4.

[3] ابن هشام، المغني، ص400.

[4] الزركشي، البرهان، ج417/4.

[5] ينظر: الرضي الأسترأباذي، محمد بن الحسن، شرح الكافية، عالم الكتب، ط1، 1420هـ، 2000م، ج9/2-10

[6] ينظر: الزركشي، البرهان، ج419/4.

[7] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج233/1.

[8] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص310.

[9] أبو حيان، البحر المحيط، ج246/1.

قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[التوبة: 38][1]، ويصلح أن يكون مكانه (عوض) بمعنى بدل[2].

5. **المجاوزة**، وتكون بمعنى (عن)، كقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: 22]، أي: عن ذكر الله[3]. وبمعنى **الفصل**، وهي الداخلة على ثاني المتضادين، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾[البقرة: 220]، أو تدخل على ثاني المتباينين من غير تضاد، نحو: لا يعرف زيداً من عمرو[4].

6. **بمعنى الغاية**، "تقول: رأيته من ذلك الموضع، فجعلته غاية رؤيتك كما جعلته غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى".[5] فمِن دخلت على المحل الذي وقع فيه ابتداء الرؤية وانتهاؤها؛ فهي غاية لما كان محيطاً بغاية الفعل؛ لأن الغاية قدر الشيء[6].

7. **بمعنى (الباء)**، نحو: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۚ﴾[الشورى: 45]، أي: بطرف خفي، **وبمعنى (في)**، كقوله تعالى: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[فاطر: 40]، **ومرادفة "على"** نحو: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾[الأنبياء: 77][7]، أو بمعناهما، أي: في، وعلى، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ﴾[البقرة: 226][8].

---

[1] ينظر: ابن هشام، المغني، ص401.

[2] ينظر: ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:672هـ)، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1، ج80/2,

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص389، والمرادي، الجنى الداني، ص401.

[4] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1720/4، يعقوب، موسوعة الحروف، ص468-469.

[5] سيبويه، الكتاب، ج225/4.

[6] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1719/4.

[7] ينظر: ابن هشام، مغنى اللبيب، ص403.

[8] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج251/1-252.

أمّا معاني حرف (من) الزائد:

فهو التنصيص على العموم لاستغراق الجنس، وتوكيده، ويشترط لزيادته ثلاثة شروط[1]: تقدم نفي، أو نهي، أو استفهام، مثل: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: 102][2]. ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[الملك: 3]، وتنكير مجروره، وكون موضعه مبتدأ، أو فاعلاً، أو مفعولاً. ولا يخرج للتوكيد عن معنى التبعيض[3].

ويعد هذا الحرف من أقوى حروف الجر، وأكثرها استعمالاً، وقد تكرر في سورة البقرة تسعاً وستين ومئتي مرة[4]. ذكر الزمخشري وأبو حيان معاني مئة وثلاث مرات من مواضع هذا الحرف، دارت حول معاني: التبعيض، وابتداء الغاية، والسببية، وبيان الجنس، والحال، وزائدة، والفصل، وبمعنى اللام، وبمعنى على أو في. وبعد هذا البيان لحرف الجر (من)، يتناول الباحث أمثلة تطبيقية عليه من سورة البقرة.

الآية الأولى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:109].

تكرر الحرف (من) في هذه الآية أربع مرات، يتناول الباحث الثلاث الأخيرة منها. (مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ) من لابتداء الغاية متعلق بـ(يَرُدُّونَكُم)، و(مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) سببية متعلقة بـ(وَدَّ)، و(مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ) من لابتداء الغاية متعلق بود. والمعنى أن أهل الكتاب تمنوا ردّة المسلمين عن دينهم، وهذه الردة مبدؤها بعد الإيمان، وأمنيتهم تلك سببها الحسد الذي في نفوسهم، لا من قبل التديّن، والميل مع الحق،

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج225/4، المرادي، الجنى الداني، ص316، ابن هشام، المغني، ص404.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج499/1.

[3] ينظر: الخضري، محمد الأمين، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة –القاهرة، ط2، 1437هـ، 2015م، ص369.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج1043/3–1048.

وابتدأت هذه الودادة من زمان وضوح الحق الذي يعلمونه، فهي على سبيل الحسد والعناد[1]. والحق الذي ابتدأ معه أمنية أهل الكتاب ردة المسلمين، هو انبعاث النبي محمد ﷺ من العرب، وكانوا يترقبون بعثته منهم، فلمّا لم يكن لهم ما ارتقبوه، حسدوا المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله.

الآية الثانية: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾[البقرة: 249].

قال الزمخشري عن دلالة (من) الأولى: "فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس مني) فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم: فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما، ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي"[2]. من الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضية. ووافق أبو حيان الزمخشري في دلالة (من) الثانية، ولم يعرج على دلالة (من) الأولى[3]. والآية تتحدث عن اختبار طالوت جنده بالشرب من النهر، فنتيجة من ابتدأ الشرب، ولم يصبر؛ خرج من الجيش، ولم يكن بعضا منه.

الآية الثالثة: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة: 100].

قال الزمخشري: "وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض"[4]. أشار الزمخشري هنا إلى معنى التبعيض. فاليهود لا يقومون على حال، ولا يحافظون على ذمة، وأيما عهد كان بيننا وبينهم يكون فيهم من ينقضه وينقصه. ولم يذكر أبو حيان عن الحرف (من) هنا شيئا[5].

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج166/1، وأبو حيان، البحر المحيط، ج518/1.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج322/1.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج273/2.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج162/1.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج493/1.

الآية الرابعة: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾[البقرة: 128].

تكلم الزمخشري عن الجار (من) فأبان أنها: "للتبعيض أو للتبيين[1] كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾[النور: 55]"[2]. أمّا أبو حيان فقال: "لمّا تقدم الجواب له بقوله: لا ينال عهدي الظالمين، علم أن من ذريتهما الظالم وغير الظالم، فدعا هنا بالتبعيض لا بالتعميم فقال: ومن ذريتنا"[3]. يتبيّن مما سبق أنهما اتفقا في دلالة (من) على التبعيض، إلا أن الزمخشري أضاف دلالتها على البيان.

محل النزاع: الزمخشري يجعل (من) مفيدة للتبعيض، وبيان الجنس، ممثلا على دلالتها على البيان بآية سورة النور، في حين أن أبا حيان قصر إفادتها على التبعيض مستدلاً بالسياق، ومستنداً إلى القول إنه لا يفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف والجار والمجرور، ومن باب أولى ألّا يفصل بينهما بالحال، وهذا مختص بالشعر ضرورة.

المناقشة: لو رجعنا إلى شرائط (مِن) البيانية؛ لوجدنا أن منها:

1. ما يأتي بعد اسم مبهم لبيان جنسه مثل (من، ما، مهما)، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾[فاطر: 2]، وندر أن يأتي بعد اسم غير مبهم، نحو: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[الحج: 30][4]. أي: الرجس الذي هو وثن، فيحسن جعل الذي مكانها[5].

---

[1] أي: بيان الجنس.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج177/1.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج559/1.

[4] ينظر: الحمد، والزعبي، المعجم الوافي، ص316.

[5] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص310.

2. يصلح تقدير كلمة (بعض) مكان (من) التبعيضية، أمّا التي لبيان الجنس فتقدر بتخصيص الشيء دون غيره[1]. كقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[الكهف: 31]، أي: من جنس الذهب، لا من غيره.

والآية موضع الدراسة لم تسبق بمبهم، ويصلح مكانها لفظة (بعض)، أي: بعض ذريتنا. ومن المفسرين الذين قالوا بالتبعيض: الطبري[2]، وابن عطية[3]، والقرطبي[4]، والسمين الحلبي[5]، وابن عاشور[6]. ولم يجزم الألوسي بإحدى الدلالتين، فمذهب أحد الفريقين لا يقوم حجة على الفريق الآخر[7].

والذي يراه الباحث أنها للتبعيض؛ للأدلة السابقة، وللسياق العام الذي ورد في القرآن الكريم أن من ذرية إبراهيم وإسحاق، عليهما السلام، محسن وظالم لنفسه، فقال سبحانه: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾[الصافات: 113].

الآية الخامسة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[البقرة: 220].

قال أبو حيان: "ومن متعلقة ب (يعلم) على تضمين ما يتعدى بمن، كان المعنى والله يميز بعلمه المفسد من المصلح"[8]. (من) هنا تعني الفصل.

---

[1] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص467.

[2] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج74/3.

[3] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج566/1.

[4] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج126/2.

[5] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج115/2.

[6] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج720/1.

[7] ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، ج383/1.

[8] أبو حيان، البحر المحيط، ج172/2

لمّا ضمن العلم هنا معنى الكشف والتمييز، عداه بحرف (من) الدال على الفصل بين المتضادين الإفساد والإصلاح. والآية تتحدث عن مخالطة مال الوصي بمال اليتيم؛ رفعاً للعنت والمشقة عنهم، وحينها بيّن الله تعالى أنه عالم بمن يفسد في هذه المخالطة، وبمن يصلح، ويجازي كلاً منهم على كسبه ونيته، وفي هذا تهديد ووعيد للمفسد، ووعد لدفع الأوصياء إلى تقوى الله تعالى في ذلك. ولم يكن للزمخشري ذكر لدلالة (من) هنا[1].

الآية السادسة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: 102].

قال أبو حيان: "ومن زائدة لتأكيد استغراق الجنس، لأن أحداً من الألفاظ المستعملة للاستغراق في النفي العام، فزيدت هنا لتأكيد ذلك"[2]. أي: وما يعلمان أيَّ أحد حتى يقولا له: إنّما نحن فتنة فلا تكفر. وقد اجتمعت هنا شرائط من الزائدة للتوكيد، فقد سبقها نفي، ومجرورها نكرة، وفي موضع مفعول. والآية تتحدث عن نفي تعليم الملكين هاروت وماروت أي أحد السحر إلّا من بعد أن يقولا للمتعلم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ تحذيراً له. ففي ذلك تأكيد لنفي التعليم إلّا من بعد إعلامهما لجميع أفراد جنس المتعلمين أن هذا اختبار وابتلاء.

المطلب الثاني: حرف الجر (في)

تحدث العلماء حول هذا الحرف تعريفاً ودلالة، فقد قال المالقي: "اعلم أن (في) حرف جارٌ لما بعده، ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازاً"[3]. وهو حرف "يجر الاسم والضمير"[4]، وهو حرف ثنائي محض، مبني على السكون.

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج246/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج499/1

[3] المالقي، رصف المباني، ص450.

[4] يعقوب، موسوعة الحروف، ص322.

ومن معانيه:

الظرفية، أو الوعاء وهو الأصل لمعانيه[1]. وتكون إمّا مكانية، أو زمانية، واجتمعتا في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[الروم: 2-4]. وتكون مجازاً كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[البقرة: 179]، أو حقيقة، كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾[البقرة: 203][2]. ويأتي بمعنى **المصاحبة**، نحو: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾[الأعراف:38]، أي: مع أمم.[3] **وبمعنى السببية:** كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾[يوسف: 32]، أي: لمتنني بسببه[4].

ويأتي **زائداً**[5] في معنى **التعويض**، كقولك: ضربتُ فيمن رغبت، أي ضربتُ من رغبتَ فيه، وبمعنى **التوكيد**، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾[هود: 41]، أي: اركبوها.

وله معنى **المقايسة:** وهو الداخل على تالٍ يُقصد تعظيمه، أو تحقير متلوه[6]، أو الداخل بين مفضول سابق، وفاضل لاحق[7]. وهو انتساب شيء إلى شيء، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ﴾[التوبة: 38].[8] فجميع ما في الدنيا من متاع، لا يساوي شيئاً إذا ما قورن بنعيم الآخرة. ويأتي بمعنى **الاستعلاء:** نحو قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[طه: 71][9] أي: على جذوع النخل.

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج226/4، والمبرد، المقتضب، ج139/4.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص250، وأبو حيان: ارتشاف الضرب، ج1725/4، وابن هشام، المغني، ص231.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص250، وابن هشام، المغني، ص231.

[4] ينظر: ابن هشام، المغني، ص232.

[5] ينظر: الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر (ت:905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، ج650/1.

[6] أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1726/4–1727، المرادي، الجنى الداني، ص250.

[7] ينظر: لوش، نور الهدى، حروف الجر في اللغة العربية بين المصطلح والوظيفة، المكتب الجامعي الحديث، 2006م، ص60.

[8] ينظر: الإربلي، علاء الدين بن علي بن بدر الدين، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، مطبعة وادي النيل –مصر، ص110.

[9] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص232

ويأتي بمعنى **(بعد)**، كقوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾[لقمان: 14]، أي: بعد عامين. ويجيء بمعنى **(إلى)**، كقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[إبراهيم: 9]، ويأتي بمعنى **(الباء)** كقوله سبحانه: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾[الشورى: 11]، أي: يكثركم به، وبمعنى **(من)** كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾[النحل:89]، وبمعنى **نحو**، كقوله سبحانه: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾[البقرة: 144][1].

وقد تكرر هذا الحرف في سورة البقرة مئة وثلاثا وعشرين مرة[2]. ذكر الزمخشري وأبو حيان معاني سبع وعشرين موضعا منها، دارت حول معاني: الظرفية، والاستعلاء، والسببية، وزائدة، وحال، وبمعنى: من، وإلى، والباء. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾[البقرة: 93].

ذكر الزمخشري أن الآية أشارت إلى أن حب العجل، والحرص على عبادته تداخلهم كما يتداخل الثوب الصبغ، ومكان الإشراب هو (في قلوبهم) كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾[النساء: 10][3].

وكان التعبير بالشرب دون الأكل؛ لأن الشرب يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، أمّا الطعام فهو مجاور لها غير متغلغل فيها، ولا يصل منه إلى القلب إلا يسير. ومن فرط شغفهم بحب العجل، فقد شدّ في قلوبهم[4]. والإشراب هنا مجازي، وهم مبالغون في حبهم عبادة العجل، وإلا فالطعام بعد تحليله يتغلغل كذلك في مناحي الجسم، ومنه القلب.

---

[1] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص82–84. الهروي، الأزهية، ص267–271، والمالقي، رصف المباني، ص451–454، ابن هشام، المغني، ص233.

[2] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج754/2–756.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج157/1

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج476/1

فالزمخشري وأبو حيان اتفقا على أن الحرف (في) أفاد الظرفية مجازاً، والقلوب مظروفة، واستدل الزمخشري بآية سورة النساء. وذكرت الآية قلوب يهود كمكان للإشراب فيها؛ لأنها موطن الاعتقاد، فقلوبهم فيها وجدت عقيدة عبادة العجل، وهذا يدل على أن المظروف أحاط بهذا الاعتقاد من كل جانب، والتعبير بالعجل دون ذكر مضاف، حب العجل، أبلغ في بيان أن العجل كله دخل قلوبهم.

الآية الثانية: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: 179]

قال الزمخشري: "(ولكم في القصاص حياة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة"[1].

فالحرف (في) أفاد الظرفية عند الزمخشري هنا. وكان أبو حيان قد علّق على الآية السابقة بقوله: "وفي القصاص متعلق بما تعلق به قوله (ولكم)، وهو في موضع الخبر... وتفسير المعنى أنه يكون لكم في القصاص حياة"[2] فحرف (في) أفاد الظرفية، والقصاص وعاء له، وتقديم الجار ومجروره (في القصاص) على مبتدأ (لكم) وهو (حياة) فيه إشارة إلى التخصيص بأن الحياة الحقيقية في حالات القتل لا تكون إلا في القصاص، وأنه لا بد من الإسراع في تنفيذه. قال الخضري: "تدعو الظرفية إلى تعجيل القصاص وعدم التباطؤ فيه، حتى لا يكون التأخر سببا في دفع أهل القتيل إلى الثأر والانتقام، ويضيع الغرض من حكمة مشروعية القصاص، وكأنه يهيب بهم أن يدفنوا القاتل في جسد المقتول قبل أن يواروه التراب"[3]. فالظرفية هنا مجازية فقد شبه القصاص بوعاء، والحياة بالموعى به، والحياة داخل هذا الوعاء، فحماها من الإهدار، أو الاعتداء عليها، سواء كان الاعتداء على النفس، أم على ما دون النفس.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج208/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج19/2

[3] الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص145.

الآية الثالثة: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾[البقرة: 177]. أوضح أبو حيان أن تعدية الصابرين إلى البأساء والضراء بفي؛ لأنه لا يمدح الإنسان على ذلك إلا إذا صار له الفقر والمرض كالظرف لا ينفك عنه، أمّا الفقر والمرض حيناً من الزمن، فلا يكاد يمدح الإنسان بالصبر عليه؛ لأن ذلك لا يخلو منه أحد. أمّا تعدية الصابرين بفي إلى ظرف زمان القتال (حين)؛ لأنها لا تكاد تدوم[1]. فجعل البأساء والضراء والوقت الذي يكون فيه قتال مكاناً للصبر. ولم يعلق الزمخشري على الظرفية في هذه الآية[2]. والتعدية بفي إلى وقت البأس، وهو زمن مؤقت دون زمن البأساء والضراء؛ لأن ظرف القتال فيه من الخوف، ومظنّة القتل، والصبر على مراغمة الأعداء ما يستحق أن يحمد عليه الصابرون، كما يحمد الذين أحاطت بهم البأساء والضراء، إحاطة الوعاء لما فيه. والصابرين اسم الأصل فيه الرفع؛ لعطفه على الخبر (ولكنّ البر **مَنْ** آمن)، إلا أنه جاء منصوبا على المدح؛ ليدلل على أهمية تعديه بالظرف (في) الذي يبرهن على إحاطة هؤلاء الصابرين بالمحن والشدائد.

الآية الرابعة: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾[البقرة: 144]، أفادت (في) الظرفية عند الزمخشري في هذه الآية حيث قال: "تردد وجهك، وتصرف نظرك في جهة السماء"[3]. فالحرف (في) أفاد الناحية والجهة التي يقلب الرسول ﷺ وجهه فيها.

أمّا أبو حيان فقد ذكر لآية (في السماء) ثلاثة معان[4]:

1. إذا كان متعلقها المصدر (تقلُّب) فالمعنى هو الناحية، أي: نرى تقلب وجهك في نواحي السماء وجهاتها.
2. إذا كان المتعلق فعل (نرى) فالمعنى (من)، أي: قد نرى من السماء تقلب وجهك.

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج10/2.
[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج205/1.
[3] ينظر: المصدر السابق، ج189/1.
[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج602/1.

3. وقيل[1]: (في) بمعنى (إلى). ورجح أبو حيان الأول، أن (في) على حقيقتها.

والمعنى الثالث يفيد انتهاء الغاية، أي: إن نهاية تقلب النبي ﷺ وجهه هو السماء. أمّا الثاني فقد أفاد ابتداء الغاية، وأن الله تعالى يرى تقلب وجه النبي ﷺ من السماء، والله تعالى لا تحده جهة. وكان أبو حيان قد رجح المعنى الأول الذي وافق فيه الزمخشري. ومن العلماء الذين قالوا بظرفيتها كذلك الطبري[2]، وابن عطية[3]، والبيضاوي[4]، وهو ما رجحه السمين الحلبي[5]، وهذا الذي يرتضيه الباحث.

الآية الخامسة: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة: 185]. قال الزمخشري: "ابتدىء فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر. وقيل: أُنزل جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض نجوما، وقيل: أنزل في شأنه القرآن، وهو قوله "كتب عليكم الصيام" كما تقول: أنزل في عمر كذا وفي علي كذا"[6].

أفاد حرف الجر (في) هنا ابتداء الغاية، أي: أول نزول القرآن الكريم، وابتداؤه كان في رمضان. قال الشهاب الخفاجي: "لمّا فهم من النظم أنّ القرآن نزل في رمضان وليس كذلك، بيّنه بأنّ المراد أن ابتداء نزوله وقع فيه"[7]. وقد يفيد حرف (في) الظرفية على اعتبار نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. ولم يلتفت أبو حيان إلى الحرف (في) هنا[8].

---

[1] القائل هو ابن الجوزي. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرحمن المهدي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1422هـ، ج121/1.

[2] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج172/3

[3] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج221/1.

[4] ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1418هـ، ج111/1.

[5] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج160/2.

[6] الزمخشري، الكشاف، ج253/1.

[7] الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، عنايه القاضي وكفاية الراضي، دار صادر –بيروت، 277/2.

[8] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج45/2.

الآية السادسة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾[البقرة: 178]. قال أبو حيان: "(في) هنا للسببية، أي: بسبب القتلى، مثل: دخلت امرأة النار في هرة[1]"[2]. فأبو حيان أبان أن القصاص متسبب عن القتل العمد، ولو لم يكن هناك قتل متعمد لما كان حاجة للقصاص، وكان قد استدل بحديث النبي ﷺ. وفي هذه الدلالة كان الرازيُّ قد سبقه إليها[3]، ووافقه السمين الحلبي[4]، وذكر دلالة السببية كذلك أبو السعود في تفسيره[5]. ولم يكن للزمخشري تعليق على دلالة (في) في هذه الآية[6].

المطلب الثالث: حرف الجر (عن)

حرف مشترك بين الاسمية والحرفية عند سيبويه والزمخشري، تقول: من عن يمينك، كقولك: من ناحية كذا وكذا[7]، وخالفهما أبو حيان في اسميته[8]. والذي يراه الباحث أنها يكون اسماً، إذا سبقهي جر، وحروف الجر لا تدخل إلا على الأسماء. وهو حرف ساكن النون "وضع لمعنى ما عداك، وتراخى عنك، يقال: انصرف عني، وتنح عني"[9]. وهو أعم من حرف(على) من حيث الاستخدام، فعلى تستخدم في اتجاه واحد من أعلى إلى أسفل، في حين تستخدم(عن) في الجهات الست[10].

---

[1] جزء من حديث رواه البخاري وهو "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض". البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، رقم الحديث (3318)، 4/ 130.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج12/2.

[3] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج222/5.

[4] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج252/2

[5] ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج195/1.

[6] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج206/1.

[7] ينظر سيبويه، الكتاب، ج420/1، الزمخشري، المفصل، ص385.

[8] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص243.

[9] ابن منظور، لسان العرب، ج295/13.

[10] ينظر: الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص208.

وله معان عدة، منها: **البعد والمجاوزة** عند الزمخشري[1]، والمجاوزة هي أصل معانيها عند النحاة، حيث لا يخلو أي معنى من معانيها الأخرى إلا وله ارتباط به. والتجاوز إمّا حقيقي، وهو تجاوز جرم عن جرم آخر، نحو: رمى السهم عن القوس، وإمّا مجازي، وهو تجاوز معنى عن جرم، أو معنى عن معنى، كقوله سبحانه: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ﴾[البقرة: 233][2]. قال سيبويه: "وأمّا عن فلِمَا عَدَا الشيء، وذلك كقولك: أطعمه عن جوع، جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه"[3].

ويأتي بمعنى **البدل**، وذلك إذا صلحت كلمة (بدل) مكان (عن)، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾[البقرة: 48][4]، وبمعنى **الاستعلاء**، كقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾[محمد: 38][5] فتكون بمعنى(على)، وتصلح مكانها. و**التعليل**، نحو قوله سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾[البقرة: 36]، أي: حملهما الشيطان على الزلة بسبب الشجرة[6]. فما بعدها سبب لما قبلها.

ويأتي **مرادفا ل(من)**، كقوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى: 25] ويؤيده قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾[البقرة: 127][7]. الفعل تقبل تعدى ب(عن) في الآية الأولى، و ب (من) في الثانية. و**بمعنى (بعد)**، نحو قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: 13]، وشاهده: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: 41][8]. و**الظرفية**، أي: بمعنى (في)، كقوله عز وجل:

---

[1] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص385

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج228/2، المرادي، الجنى الداني، ص245، الشريف، معجم حروف المعاني، ج667/2

[3] سيبويه، الكتاب، ج226/4

[4] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج286/4، الشريف، معجم حروف المعاني، ج667/2.

[5] ينظر: ابن هشام، المغني، ص207

[6] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج24/1. المالقي، رصف المباني، ص247، ابن هشام، المغني، ص207.

[7] ينظر: ابن هشام، المغني، ص208، الزركشي، البرهان، ج287/4.

[8] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص430، وابن هشام، المغني، ص207–208

﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾[طه: 42][1]. كذلك بمعنى **الاستعانة**، نحو: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النجم: 3]، أي: بالهوى[2].

و**زائدة للتعويض:** ومثاله بيت زيد بن رزين بن الملوح:

أَتَجزعُ أنْ نفسٌ أتاها حِمامُها فهلّا التي عن بَينِ جَنبَيك تَدْفعُ[3]

وهو زائدة في (عن بين)، وهو عوض من(عن) المحذوف في (فهلا التي) والأصل: فهلا عن التي[4]. ولا يأتي زائداً للتعويض عند سيبويه،[5] وتبعه في ذلك أبو حيان[6].

وقد ورد هذا الحرف ثلاثين مرة في سورة البقرة[7]. تحدث الزمخشري وأبو حيان عن معانيها في عشرة مواضع، ودارت المعاني عندهما حول: السببية، والمجاوزة، وبمعنى الباء، والتضمين.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[البقرة: 36] صدر كل من الزمخشري وأبي حيان عن معنى واحد لحرف المجاوزة وهو التعليل، وذلك إذا عاد الضمير على الشجرة. فالشيطان حمل آدم وحواء على الزلة بسبب الشجرة، أي: أصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة. واستدل كل منهما لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾[الكهف: 82]، وزاد أبو حيان الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[التوبة: 114][8]، فاستغفاره لأبيه لأجل الموعدة.

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص247، وابن هشام، المغني، ص208

[2] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص76، المالقي، رصف المباني، ص431.

[3] البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط4، 1418هـ، 1997م، ج144/10.

[4] ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت:392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ، 1999م، ج282/1.

[5] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1/ص38.

[6] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 1737/4.

[7] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج669/2.

[8] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج156/1، أبو حيان، البحر المحيط، ج262/1.

والأكل من الشجرة كان سببا في الزلة، وسببا في الخروج من الجنة. ولم يكن للزمخشري بيان دلالة حرف (عن) في سورة البقرة إلا هذا الموضع.

وذكر أبو حيان عود الضمير في (عنها) إلى الجنة، وأيده بقراءة حمزة (فأزالهما)، وهي متواترة[1]، أي: أزالهما عن الجنة[2]. وهنا تكون (عن) على أصلها من المجاوزة، يقول السمين الحلبي مؤيدا ذلك: "ويجوز أن تكون على بابها من المجاوزة إن عاد الضمير على الجنة، وهو الأظهر، لتقدم ذكرها، وتجيء عليه قراءة حمزة واضحة"[3].

فالشيطان أذهبهما عن الجنة، ونحاهما عنها؛ فانصرفا تاركيْن إياها خلفهما، فهما تعداها، ويؤيده قوله عز وجل بعدها: (فأخرجهما مما كانا فيه). والمجاوزة هنا على الحقيقة. ولئن كان الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو الشجرة، إلا أنه يصح كذلك عوده إلى غير المذكور قبله مباشرة، كقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: 9] قال السيوطي: "الضمائر لله تعالى، والمراد بتعزيره تعزير دينه ورسوله"[4]. فضمير الهاء في تعزروه أقرب مذكور له الرسول ﷺ لكنه عاد إلى اسم الجلالة قبله.

الآية الثانية: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: 52].

العفو إمّا أن يكون بمعنى الترك أو التسهيل؛ فيكون عنكم عام اللفظ خاص المعنى، أي: عفا الله عمن بقي من بني إسرائيل بعد قتلهم أنفسهم توبة من عبادة العجل، وإمّا أن يكون العفو بمعنى المحو، وحينها يكون (عنكم) عام اللفظ والمعنى، أي: تاب الله على من قتل، وعلى من بقي. وقالت المعتزلة: عفونا عنكم، أي: بسبب إتيانكم بالتوبة، وهي قتل بعضكم بعضاً[5].

---

[1] ينظر: ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، ج2/211.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/262.

[3] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج1/288.

[4] السيوطي، الإتقان، ج4/1272.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/325.

فمعنى (عن) هنا التجاوز، يقول الراغب الأصفهاني: "وعفوت عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه، فالمفعول في الحقيقة متروك... فالعفو: هو التجافي عن الذنب"[1]. ونقل أبو حيان بعضاً من كلام الراغب السابق عند تفسيره للآية الأخيرة من سورة البقرة ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾[البقرة: 286][2]. فالله عزوجل تجاوز عن كبيرة عبادة بني إسرائيل العجل، وترك عقوبتهم. ولقد تم البحث عن قول المعتزلة في دلالة (عن) على السببية؛ علّي أجد رأي الزمخشري نصاً، فلم أهتد إلى جواب، وكل ما وجدته أن النص الذي عند أبي حيان هو ذاته الذي عند الرازي[3].

الآية الثالثة: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾[البقرة: 233].

قال أبو حيان: "وعن للمجاوزة مجازاً، لأن ذلك معنى من المعاني لا جرم"[4]. الآية تتحدث عن التراضي من الوالدين في فطام رضيعهما، وأن يكون هذا الفصال متجاوزاً تراضيهما وتشاورهما تاركين ذلك، وهذا ما أفاده حرف (عن). والمجاوزة هنا مجازية؛ لأن التراضي والتشاور معنيان من المعاني، وليسا جرماً. ولم يكن للزمخشري وقفة على حرف (عن) هنا[5].

المطلب الرابع: حرف الجر (على)

هو حرف جر يدخل على الأسماء والضمائر، ويعني العلو حقيقة، نحو: استوى على الجبل، أو العلو مجازا[6]، نحو: عليه دَيْن، أي: ركبه ولزمه. وهو من الحروف العوامل. ويكون "اسماً وفعلاً وحرفاً"[7]. فالاسم نحو:

---

[1] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –بيروت، ط1، 1412هـ، ص574.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج766/2.

[3] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج531/3.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج507/2.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج262/1–263.

[6] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص433.

[7] الرماني، معاني الحروف، ص122.

جئت من عليه، أي: من فوقه[1]، فهنا دخل على (فوق) حرف الجر (من)، وحروف الجر لا تدخل إلا على الأسماء. وهي فعل نحو: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[القصص: 4]، والحرف نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾[البقرة: 157]. والذي يهمنا في هذا المقام هو كونه حرف جر.

وحرف الجر (على) له معان متعددة، منها ما هو متفق عليه عند أهل الصنعة، ومنها ما هو موضع اختلاف، وليس هذا غرضنا هنا. ومن معانيه: **الاستعلاء**، وهو أصل معاني (على)، وقد يكون حسياً، كقوله سبحانه: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾[المؤمنون: 22]، أو مجازياً كقوله سبحانه: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾[طه: 10][2]. ويأتي بمعنى **المصاحبة**، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾[الرعد: 6][3]، أي: يعني: مع ظلمهم، **والتعليل**، كقوله سبحانه: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾[البقرة: 185]، أي: لهدايته إياكم[4].

ومن معانيه كذلك: **الظرفية** بمعنى (في)، كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾[القصص: 15]، أي: في حين غفلة[5]، **والمجاوزة**، كوقوعها بعد (بَعُد وخفي)[6]، أي: بمعنى عن. **وبمعنى الباء** نحو: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾[الأعراف: 105]، أي: بأن.[7] ويكون بمعنى (من) نحو: ﴿إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾[المطففين: 2]، أي: من الناس[8]، **وبمعنى (عند)**، نحو: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ

---

[1] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص23.

[2] ينظر: الرماني، حروف المعاني، ص122، وابن نور الدين، مصابيح المعاني، ص211. الشريف، معجم حروف المعاني، ج635/2.

[3] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص202

[4] المصدر السابق، ص202، والسيوطي، الإتقان، ج1115/3

[5] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1734/4، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت: 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث –القاهرة، ط20، 1400هـ، 1980م، ج23/3.

[6] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1734/4.

[7] ينظر: السيوطي، الإتقان، ج1115/3.

[8] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص478، وابن هشام، مغني اللبيب، ص203

ذَنۢبٌ﴾[الشعراء: 14]، **وبمعنى (لكن)** الاستدراكية، نحو: فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه، على أنه لا ييأس من رحمة الله[1].

وقد تكرر حرف الاستعلاء في سورة البقرة مئة وستا وثلاثين مرة[2]. تحدث الزمخشري وأبو حيان عن معنى خمسة وأربعين موضعا منها، دارت حول معاني الاستعلاء والإلصاق، والظرفية، والمصاحبة، والمجاوزة، وبمعنى اللام.

الآية الأولى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[البقرة: 5].

أشار الزمخشري إلى دلالة حرف (على) في هذه الآية بقوله: "ومعنى الاستعلاء في قوله: (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به. شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه"[3].

فالحرف (على) أفاد الاستعلاء، وهذا ما أفاده كذلك عند أبي حيان حيث قال: "والاستعلاء الذي أفادته في قوله: على هدى، هو مجاز نزل منزلة العين، وأنهم لأجل ما تمكن رسوخهم في الهداية جعلوا كأنهم استعلوه، كما تقول: فلان على الحق"[4].

فالمتقون المتصفون بصفات الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالكتب السماوية، واليوم الآخر، والمداومة على فعل الخيرات في ليلهم ونهارهم، وسرهم وعلانيتهم، واهتدائهم لمواطن الحق واتباعها، ولمواطن الباطل واجتنابها، هؤلاء شبهت الآية حالهم بمن امتطى مركوبه متمكناً من زمامه، مدركاً مواطن النجاة متبعاً إياها، عالماً بمواطن الهلكة مجتنباً إياها. وهذا ما أفاده حرف الاستعلاء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت: 69]. وقد جرى خلاف بين العلماء في نوع الاستعارة هنا، أهي

---

[1] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص204، الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص204.

[2] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج2/639-641.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج1/85.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/72.

تمثيلية، أم تصريحية تبعية، أم جمعاً بينهما تمثيلية تبعية. يقول ابن عاشور: "وذهب القزويني في الكشف والسيد الجرجاني إلى أن الاستعارة في الآية تبعية مقيدة بأن شبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب، وسرى التشبيه إلى معنى الحرف وهو على"[1].

وقد أشار الزمخشري إلى شيء من ذلك حين قال: "هو على الحق، وعلى الباطل، وقد مدحوا بذلك في قولهم: جعل الغواية مركباً، وامتطى الجهل، واقتعد غارب الهوى[2]"[3].

الآية الثانية: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة: 177].

قال الزمخشري: "مع حب المال، والشح به... وقيل: على حب الله، وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه"[4]. فالحرف عند الزمخشري أفاد المعية، أي: المصاحبة، أو المجاوزة، أي: عن طيب نفس. وكان الزمخشري قد استدل بقول ابن مسعود: "أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش، وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا"[5].

والذي في النفس أن دلالة الحرف على أصله، وهو الاستعلاء، فقد بين شيخ زاده أن الزمخشري أورد الحديث؛ لتأييد أن ضمير (حبه) راجع إلى المال، وأخر وجه عود الضمير على الإيتاء؛ لبعده من حيث اللفظ والمعنى. أمّا من حيث اللفظ فلا يوجد مذكور يعود إليه اللفظ، وهذا خلاف الأصل، وأمّا من حيث المعنى؛ فلأن فعل الإنسان لما يحبه لا يكون سببا في مدحه[6]. فالمال كلما علا حبه القلب، وتمكن فيه، كان أجر إنفاقه أعظم من أن لو أنفقه وهو زاهد فيه، أو ساعة الاحتضار، فهو إمّا أن يخرجه وهو مالك له زاهد فيه مستغن عنه،

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج243/1.

[2] "الغارب أعلى الموج، وأعلى الظهر... أعلى مقدم السنام". الهروي، تهذيب اللغة، ج119/8، وابن منظور، لسان العرب، ج644/1.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج85/1.

[4] المصدر السابق، ج204/1.

[5] المصدر السابق، ج204/1.

[6] ينظر: الزمخشري وأبو حيان زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت:951هـ)، حاشية محيي الدين الزمخشري وأبو حيان زاده على تفسير القاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1419هـ، 1999م، ج430/2.

وإمّا أن ينفقه وهو مالك له يحبه، ومحتاج إليه، والثانية أجرها أعظم. يقول عبد العزيز الطريفي، فرج الله كربه: "أعطى المال وهو محب له محتاج إليه، وهذا بيان لتمكن حب المال... وأفضل أنواع الصدقة: الصدقة التي يخرجها الإنسان وهو مضطر محتاج إليها، وهذا هو الإيثار"[1]، قال تعالى مادحاً الأنصار، رضي الله عنهم، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: 9]، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان"[2].

الآية الثالثة: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾[البقرة: 250].

ذكر أبو حيان إفادة حرف (على) فقال: "وقولهم: أفرغ علينا صبراً سؤال بأن يصب عليهم الصبر حتى يكون مستعليا عليهم، ويكون لهم كالظرف وهم كالمظروفين فيه"[3]. وهذا "مبالغة في طلب الصبر على مشاهدة المخاوف"[4].

فالحرف (على) هنا أفاد الاستعلاء والظرفية بمعنى(في). فجنود طالوت دعوا ربهم أن يصب عليهم الصبر من علٍ صبا، وهم في الأسفل، يحيط بهم الصبر، ويشتمل عليهم. فالصبر كأنه إناء محيط بهم. وهذا استعلاء مجازي. قال السمين الحلبي: "وأتوا بلفظ (على) في قولهم: (أفرغ علينا) طلباً لأن يكون الصبر

[1] الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، التفسير والبيان لأحكام القرآن، مكتبة دار المنهاج –الرياض، ط1، 1438هـ، ج1/166-167.
[2] البخاري، صحيح البخاري، ، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الصحيح الشحيح، رقم الحديث (1419)، ج2/110.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج2/592.
[4] الزمخشري وأبو حيان زاده، حاشية محيي الدين الزمخشري وأبو حيان زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج2/614.

مستعلياً عليهم وشاملاً لهم كالظرف"[1]. والإفراغ، كما ذكر البقاعي، هو: "السكب المفيض على كلية المسكوب عليه"[2]. ولم يكن للزمخشري التفات إلى حرف (على) هنا[3].

الآية الرابعة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[البقرة: 143].

ورد الحرف (على) مكرراً في الآية مرتين، تحدث الزمخشري عن دلالة الثاني منهما، في حين تحدث أبو حيان عن الموضعين.

ودلالة الثاني عند الزمخشري الاستعلاء حيث قال: "فإن قلت: فهلا قيل لكم شهيداً وشهادته لهم لا عليهم؟ قلت: لمّا كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: 6] و﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾[المائدة: 117]"[4]. ووافقه أبو حيان في هذه الدلالة إذ قال: "ولمّا كان الشهيد كالرقيب على المشهود له؛ جيء بكلمة على"[5]. وقد وافقهما على هذه الدلالة مفسرون منهم: الرازي[6]، والنسفي[7]، والسمين الحلبي[8]، والألوسي[9]، وابن عاشور[10].

---

[1] السمين الحلبي، الدر المصون، 533/2.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 436/3.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، 276.

[4] المصدر السابق، 225/1.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج596/1.

[6] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج89/4

[7] ينظر: النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود(ت:710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م، ج137/1.

[8] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج152/2

[9] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج404/1

[10] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20/2.

من هذا يتبين أن كلمة الشهيد فيها تضمين معنى الرقيب في شهادة النبي ﷺ على أمته، والرقيب يتعدى بحرف الاستعلاء كما في آية سورة المائدة التي استدل بها الزمخشري. وبين شيخ زاده أن الوجه في اعتبار التضمين هو الإشارة إلى أن التعديل إنّما يكون عن خبرة، ومراقبة بحالة الشاهد؛ فإذا شهد منه الرشد والصلاح في الخلوات زكّاه وأثنى عليه، وإلا سكت عنه[1]. والنبي ﷺ رقيب على أمته، وتُعرف خيريتها، التي آتاها الله عزوجل، بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: 110].

وفيما يتعلق بالموضع الأول: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: 143] فقد نقل أبو حيان عن الزجاج معنى الشهادة بالاحتجاج، أي: لتكونوا محتجين على الناس، أو لتنقلوا إليهم ما علمتموه من الوحي والدين كما نقله رسول الله ﷺ وتكون على بمعنى اللام. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[المائدة: 3]، أي للنصب. وقد ذكر أبو حيان أن هذه الشهادة تكون في الآخرة من أمة النبي محمد ﷺ للأنبياء، عليهم السلام، على أممهم المكذبة لهم، وهو ما عليه الأكثر، وقد تكون هذه الشهادة في الدنيا[2].

فأبو حيان اعتبر (على) بمعنى اللام، فأمة النبي محمد ﷺ حجة له على الناس، أو هم ورثة دعوته في تبليغها للناس. وقد يدل حرف (على) على الاستعلاء أيضاً؛ ذلك أن لفظة (شهيد) غالب تعديتها في القرآن بحرف الجر(على)، إذ تعدت بعلى تسع عشر مرة، من بينها: الآيات التي استدل بها الزمخشري، وغيرها[3]. والشهادة إمّا لك، أو عليك، فهي لك حين تكون صاحب حق، وصانع خير، وعليك حين تكون ظالما، وصانع شر، والأمم التي ستشهد عليها أمة الإسلام يوم القيامة، أمم أنكرت إرسال الرسل إليهم، كما روى البخاري، عند هذه الآية موضع الدراسة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

---

[1] ينظر: الزمخشري وأبو حيان زاده، حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج353/2.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج595/1.

[3] ينظر: آيات: آل عمران:98، النساء: 159،41،33، يونس: 46، النحل: 89، الحج: 78 وغيرها.

هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ"[1]، وهذا الظلم والجحود من هذه الأمم، يستحق صاحبه أن تعلوه شهادة الحق بأن جاءتهم رسلهم بالبينات من ربهم. وأمة الإسلام من تزكية الله تعالى لها أن جعلها شاهدة على الأمم، ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46].

المطلب الخامس: حرف الجر(إلى)

هذا الحرف من الحروف العوامل، يخفض ما بعده من الأسماء على كل حال، يجر الاسم الظاهر والمضمر[2].

ويأتي لمعان عدة، منها: **انتهاء الغاية** في الزمان والمكان: وهو أصل معانيه[3]، ويفيد الغاية الزمانية، نحو: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[البقرة: 187]، والمكانية نحو: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء:1][4]. وانتهاء الغاية إمّا حسية، نحو سرت إلى القدس، أو حكمية، نحو: ميل قلبي إليك[5].

ومن معانيه كذلك: **المعية**، وذلك إذا ضمت ما بعدها إلى ما قبلها، نحو: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ﴾[النساء: 2][6]. وكذلك معنى **التبيين**: وهي المبينة لفاعلية مجرورها، بعد إفادته حباً أو بغضاً من فعل

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾[نوح: 1]، ج134/4.

[2] ينظر: الرماني، حروف المعاني، ص157، والمالقي، رصف المباني، ص166، الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص58

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج23/4، الرماني، معاني الحروف، ص158، المرادي، الجنى الداني، ص385.

[4] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص116.

[5] ينظر: الإربلي، جواهر الأدب، ص175

[6] ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت:207هـ)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية –مصر، ط1، ج218/1. المالقي، رصف المباني، ص169، ابن هشام، مغني اللبيب، ص116.

تعجب، أو اسم تفضيل، نحو: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[يوسف: 33][1]، ويأتي **بمعنى (عند)، ومعنى (في)**[2]، **وموافقاً (من)، وزائداً للتوكيد**، نحو: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[إبراهيم: 37] بفتح واو (تهوَى) في قراءة[3]. ويكون مرادفا اللام، نحو: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾[النمل: 33][4]، **ويكون مكان(في)، ومكان(الباء)**[5].

ورد حرف الجر (إلى) في سورة البقرة ستاً وأربعين مرة[6]. ذكر الزمخشري وأبو حيان معاني ستة عشر موضعاً، دارت حول: انتهاء الغاية، والمصاحبة، وبمعنى الباء وعلى واللام. ويورد الباحث أمثلة تطبيقية من سورة البقرة تبين ذلك.

الآية الأولى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[البقرة: 14]

أوضح الزمخشري أن معنى(إلى) هو الباء، إذ قال: "وخلوت بفلان وإليه، إذا انفردت معه، ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى... ومن خلوت به إذا سخرت منه..." ومعناه: وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم، وحدثوهم بها، كما تقول: أحمد إليك فلانا، وأذمُّه إليك"[7].

أمّا أبو حيان فقد جعله على أصله من انتهاء الغاية على تضمين الفعل، إذ يقول: "وإلى هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي: صرفوا خلاهم[8] إلى شياطينهم... وقيل: إلى بمعنى الباء؛ لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وهذا ضعيف، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه، والخليل"[9].

---

[1] ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص116

[2] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص159، السيوطي، الإتقان، ج1043/3

[3] وهي قراءة علي، رضي الله عنه، وهي شاذة. ينظر: ابن جني، المحتسب، ج364/1.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج69/1، المرادي، الجنى الداني، ص388، ابن هشام، المغني، ص117

[5] ينظر: الهروي، الأزهية في علم الحروف، ص273-274.

[6] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج322/1-323.

[7] الزمخشري، الكشاف، ج73/1

[8] خلا فلان بصاحبه، أي: انفرد به في خلوة. ينظر: أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج254/1.

[9] أبو حيان، البحر المحيط، ج113/1

محل النزاع هنا أن الزمخشري جعل حرف(إلى) بمعنى الباء، في حين عَدَّ أبو حيان دلالته الأصلية، رغم أنهما ضمّنا (خلا) معنى المضي والانصراف.

وحجة أبي حيان في عدم التعدية بالباء، أنها تعدية تحتمل معنيين: الانفراد، والسخرية، يقال: خلوت به، أي: سخرت منه، أمّا التعدية بإلى فلا تحتمل إلا معنى واحداً[1].

وحين النظر إلى أقوال أرباب اللغة والتفسير نجد أن الفعل خلا يتعدى بحرفي إلى والباء، وغيرهما. وفيما يتعلق بالآية موضع الدراسة نجد أن البيضاوي وافق الزمخشري في أن (إلى) بمعنى الباء.[2] في حين أن الذي أبقاها على بابها كثير منهم من سبق أبا حيان: كالطبري[3]، وابن عطية[4]، والقرطبي[5]، ومنهم من أتى بعده: كالسمين الحلبي[6]، وأبي السعود[7]، وابن عاشور[8]. قال الراغب: "الخلاء المكان الذي لا ساتر فيه من بناء ومسكن وغيرهما، والخلو يستعمل في الزمان والمكان... وخلا إليه انتهى إليه في خلوة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾[البقرة: 14]"[9].

وعليه؛ فالذي يراه الباحث أن (إلى) على بابها من انتهاء الغاية، فأول الآية يقول: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وبعد انتهاء لقياهم المؤمنين خلوا إلى شياطينهم. فانتهاء اللقاء، أي: انصرفوا من لقائهم المؤمنين، وهنا ابتداء الغاية ابتداء الانصراف وبعدها الخلو إلى شياطينهم، انتهاء الغاية. يقول النسقي: "خلوت بفلان، وإليه إذا انفردت معه، وبإلى أبلغ؛ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء، أي: إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم"[10].

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج113/1

[2] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج110/1

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج199/2.

[4] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج96/1.

[5] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج207/1.

[6] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج145/1.

[7] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج46/1.

[8] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج291/1.

[9] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ج158/1

[10] ينظر: النسقي، مدارك التنزيل، ج52/1.

وأيضاً خلوهم إلى شياطينهم لأجل موافقتهم في تكذيبهم نبيهم ﷺ، لا لأجل الاستهزاء بمن يخلون بهم، وهو أحد المعنيين الذي قد يُتَوهم لو كانت التعدية بالباء، فجاءت التعدية بإلى قطعا لهذا الوهم[1].

الآية الثانية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[البقرة: 187].

تعدى الرفث بحرف الجر إلى، وإن كان الأصل تعديته بالباء؛ لتضمينه معنى الإفضاء: فلمّا كان كل من الزوجين يشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه، فصار قريباً من الكنايات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[الأعراف: 189]، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾[البقرة: 223][2]. واستدل الزمخشري ببيت للجعدي:

إذا ما الضَّجيعُ ثَنَى عِطْفَها تَثَنَّت فكانت عليه لِبَاساً[3]

والفعل أفضى يتعدى بحرف الجر (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[النساء: 21]. يقال: أفضى إلى المرأة: غشيها، وأفضى إليه الأمر: وصل، وأفضى إلى كذا: انتهى[4]. فحرف الجر (إلى) أفاد دلالته الأصلية، وهي انتهاء الغاية.

ولم يكن للزمخشري حديث عن مواضع حرف الجر (إلى) في سورة البقرة إلا هذيْن الموضعين.

---

[1] ينظر: مكي بن أبي طالب، حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني(ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي –جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ–2008م، ج1/164، والزركشي، البرهان، ج3/339.164.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/216، أبو حيان، البحر المحيط، ج2/55

[3] ينظر: الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس، (ت:50هـ)، ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر –بيروت، ط1 1998م، ص100.

[4] ينظر: الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار العلم للملايين –بيروت، ط1/1979م، ص277.

الآية الثالثة: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[البقرة: 210].

ذكر أبو حيان نقلاً بصيغة التمريض أن (إلى) تعني الاختصاص، فقال: "قيل[1]: وفي قوله، وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور قسمان من أقسام علم البيان... والثاني: الاختصاص بقوله، وإلى الله فاختص بذلك اليوم؛ لانفراده بالتصرف، والحكم، والملك"[2].

ولم يعلق أبو حيان على هذا الذي نقله، وكأنه يرتضيه. وحرف (إلى) يرادف اللام التي أبرز دلالاتها الاختصاص، وقد ورد هذا في آيات القرآن الكريم، منها: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾[الرعد:31]، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾[الروم:4]، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[الانفطار: 19].

المطلب السادس: حرف الباء

هو حرف مختص بالاسم، من العوامل، مكسور على حركة معموله، وهو ضربان: زائد، وغير زائد.[3]وحينما يكون زائداً يقترن بالاسم بعده، على معنى **التقوية والتوكيد**[4]. وحرف الباء غير الزائد يحمل معاني متعددة، قال ابن مالك في ألفيته:

بالبا استعن وعد عوض ألصق ومثل مع ومن وعن بها انطلق"[5]

---

[1] ينظر: السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت:489هـ)، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن –الرياض، ط1، 1418هـ،1997م، ج211/1، والراغب الأصفهاني، المفردات، ج435/1، وابن الجوزي، زاد المسير، ج175/1، الرازي، مفاتيح الغيب، ج361/5.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج347/2.

[3] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص4، المرادي، الجنى الداني، ص36.

[4] ينظر: ابن هشام، المغني، ص154، الشريف، معجم حروف المعاني، ج450/2

[5] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص35

ومن هذه المعاني: **الإلصاق**، وهو أصل معاني الباء. ويكون حقيقيا إذا أفضى إلى المجرور نفسه نحو: أمسكت بزيد، ومجازاً إذا أفضى إلى ما يقرب منه نحو: مررت بزيد[1]. وأضاف صاحب المفصل معاني أخرى يدخلها على جهة الاتساع، وهي **الاستعانة**، نحو: كتبت بالقلم، **والمصاحبة**، نحو: خرج بعشيرته، **ومزيداً** كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: 195].[2] أمّا صاحب الارتشاف فقد بيّن أن مع الإلصاق تنجر معان ستة، وهي: **النقل أو التعدية** كقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة: 17]، **والسببية**، نحو: مات زيد بالجوع، **والاستعانة**، **والمصاحبة**، مثل: وهبتك الفرس بسرجه، **والظرفية**، نحو: زيد بالبصرة، **والقسمية**، نحو: بالله لأقومن[3]. وأورد ابن مالك لهذا الحرف **معنى (من) التبعيضية**، كقوله سبحانه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان: 6][4].

ومن معانيها كذلك: **البدل** وعلامة ذلك حسن دخول كلمة (بدل) موضعها كقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾[سبأ:16]، أي: بدلها[5]، وكذلك معنى **المقابلة**، وهي الداخلة على الأعواض والأثمان نحو: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل: 32]. ومعنى **المجاوزة** إذا وافقت (عن)، وهذا كثير بعد السؤال، كقوله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[الفرقان: 59] ودليله: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾[الأحزاب:20][6].

وتكون قسما، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[النحل: 38] وتكون **حالاً** نحو: خرج بثيابه، أي: مكتسياً[7]. وتأتي بمعنى **الاستعلاء** كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ

---

[1] ينظر: ينظر: سيبويه، الكتاب، ج217/4، المبرد، المقتضب، ج142/4. الزمخشري، المفصل، ص381، ابن هشام المغني، ص148.

[2] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص381.

[3] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1695/4-1696.

[4] ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج806/2. ابن هشام، المغني، ص153.

[5] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص40-41، المالقي، رصف المباني، 223.

[6] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص223، المرادي، الجنى الداني، ص41، ابن هشام، المغني، ص151-152.

[7] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص5.

يَتَغَامَزُونَ﴾[المطففين:30]، ودليله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾[الصافات: 137][1]، وتأتي للغاية كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: 100]، أي: إلي[2].

وقد ورد حرف الباء في سورة البقرة خمساً وعشرين ومئتي مرة[3]. تحدث الزمخشري وأبو حيان عن خمسين موضعاً منها دارت معانيها عندهما حول: الإلصاق، والتعدية، والتقوية، والسببية، والمقابلة، والمصاحبة، والاستعانة، والغاية، والظرفية، والاستعلاء، وزائدة للتوكيد.

الآية الأولى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[البقرة: 10].

قال الزمخشري: "وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته، وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾[نوح:25]، والقوم كفرة وإنّما خصت الخطيئات؛ استعظاماً لها، وتنفيراً عن ارتكابها"[4]. ووافق أبو حيان الزمخشري في دلالة الباء في هذه على السببية فقال: "ثم ذكر تعالى أن كينونة العذاب الأليم لهؤلاء سببها كذبهم وتكذيبهم"[5].

اتفق الزمخشري وأبو حيان في دلالة الباء على السببية، ومثّل الزمخشري بآية سورة نوح على السببية لآية سورة البقرة. فالمنافقون الذين أكذبهم الله تعالى في قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر)، ولم يصدّق باطنهم ظاهرهم، والله عليم بسرائرهم، بشرهم بالعذاب الأليم بسبب هذا التكذيب، ودل على هذا حرف الباء.

---

[1] ينظر: الزركشي، البرهان، ج257/4

[2] السيوطي، الإتقان، ج1038/3

[3] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج454/2-458.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج99/1

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج189/1.

الآية الثانية: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 42].

قال الزمخشري: "الباء التي في (بالباطل) إن كانت صلة مثلها في قولك لَبَسْت الشيء بالشيء خلطته به، كأن المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز بين حقها وباطلكم، وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه بباطلكم الذي تكتبونه"[1]. ويقصد بالصلة أن الفعل (تلبسوا) لضعفه لم يقوَ على الوصول للاسم إلا بتعديته بالباء، وليس الزائد. يقول السمين الحلبي: "ولا يريد بقوله: (صلة) أنها زائدة، بل يريد أنها موصلة للفعل"[2]، و"الصلة كما تستعمل بمعنى الزائد تستعمل بمعنى المعدي"[3].

وكان أبو حيان قد ذكر أن الباء تدل على الإلصاق، فبعد أن ذكر أنواع الباطل الذي لبسوا الحق به قال: "وظاهر هذا التركيب أن الباء في قوله بالباطل للإلصاق، كقولك: خلطت الماء باللبن"[4]، ورفض دلالتها على الاستعانة كما ذكر الزمخشري، إذ قال بعد إيراده كلام الزمخشري في دلالة الباء على الاستعانة: "وهذا فيه بعد عن هذا التركيب، وصرف عن الظاهر بغير ضرورة تدعو إلى ذلك"[5]. وباء الاستعانة: "هي الداخلة على آلة الفعل، نحو كتبت بالقلم، وضربت بالسيف"[6]. فالسيف آلة يستعان بها على الضرب، والسين في (استفعل) للطلب، ومعنى استعان: طلب العون.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج161/1

[2] السمين الحلبي، الدرر المصون، ج321/1، وينظر: شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، ج22/2.

[3] الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي، ج151/2.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج290/1.

[5] المصدر السابق، ج290/1

[6] المرادي، الجنى الداني، ص36

وممن ذكر الاستعانة للباء في الآية السابقة الرازي[1]، والنسفي[2]، وابن عادل في لبابه[3]، والألوسي[4] والسمين الحلبي الذي وافق شيخه أبا حيان على دلالتها على الإلصاق، إلا أنه عارضه مستغربا في رفضه دلالتها على الاستعانة التي وافق فيها الزمخشري، فقال: "ولا أدري ما هذا الاستبعاد من وضوح هذا المعنى الحسن"[5]. فالسمين يقول بدلالته على الاستعانة.

والذي يراه الباحث أن الباء تدل على الاستعانة، فاليهود استعانوا بالشبهات لخلط الحق بالباطل، سواء كانت هذه الشبهات الكتابة في التوراة ما ليس منها، أم كتمان صفات نبينا ﷺ، الواردة في التوراة، أم ما يفعلونه من إيجاد الديانة الإبراهيمية المستحدثة يلبسونها تحت عنوان وحدة الأديان، وقانون سيداو يلبسونه باسم قانون حماية الأسرة؛ خلطاً له بقانون الأحوال الشخصية المستمد من شريعتنا الغراء، واستعانوا بإلباس الجهاد ثوب الإرهاب؛ تدليساً على المسلمين، وتنفيراً من المجاهدين، وتثبيطاً عن الجهاد، وغير ذلك من الشبهات التي يلقونها؛ لإبعاد الناس عن دينهم الحق، وتلبيسه بالباطل. "والتبس عليه الأمر، أي اختلط واشتبه. والتلبيس كالتدليس والتخليط"[6].

الآية الثالثة: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[البقرة:251].

بيّن أبو حيان[7]، مستنداً إلى علم النحو وأهله، أن دلالة الباء في هذه الآية هي التعدية إذ هي متعلقة بالمصدر (دفع)، وبالباء يتعدى الفعل دفع إلى مفعول ثانٍ إذ الأصل أن يتعدى إلى مفعول واحد، والأصل في التعدية بالباء أن تكون في الفعل اللازم، نحو: ﴿لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾[البقرة: 20]، واستدل بالقياس فالفعل إذا كان

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج485/3.

[2] ينظر: النسقي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج85/1.

[3] ينظر: ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1419هـ–1998م، ج20/2.

[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج248/1.

[5] السمين الحلبي، الدر المصون، ج321/1.

[6] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 974/3.

[7] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج279/2

متعدياً فقياسه أن يعدى بالهمزة، مثل: طعم زيد اللحم، ثم يقول: أطعمت زيدا اللحم، ولا يصح: طعمت زيدا باللحم، وكذلك الحال مع أفعال أخرى مثل: دفع، وصك. كما واستشهد بكلام سيبويه[1] في التعدية بالهمزة والتضعيف، يقول: دفعت الناس بعضهم ببعض على حد قولك: ألزمت، كأنك قلت: أدفعت، وتقول: صككت الحجرين أحدهما بالآخر، ومثله: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض. فالمجرور (ببعض) مفعولاً ثانياً في المعنى.

وذكر أبو حيان معنى آخر للباء وهو الآلة، ويعني به الاستعانة، وعليه فمجرور الباء ليس مفعولاً في المعنى، بل المفعول به هو المنصوب (بعضاً)، ويصح نسبة الفعل إليها على سبيل المجاز، كقولك: كتبت بالقلم.

فأبو حيان استند إلى الآية، واللغة، والقياس، واستشهد بقول سيبويه؛ لإثبات دلالة الباء على التعدية والاستعانة. ولم يكن للزمخشري بيان لحرف الباء في هذه الآية[2].

الآية الرابعة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾[البقرة:176]

قال الزمخشري: "أي: ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق".[3] ووافق الزمخشريَّ أبو حيان في دلالة الباء على السببية، فقال: "أي: ما وعدوا به من العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا... ذلك العذاب حاصل لهم بكتمان ما نزل الله من الكتاب المصحوب بالحق"[4]. اتفق الزمخشري وأبو حيان على دلالة الباء الأولى على السببية، لكن أبا حيان أضاف معنى المصاحبة للباء الثانية (بالحق)[5].

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1/ص153-154

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج277/1

[3] المصدر السابق، ج203/1

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج670/1

[5] المصدر السابق، ج670/1.

فعلماء يهود لمّا كتموا صفات النبي ﷺ وألبسوا على رعاعهم الحق بالباطل بهذا الكتمان، وأكلوا الرشوة ثمنا لهذا المكتوم مستبدلين الضلالة بالهدى، وهذا إنكار ورد للحق الذي نزل الله تعالى؛ فلمّا فعلوا ذلك كانوا جديرين بالعذاب؛ لأجل ذلك.

ولم أجد آية انفرد بها الزمخشري دون أبي حيان في دلالات حرف الباء في سورة البقرة.

المطلب السابع: حرف اللام

يتميز هذا الحرف بكثرة أنواعه

، حتى إن الزجاجي[1] ألف فيه كتابه "اللامات"، وجعلها واحداً وثلاثين نوعا. وذكر المرادي أنه عند التحقيق يرجع إلى قسمين: عامل وغير عامل. أمّا العامل فيقصد به جار وجازم وناصب، وأمّا غير العامل: لام الابتداء، والفارقة، والجواب، والموطئة، والتعريف[2]. والذي يهمنا هنا هو لام الجر.

ولام الجر مكسورة مع كل ظاهر نحو: لِعمرو، إلا مع المستغاث المباشر ل "يا" فمفتوحة نحو: يا للهِ. وإذا دخلت على مضمر فتحت، نحو: المال له[3]. واللام الجارة لها معان كثيرة، أوصلها ابن هشام إلى اثنين وعشرين معنى[4].

ومن هذه المعاني: **الاختصاص**، وأنواعه متشعبة يجمعها النسبة، فحيث كانت جاز أن تنسب لما بعدها بها، فمنها **الملك**، نحو: الثوب لزيد، **والاستحقاق**، نحو: الباب للدار ومنها: **النسب**، نحو: الأب لعبد الله[5]. والملك، والاستحقاق، والنسب جعلها غير المالقي بمعنى منفرد[6].

---

[1] الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، أبو القاسم (ت:337هـ)، اللامات، تح: مازن مبارك، دار الغد، ط2، 1985م، ص31-32.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص95

[3] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص33، ابن هشام، المغني، ص276

[4] ينظر: ابن هشام، المغني، ص276

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص294.

[6] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1707/4، ابن هشام، المغني، ص276-277

وذكر الزمخشري لها هذا المعنى، وأنها تقع **مزيدة** كذلك، كقوله سبحانه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[النمل:72][1]. وتأتي اللام بمعنى **التبليغ**، نحو: قلت لك، **والتبيين** بعد أسماء الأفعال، نحو: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[يوسف:23]، **وللصيرورة**، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: 8].[2]

وتكون بمعنى **التعدية** ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[مريم:4]، **وانتهاء الغاية** ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[الأعراف: 57]، **والظرفية** ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[الفجر:21] **وبمعنى(عن)**، نحو: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[الأحقاف:11]، **وبمعنى(على)**، نحو: كتبته لخمس خلون، وتكون **مرادفة (مع) و(من)، وللتعليل**[3].

وقد وردت اللام الجارة في سورة البقرة ثلاث مرات ومئتين[4]. دارت معانيها، عند الزمخشري وأبي حيان في السورة حول: الاختصاص، والتبليغ، والسببية، والملك، والتعدية، والتبيين، وبمعنى (على، وإلى، ومع). والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾[البقرة:233].

قال الزمخشري على طريقته في الفنقُلة: "فإن قلت: كيف اتصل قوله: (لمن أراد)، بما قبله؟ قلت: هو بيان لمن توجه إليه الحكم، كقوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[يوسف: 23]، لك بيان للمهيت به، أي: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة"[5]، أي: إن هذا الحكم بيان لمن يريد إتمام الرضاعة.

---

[1] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص282

[2] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1707/4، ابن هشام، المغني، ص282-283

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص99-102، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1709/4.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج821/2-825.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج261/1

أمّا أبو حيان فقد ذكر لها معنيين: أولهما: التعليل، كقولك: أرضعت فلانة لفلان وتكون (مَن) واقعة على الأب، أي: لأجل من أراد أن يتم الرضاعة على الآباء. وثانيهما: التبيين كقوله تعالى: (هيت لك)، وسقيا لك، اللام لتبيين المدعو له بالسقي. و(من) إمّا واقعة على الأم، أي: لمن أراد إتمام الرضاعة من الأمهات، أو الواقعة على الوالدات والمولود له، واللفظ يحتمل ذلك كله[1].

اتفق الزمخشري وأبو حيان على بيانية حرف اللام في الآية، مستشهدا كل منهما بآية سورة يوسف، وزاد أبو حيان الاستشهاد باللغة، وفصل المقصود بالاسم الموصول، ولم يكن هذا من الزمخشري، وأضاف أبو حيان معنى التعليل إلا أنه لم يفصل فيه كما فصل في دلالة التبيين، وكأنه لا يميل إليه. وممن قال بدلالة التعليل: الرازي[2] ولم يذكر دلالة البيان، وشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي[3]، والسمين الحلبي[4]. ولا مانع من دلالة اللام على التعليل، أي: إن الوالدات يرضعن أولادهن لأجل من يريد إتمام الرضاعة.

الآية الثانية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: 2].

ذكر الزمخشري أن الله تعالى اختص المتقين بأن الكتاب لهم هدى، وهم استحقوا هذا الاختصاص؛ لخصائصهم المنطوية تحت صفة المتقين التي استوجبوا بها لطف الله تعالى، ونظيره قولك: أحب رسول الله ﷺ الأنصار الذين قارعوا دونه، وكشفوا الكرب عن وجهه، أولئك أهل للمحبة[5].

وأبان أبو حيان أن المتقين حباهم الله تعالى، وخصهم بالهدى، لالتزامهم بعقيدة الإيمان، وإسلام الجوارح لله تعالى[6]. في هذه الآية وافق أبو حيان الزمخشري في دلالة اللام على الاختصاص.

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج223/2

[2] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج460/6.

[3] شيخ زاده، حاشية شيخ زاده، ج565/2.

[4] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج462/2.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج84/1

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج170/1

الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾[البقرة:282]

قال الزمخشري: "(وأقوم للشهادة) وأعون على إقامة الشهادة"[1]. أفاد حرف اللام هنا الاستعلاء عند الزمخشري.

والناظر في سياق آية الدَّيْن يرى فيها من الحشد لإثبات الحقوق؛ كي لا يفضي عدم إثباتها إلى التنازع، فالأمر بكتابة الدّين إلى أجل[2] وألا يبخس منه شيئا، والأمر بتقوى الله تعالى حين الكتابة، والاستشهاد برجلين، وإلا فرجل وامرأتان، ونهي الشهداء عن ترك أداء الشهادة، وألا تكون سآمة في كتابة صغير الدَّيْن أو كبيره، كل هذا الحشد؛ لأجل قطع سبل التنازع بين المتعاقدين، وإثبات الحقوق، وعدم النسيان، وهذا من ضرورات إقامة معاش العباد على العدل؛ لذا كان حرف الاستعلاء على أصل دلالته للتمكن من الشهادة، وأدائها دون إنقاص أي شيء منها.

وجاءت الآية بأفعل التفضيل؛ إيغالاً في الاستقامة. يقول الرازي: "معنى أقوم: أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج، وذلك لأن المنتصب القائم ضد المنحني المعوج"[3]. والفعلان أقسط وأقوم من أقسط وأقام، أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم[4]. وقويم على وزن فعيل، وهو من صيغ المبالغة. ولم يكن لأبي حيان تعليق على اللام هنا[5].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج305/2

[2] والأمر بالكتابة للندب لا للوجوب، وقد يصل إلى الوجوب خاصة في عالم المصارف، والمعاملات المالية المعقدة اليوم، وكثرة الأموال.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج102/7

[4] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج164/1

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج368/2.

الآية الرابعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾[البقرة: 286].

قال أبو حيان: "وجاء في الخير باللام؛ لأنه مما يفرح به، ويسر فأضيف إلى ملكه"[1]. وقال تعقيباً على الآية كلها، كما هو منهجه في بيان ما يتعلق بالآية أو المقطع بعد تفسيره، قال: "والطباق المعنوي في (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)؛ لأن لها إشارة إلى ما يحصل به نفع"[2].

فاللام دلالتها الملكية، والكسب ملك لصاحبه الذي عمله؛ فهو أحق به. ولم يكن للزمخشري تعليق على اللام في هذه الآية[3].

المطلب الثامن: حرف(الكاف)

يرد هذا الحرف جارا بمعنى التشبيه، ويأتي اسما[4]، واسميته عند أبي حيان مختصة بالشعر ضرورة[5]، وهو في هذا تبع لسيبويه[6]. وهو حرف ملازم لعمل الجر، ينقسم إلى جار زائد، وجار غير زائد[7].

ويقع في كلام العرب على خمسة أوجه: **الجار الزائد، والجار غير الزائد، وكاف الخطاب، والكاف الوذي هـ الضمير، والاسم**[8] كقول جميل بثينة:

لـو كـان فـي قـلـبـي كـقـدر قُـلامَـة فضـــلا، وصـــلتكِ، أو أتتكِ رســـائلي[9].

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج382/2.

[2] المصدر السابق، ج385/2

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج310/1

[4] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج42/8

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج193/1

[6] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج408/1.

[7] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص272، والمرادي، الجنى الداني، ص78

[8] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص337

[9] بثينة، جميل، ديوان جميل بثينة، بيروت- دار بيروت، 1402هـ، 1982م، ص54.

الكاف في (كقدر) بمعنى مثل في محل رفع اسم كان. والذي يهمنا هنا الكاف الجارة، وهي لا تجر إلا الاسم الظاهر، وشذ جرها لضمير الغائب استغناء بمثل[1]. ولئن اتصلت(ما) بالجملة الاسمية، كانت مصدرية، والكاف جارة للمصدر المنسبك من(ما) وصلتها[2]. ويستعمل (الكاف) اسماً إذا كان بمعنى (مثل)[3].

وقد أفادت الكاف معاني دلالية، اختلف العلماء في بعض منها، وليس غرضنا هنا الاختلاف. ومن المعاني التي أفادتها: **التشبيه**[4] ومثاله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[البقرة: 143] وتأتي **للتعليل**، كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾[البقرة: 198][5] أي: بسبب هدايته لكم.

والتشبيه بنوعيه الحسي والمعنوي يعدّ أكثر معاني الكاف تداولاً[6]، وغالب دخولها على المشبه به[7]. ومن معانيها كذلك: **الاستعلاء**، نحو: كيف أصبحت؟ فتقول: كخير، أي على خير[8]، وأكد ابن جني أن الكاف في المثال السابق كما تأتي بمعنى (على) تأتي أيضاً بمعنى (الباء)، أي: بخير، ومثّل لذلك بقول: كن كما أنت، أي: كن على الفعل الذي هو أنت عليه[9]. وتكون الكاف **زائدة**، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: 11] فهي هنا زائدة، عند أكثر العلماء[10]. وزيادتها تكون للتوكيد.

ورد حرف (الكاف) كحرف جر في سورة البقرة ثلاثاً وعشرين مرة[11]، وكانت معانيه عند الزمخشري وأبي حيان في السورة تدور حول التشبيه والتعليل، والزيادة. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

---

[1] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص385، ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1710/4

[2] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1714/4.

[3] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج42/8. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج27/3-28.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج193/1، ابن هشام، المغني، ص242.

[5] ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج790/2.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج594/1.

[7] ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ج515/2.

[8] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج193/1، وابن هشام، المغني، ص243.

[9] ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج326/1.

[10] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص86-87.

[11] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج796/2.

الآية الأولى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: 166-167].

يقول الزمخشري: "مثل ذلك الإراء الفظيع (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ)"[1]. ووافق أبو حيان الزمخشري في ترجيح دلالة الكاف على التشبيه في هذه الآية على القول بزيادتها، فقال: "والظاهر أن الكاف على بابها من التشبيه، وأن التقدير مثل إراءتهم تلك الأهوال (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ)... والأجود تشبيه الإراءة بالإراءة"[2].

والمشهد مهول مخيف فيما يكون لكل من اجتمع على الشر من أراذل الذين اتبعوا كبراءهم الأشرار، فالأتباع أطاعوا ما أمرهم به المتبوعون من محاربة دين الله، والصد عن سبيله، وكانوا يلاحقون الإسلام وأهله، فلمّا كان يوم الحسرة رأوا حصاد أعمالهم الشيطانية إراءة مثل إراءة الله أعمالهم حسرات، وهو أشد الندم وأبلغه عليهم "فهو تشبيه الشيء بنفسه... كأنه يرام أن يريهم أعمالهم في كيفية شنيعة، فلم يوجد أشنع من هذه الحالة"[3]. وليس هناك أبلغ، ولا أوقع في النفس من هذا التشبيه، خاصة أن صورة العذاب تكتمل إذا نظرت إلى حرف الاستعلاء (حسرات عليهم)، إذ استعلتهم الحسرات، كقوله سبحانه: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[المجادلة: 14].

الآية الثانية: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[البقرة: 198].

قال الزمخشري: "والمعنى: واذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه"[4]. ووافق أبو حيان الزمخشري في إفادة الكاف التشبيه، وأبان كلامه بقوله: "والكاف في (كما)

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج199/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج648/1.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج100/2

[4] الزمخشري، الكشاف، ج231/1.

للتشبيه... والمعنى: أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله لكم، هذه هدايتكم إياكم أحسن ما أسدي إليكم من النعم؛ فليكن الذكر من الحضور والديمومة في الغاية حتى تماثل إحسان الهداية"[1].

وممن وافقهما على التشبيه الزجاج،[2] وابن عطية،[3] والبيضاوي،[4] وصاحب روح المعاني كذلك حيث يقول: "والتشبيه لبيان الحال وإفادة التقييد، أي: اذكروه على ذلك النحو، ولا تعدلوا عنه"[5]. وأضاف أبو حيان أن الكاف تحتمل إفادة التعليل هنا[6]، ووافقه الأخفش[7] ولم أجد هذا في كتابه معاني القرآن. والألوسي،[8] ولا مانع من إفادة الكاف معنى اللام، فالآية تحث المسلم أن يماثل ذكره لله تعالى، ديمومة هدايته له الصراط المستقيم، وإلى مناسك الحج، وغيرها من أعمال البر، وتطالبه الآية كذلك بذكر الله تعالى؛ لأجل هدايته إياه. قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[البقرة: 185]

الآية الثالثة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾[البقرة: 219-220].

ذكر أبو حيان أن الكاف في (كذلك) أفادت معنى التشبيه، والمعنى أن الله تعالى يبين للمسلمين الآيات في المستقبل مثل ما يبين لهم الإجابة عن سؤالهم في الخمر والميسر، أو سؤالهم عن النفقة، فيكون هذا التبيين مماثلاً لذاك التبيين[9].

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج106/2

[2] ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهيل (ت:311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب -بيروت، ط1، 1408هـ، ج273/1

[3] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج275/1

[4] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج131/1

[5] الألوسي، روح المعاني، ج484/1

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج106/2

[7] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج332/2

[8] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج484/1

[9] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج169/2

فالله تعالى من رحمته بالمؤمنين أنه يبين لهم الأحكام التي توضح لهم طريق النجاة في الداريْن كما أبان لهم سؤالهم عن الخمر والميسر وعن الإنفاق من فضل المال؛ ليكون ذلك بمثابة نور يستضيء به المؤمن في حياته؛ فما كان من شر اجتنبه، وما كان من خير امتثله، كما قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[البقرة: 5] ولم يكن للزمخشري إيضاح لمعنى الكاف في هذه الآية[1].

الآية الرابعة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[البقرة: 171].

قال الزمخشري: "ومثل داعيهم إلى الإيمان –في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودويّ الصوت، من غير إلقاء أذهان ولا استبصار– كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها، وزجر لها، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي"[2].

ووافق أبو حيان الزمخشري في إفادة حرف الكاف معنى التشبيه إذ قال: "لمّا ذكر الله تعالى أن هؤلاء الكفار إذا أمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عن ذلك، ورجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشؤوا عليه، ووجدوا عليه آباءهم، ولم يتدبروا ما يقال لهم... ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية؛ منبهاً على حالة الكافر في تقليده أباه، ومحقراً نفسه إذ صار هو في رتبة البهيمة أو في رتبة داعيها"[3]. ثم ذكر بعد ذلك أقوالاً تسعة للعلماء في هذا التشبيه، قال بعدها: "والكاف للتشبيه، شبه الصفة بالصفة، أي: صفتهم كصفة الذي ينعق"[4]. فالكافر الجاهل الذي أوغل في تقليد آبائه في عبادتهم ما دون الله، أو تقليد أفكار الكفر دون إدراك منه، ولا وعي، ولم ينصت لداعي الإيمان، إنصات تدبر وفهم، ضرب الله له مثلاً –تشويهاً لحالته، وتحقيراً له– بالأنعام التي لا تسمع ممن ينعق بها إلا دعاءً ونداءً، وهذا فيه الردع لهذا المقلِّد الأعمى، وزجر لمن علم

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج246/1

[2] المصدر السابق، ج200/1

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج656/1.

[4] المصدر السابق، ج658/1

هذه الحال. وهذا غاية الفظاعة. يقول ابن عاشور عن هذا التشبيه المركب: "فكل من الحالة المشبهة، والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء: داعٍ ومدعوّ ودعوة، وفهم، وإعراض، وتصميم، وكل من هاته الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به، وهذا من أبدع التمثيل، وقد أوجزته الآية إيجازاً بديعاً"[1].

المطلب التاسع: حرف (حتى)

مبناه أربعة أحرف، وهو من الحروف التي تعمل تارة، ولا تعمل تارة أخرى، وإن عملت كانت جارة[2]. وله أحكام متعددة، فيكون حرف جر، وحرف عطف وحرف ابتداء، وتارة ينتصب الفعل المضارع بعدها، وتارة تقع الجمل الاسمية والفعلية بعدها؛ فلا تعمل فيها؛ وتسمى حتى الابتدائية[3]. وتدل (حتى) على **الغاية**، وتكون **بمنزلة (إلى)** في المعنى والعمل[4].

واختلف أهل الصنعة في دخول ما بعد (حتى) الخافضة فيما قبلها[5]. أمّا الزمخشري فقد أظهر أن من حق (حتى) أن يدخل ما بعدها فيما قبلها[6]، ووافقه أبو حيان إلا أن تدل قرينة على خلاف ذلك.[7] وكان سيبويه قد صرح بهذا[8]. أمّا ابن مالك فقد خالف إذ جعل (حتى) للغاية مطلقاَ، نحو: سرت حتى الصباح"[9] أي: إن ما بعدها غير داخل فيما قبلها. أمّا المالقي فقد فصل في ذلك، ف (حتى) أمّا أن تدخل على الأعيان أو على المصادر، فإن دخلت على الأعيان تكون بمعنى (إلى)، وهنا لا يكون ما بعدها إلا داخلاً فيما قبلها إن

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج111/2.

[2] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص163.

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص257، والمرادي، الجنى الداني، ص542، حسن، النحو الوافي، ج488/2.

[4] ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو، ص424. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت:392هـ)، اللمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية –الكويت، ص76–77.

[5] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1754/4، المرادي، الجنى الداني، ص545.

[6] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص380.

[7] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1754/4.

[8] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج96/1.

[9] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج789/2.

توجّه الفعل إليه، نحو: قام القوم حتى زيد، أمّا حين دخولها على المصادر؛ فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها، نحو: سرت حتى غروب الشمس[1].

وينتصب الفعل بعدها بإضمار أن، قال المبرد: "واعلم أن الفعل ينتصب بعدها بإضمار (أنْ) وذلك أن (حتى) من عوامل الأسماء الخافضة لها... فإذا وقعت عوامل الأسماء على الأفعال لم يستقم وصلها بها إلا على إضمار (أنْ) والفعل اسم مصدر فتكون واقعة على الأسماء"[2]. فقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾[البقرة: 109] أي: حتى إتيان الله بأمره.

وهو حرف جر أصلي، وهو نوعان:[3] نوع لا يجر إلا الاسم الظاهر الصريح ودلالته هنا **انتهاء الغاية**، ونوع لا يجر إلا المصدر المنسبك من (أن) المضمر وجوباً، وما دخلت عليه من جملة المضارعة، ويدل على معاني: **انتهاء الغاية، أو التعليل، أو الاستثناء** إن لم يصلح أحد المعينين السابقين. وانتهاء الغاية يعني: أن ما بعدها غاية لما قبلها، وينقطع ما قبلها بمجرد حصول ما بعدها، ومعنى التعليل: أن ما قبلها علة لما بعدها، وبمعنى (إلا) الاستثنائية، نحو:

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود، وما لديك قليل[4]

ومثال الغاية قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾[البقرة: 120]. ومثال التعليل أو الغاية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾[البقرة: 217][5].

---

[1] ينظر: المالقي، رصف المباني، 258-259.

[2] المبرد، المقتضب، ج38/2

[3] ينظر: حسن، النحو الوافي، ج482/2-483.

[4] البيت للمقنع الكندي، ينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية -بيروت، 1998م، ج344/3.

[5] ينظر: ابن هشام، المغني، ص177، الحمد، والزعبي، المعجم الوافي، ص141

ولمجروره شرطان: أن يكون اسماً ظاهراً، وأن يكون آخر جزء، نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، أو ملاقي آخر جزء، نحو: سرت النهار حتى الليل[1].

وتكون (حتى) الجارة بمنزلة العاطفة في اشتراك ما بعدها مع ما قبلها، إلا إذا وجدت قرينة تصرفها عن العطف[2]. ولم تقع (حتى) العاطفة في القرآن، قال السيوطي: "وترد عاطفة ولا أعلمه في القرآن الكريم"[3].

وقد تكرر حرف (حتى) في سورة البقرة خمس عشرة مرة[4]. تحدث الزمخشري عن موضعين منها، في حين تحدث أبو حيان عن أحد عشر موضعاً. وكانت دلالة (حتى) عندهما تدور بين الغائية، والتعليل. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: 214].

قال الزمخشري: "إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)... وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة، وتماديه في العظم؛ لأن الرسل لا يقادر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجّوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها"[5]. فحتى عند الزمخشري أفادت الغاية هنا.

وذكر أبو حيان دلالة (حتى) على الغائية والعلة، إلا أنه رجح ما ذكره الزمخشري من دلالتها على الغائية فقال: "والفعل بعدها منصوب إمّا على الغاية، وإمّا على التعليل، أي: وزلزلوا إلى أن يقول الرسول، أو وزلزلوا

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص543-544.

[2] ينظر: ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ج498/1.

[3] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1408هـ-1988م، ج160/2.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج626/2.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج240/1.

كي يقول الرسول، والمعنى الأول أظهر؛ لأن المسّ والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين"[1]. ودلالة (حتى) على التعليل حين يكون ما قبلها سبباً لما بعدها، وليس الأمر كذلك هنا.

و(ال) في كلمة (الرسول) تدل على جنس الرسول، وليس رسولاً بعينه، فهو ومن معه من المؤمنين وصل بهم الضجر، ونَفِد منهم الصبر؛ لِما رأوا من الشدة والزلزلة من وراء ابتلاءات أقوامهم إلى أن وصل بهم الحال أن يجأروا إلى الله تعالى مستغيثين به، استفهاماً (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)، حين استبطائهم هذا النصر. وحال الأمة اليوم ليس بعيداً عن ذلك؛ فقد أصابها من اللأواء والخذلان، وابتلاءات صنيعة الاستعمار حتى قالوا: (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ).

الآية الثانية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾[البقرة: 217]

أفادت (حتى) هنا العلة عند الزمخشري، فقد قال: "حتى معناه التعليل، كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، أي: يقاتلونكم كي يردوكم"[2]. فَعِلّة استمرار مقاتلة المشركين المسلمين عدم ردة المسلمين عن دينهم.

أمّا أبو حيان فقد ذكر دلالتي (حتى) الغائية، والتعليل في هذه الآية، ووجّه كلام الزمخشري في دلالتها على التعليل بعد أن نقله وبين أنه أمكن من حيث المعنى، فمقاتلة المشركين المسلمين مستمرة ما دامت العلة الحاملة لهم على المقاتلة موجودة، بخلاف الغاية فإنها تقييد في الفعل دون ذكر الحامل عليه، فزمان وجوده مقيد بغايته، أمّا زمان وجود الفعل المعلل مقيد بوجود علته، وهذا أقوى، لما في التقييد بالعلة من ذكر الحامل، وعدمه في التقييد بالغاية[3].

وربما لم يذكر الزمخشري الغائية، مكتفياً بالتعليل من باب النظر إلى الأبلغ، وإلا فالعلماء ذكروا الدلالتين معاً لحرف (حتى) في هذه الآية، والنص يحتملهما. ومن العلماء الذين ذكروا دلالتي الغاية والتعليل: الرازي[4]،

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج149/2.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج242/1

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج159/2

[4] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج392/6.

والسمين الحلبي،[1] والألوسي[2]، وابن عاشور[3]. والبقاعي الذي جمع بين الدلالتين في بيان كل منهما بأسلوب فيه تمييز بين هاتين الدلالتين فقال: "ولمّا كان قتالهم إنّما هو لتبديل الدين الحق بالباطل علله تعالى بقوله: (حتى)، ولكنهم لمّا كانوا يقدرون أنه هيّن عليهم لقلة المسلمين وضعفهم؛ تصوروه غاية لا بد من انتهائهم إليها، فدل على ذلك بالتعبير بأداة الغاية... ونبّه على أن (حتى) تعليلية بقوله؛ مخوفاً من التواني عنهم، فيستحكم كيدهم، ملهباً للأخذ في الجد في حربهم"[4].

واليوم، فقد استفحل الكفر في حربه بوسائله المختلفة، وأساليبه الخبيثة على الإسلام وأهله؛ وغايته ردة المسلمين، وأن تخلو الساحة للكفر وأذنابه، ورغم نجاحه في تشغيبه على المسلمين الفهم الصحيح لدينهم؛ إلا أنهم مستمرون في حربهم تلك حتى يُخرجوا من استطاعوا من المسلمين من الملة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾[البقرة: 120]، لكنهم لن يستطيعوا إخراجنا من ديننا، ولن يستطيعوا تشويه فهم ديننا علينا تشويها تكون معه ردة، مصداقاً لمدلول (إنْ) في الآية نفسها: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[البقرة: 217]، إذ تأتي لما هو مظنون قليل الوقوع.

الآية الثالثة: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾[البقرة: 230].

ظاهر الآية يجعل نفي الحِلّ لمطلّقها الأول منتهياً إلى غاية نكاحها زوجاً غيره، إلا أن أبا حيان أبان أنه ثم معطوفات قبل هذه الغاية وبعدها مقصودة كذلك، وهي غايات أيضاً، والتقدير: فلا تحل له من بعد الطلاق الثلاث حتى تنقضي عدتها منه، وتعقد على زوج غيره ويدخل بها دخولاً صحيحاً، ويطلقها، وتنقضي عدتها من الثاني، حينها تحل الرجعة للزوج الأول. دلّ على إرادة هذه الغايات الكتاب والسنة الصحيحة[5].

---

[1] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج399/2.

[2] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج504/1-505

[3] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج331/2.

[4] البقاعي، نظم الدرر، ج231/3.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج211/2.

وهذه الغايات صحيحة كلها منطوية تحت الآية: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، واستدل أبو حيان لذلك بالكتاب والسنة دون أن يذكر الدليل هنا. والدليل من الكتاب على عدة المطلقة الحائض: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[البقرة: 228]، وعدة المطلقة اليائسة من الحيض، واللاتي لا تحيض، والمطلقة الحامل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق: 4]

والدليل من السنة ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير، أن عائشة، أخبرته: أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن رفاعة طلقني فبتّ طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، وإنّما معه مثل الهُدبة، قال رسول الله ﷺ: "لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عُسيلتك، وتذوقي عُسيلته"[1].

أبو حيان لم يتوسع في دلالة (حتى)، وأثر ذلك على اختلاف الفقهاء كما سنّ لنفسه في منهجه في تفسير كتاب الله تعالى. ولم يكن للزمخشري تعليق على دلالة (حتى) في هذه الآية[2].

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب من أجاز طلاق الثلاث، رقم الحديث (5260)، ج42/7.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج257/1-258.

المبحث الثالث: حروف النداء والاستثناء والتنبي

المطلب الأول: حرف النداء (يا)

افتتح الله تعالى بهذا الحرف عشر سور من كتابه الكريم[1]. خمساً منها لنبينا محمد، ﷺ، وهي: الأحزاب، الطلاق، التحريم، المزمل، والمدثر، وثلاثا منها نداء للمؤمنين، وهي: المائدة، والحجرات، والممتحنة، واثنتان نداء للناس، وهما: النساء، والحج.

ويقصد بالنداء "لغة: الدعاء، واصطلاحاً: الدعاء بحروف مخصوصة"[2]، أو: "هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم"[3].

واختلف النحاة في عدة حروفه، فمنهم من عدها خمسة كسيبويه[4] والمبرد في مقتضبه[5] وهي: (يا، أيا، هيا، أي، والألف)، وأضاف الزجاجي لها سادساً وهو واو الندبة[6]، وجمعها ابن مالك في ألفيته بقوله:

ولـلـمـنـادى الـنـاء أو كـالـنـاء[7]يـا وأي وآ كـذا أيـا ثـم هـيـا
والـهـمـزة لـلـدانـي ووا لـمـن نـدب أو يـا غـيـر وا لـدى الـلـبس اجـتـنـب[8]

والذي يهمنا ما اجتمعوا عليه، وهو حرف النداء (يا)؛ لأنه لم يرد النداء في القرآن إلا به، وهو "من حروف التنبيه ينادى به مرة، ولا ينادى به أخرى"[9]. وهي تسدّ مسد (أنادي) أو (أدعو). ويمتاز بأنه أكثر حروف

---

[1] ينظر: الزركشي، البرهان، ج178/1.
[2] أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج2179/4.
[3] حسن، النحو الوافي، ج4/ص1.
[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج229/2.
[5] ينظر: المبرد، المقتضب، ج233/4.
[6] ينظر: ابن عصفور، أبو الحسن علي الإشبيلي (ت:669هـ)، شرح جمل الزجاجي، تح: فواز الشعار، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1429هـ، 1998م، ج177/2.
[7] النائي: هو البعيد مسافة، وكالنائي: هو البعيد حكما كالساهي. ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (ت:749هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ-2008م، ج1051/2.
[8] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ج49/1.
[9] المالقي، رصف المباني، ص513.

النداء استعمالاً؛ لدخوله على أقسام النداء الخمسة[1]، ويمتاز كذلك بأنه عند الحذف يتعيّن تقديره دون غيره من حروف النداء، في لفظ الجلالة (الله)، والاستغاثة، وفي نداء (أيها، وأيتها)[2]. وقد كثر تقدير حرف النداء (يا) في القرآن الكريم، نحو: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[النور:31]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾[إبراهيم:38] وغيرها، ولهذا الحذف أغراض بلاغية لا يتسع المقام لبيانها.

الأصل أن ينادى ب(يا) البعيد؛ لجواز مد الصوت بالألف ما شئت، إلا أنه لمّا كثر استعمالها صار ينادى بها القريب كذلك[3]، ويرى الزمخشري في المفصل، أنها موضوعة أساساً لنداء البعيد، فإذا نودي بها القريب فلحرص المنادي على إقبال المنادى المدعو عليه، ومفاطنته لما يدعوه له[4].

وهذا الحرف على قسمين أحدهما:

للنداء إن وليه دعاء، نحو:

يَـا لَـعْـنَـةُ[5] اللهِ والأقـوامِ كُـلِّـهِـم والصّـالِحينَ على سِـمعـانَ من جـارِ[6]

أو وليه أمر، كقوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ﴾[البقرة:35]. وثانيهما: **للتنبيه** إن وليه ليت، أو رُبّ، أو حبذا[7].

---

[1] وهي: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، وغير المقصودة، والمنادى المضاف، والشبيه بالمضاف. ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج4/17-20.

[2] ينظر: حسن، النحو الوافي، ج4/ص5.

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص513، أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج4/2179.

[4] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص413.

[5] حذف المنادى، أي: يا قوم. ينظر: علي بن عَدْلان، بن حماد بن علي الربعي الموصلي (ت: 666هـ)، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1405هـ 1985م، ص: 18. لعنةُ بالضم مبتدأ، والمنادى محذوف تقديره يا قوم، والتقدير: يا قومِ لعنةُ الله.

[6] البغدادي، خزانة الأدب، ج11/197.

[7] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص357-358، وابن هشام، المغني، ص460-461.

ويشارك (يا) حرف النداء (وا) في **الندبة**[1]، إذ يستعمل "للندبة[2] بشرط وضوح هذا المعنى في السياق، وعدم وقوع لَبسٍ فيه... ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: 56]"[3].

ويأتي النداء للقريب ب (يا) لغرض **التوكيد**.[4] ولدفع بلاء نزل بالمستغاث لأجله[5]. ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخر، تستنبط من السياق والقرائن، حيث أبان الزركشي أن النداء يستعمل في غير معناه مجازاً في مواضع، منها: **الإغراء والتحذير**، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[الشمس:13]، **والتنبيه**[6]، ويكون **للتوجع**[7]، **والتحسر** مثل: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:56]، **والاختصاص**، نحو: أمّا أنا فأفعل كذا أيها الرجل، ويعني بالرجل نفسه[8].﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾[هود: 73] أهل منصوب على النداء، أو على الاختصاص[9].

وينَزّل المنادى البعيد منزلة القريب؛ تنبيهاً على أنه لا يغيب عن القلب، أو العكس، دلالة على أن المنادى رفيع القدر، أو إلى انحطاطه، أو إشعاراً بأن السامع غافل لاهٍ[10].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص354.

[2] "ندب القوم إلى الأمر يندبهم ندباً: دعاهم وحثهم، وانتدبوا إليه: أسرعوا". ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج354/9، وينظر: مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج253/4.

[3] حسن، النحو الوافي، ج2/4.

[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج230/2، ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج1289/3، وابن هشام، المغني، ص460.

[5] ينظر: الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص375.

[6] ينظر: الزركشي، البرهان، ج325/2.

[7] ينظر: ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت:542هـ)، أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ، 1991م، ج421/1.

[8] ينظر: الصعيدي، عبد المتعال (ت:1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ، 2005م، ج274/2.

[9] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج245/5.

[10] ينظر: عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج111/2.

يتبين مما سبق أن حرف (يا) يدل على التوكيد، والندبة، وإغاثة الملهوف، والإغراء والتحذير والتنبيه، والاختصاص، ويكون كذلك للتوجع والتحسر، وله دلالات أخرى، تبين من السياق والقرينة.

وقد تكرر حرف النداء (يا) في سورة البقرة أربعاً وعشرين مرة[1]. تحدث الزمخشري وأبو حيان في ثلاثة عشر موضعاً منها، دارت معانيها حول التنبيه، والتأكيد، والتحنن، والتشريف، والتخصيص، والحث. أمّا الإمام الزمخشري فلم يكن له متابعة لدلالة حرف النداء (يا) بعد الموضع الأول من وقوعه في السورة؛ لذا فإن الباحث سيذكر هذا الموضع، ثم بعده يذكر ما كان عند أبي حيان من دلالات لهذا الحرف جامعاً الآيات التي يكون فيها المنادى مشتركاً في بعض المواضع تمثيلاً، لا استقصاءً.

وحين النظر إلى حرف النداء (يا) في سورة البقرة، يتبين أن المنادى بعده كان: موسى مرة واحدة، ويعقوب لبنيه مرة، آدم مرتين، قوم موسى مرتين، الناس مرتين، أولي الألباب مرتين، بني إسرائيل ثلاث مرات، المؤمنين إحدى عشرة مرة.

تحدث الزمخشري عند آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[البقرة: 21]، تحدث عن أصل وضع حرف (يا)، أنه للبعيد، ثم صار يهتف به القريب، وذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جداً، وكل ما نادى الله به عباده من أوامر ونواه، وعظات وزواجر، وقصص، وغير ذلك إنّما هي أمور عظام، وخطوب جسام، عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضى ذلك أن ينادوا بالآكد الأبلغ[2].

فالزمخشري بيّن المنادى بحرف (يا)، والدلالة البلاغية له، وهي التوكيد، والغاية منه، وهو توجيه المنادى عليه لما فيه خيره في دنياه وأخراه.

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج1467/3.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج91/1-92.

وأورد أبو حيان عند هذه الآية بعض استعمالات الحرف (يا)، وبعض دلالاته، على عادته غير المنتظمة، في بيان المقصود بالكلمة عند أول ورودها[1]. وهذا هو الموضع الوحيد المشترك الذي تحدث فيه الزمخشري وأبو حيان عن حرف النداء (يا) في سورة البقرة.

ومن المواضع التي تحدث فيها أبو حيان عن هذا الحرف، آيات ثلاث كان المنادى فيها بني إسرائيل، وهو منادى مضاف، ولم يتكرر في القرآن بهذه الصيغة إلا في هذه المواضع، وهي: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[البقرة:40]، و﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة:47]، و [البقرة:122].

قال أبو حيان عند الآية الأولى: "وأقبل عليهم بالنداء؛ ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر والنواهي، نحو قوله: (يا أيها الناس اعبدوا)، و(يا آدم اسكن)"[2]. فالغاية من النداء تحريك سماعهم إلى ما يرد عليهم من أوامر ونواه، ففيه الحث على طاعة الذي أنعم عليهم، والوفاء بعهده سبحانه، والخوف منه في حال عصيانه.

وعند النداء الثاني قال: "وأعيد نداؤهم ثانياً على طريق التوكيد، ولينبهوا لسماع ما يرد عليهم من تعداد النعم التي أنعم الله بها عليهم... فالنداء الأول للتنبيه على طاعة المنعم، والنداء الثاني للتنبيه على شكر النعم"[3]. فالنداء جاء هنا على طريقة التوكيد والتنبيه، إذ هو توكيد لفظي حيث كرر الجملة نفسها (يا بني إسرائيل)، وتنبيه لأسماعهم لأمر فيه خيرهم ونفعهم وهو طاعة المنعم سبحانه، وشكره على ما أنعم، وفيه توكيد على ذلك.

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج231/1.

[2] المصدر السابق، ج328/1.

[3] المصدر السابق، ج346/1.

أمّا عند النداء الثالث فقد أبان أبو حيان: إنه تكرير على سبيل التوكيد بتذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم، وما بين هذا النداء، وبين الذي قبله من تذكير بالنعم المُنْعَم بها عليهم، وفي مقابلة تلك النعم أفعالهم القبيحة التي لا تليق بمن أنعم عليهم، من مخالفات، وتكذيب، وتعنّت، وذكر أبو حيان هنا جملة من هذه المخالفات التي وردت بين النداء الأخير، والنداء الذي سبقه، ثم عقب عليها بقوله: "والثلاث هي مبدأ الكثرة، وقد اهتم بك من نبهك، وناداك مرة ومرة ومرة"[1]. وهذا من أسلوب أبي حيان في الربط بين الآيات، وهو ما يسمى بعلم المناسبة.

هذا ما يتعلق بنداء الله تعالى لبني إسرائيل، أمّا ما يتعلق بنداء كليم الله تعالى، وهو موسى عليه السلام، لبني إسرائيل فقد ناداهم بما فيه حرصه على خيرهم، ونجاتهم من كبيرتهم التي اقترفوها وهي عبادة العجل، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: 54]. وهنا أبان أبو حيان أن النداء بلفظ (يا قوم) مشعر بالتحنن عليهم، وأنه منهم؛ ليكون ذلك أدعى لقبول ما يلقى إليهم، وفي ذلك هزٌّ لهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم ظلموا أنفسهم بعبادتهم العجل[2]. وهذا فيه أسلوب دعوي؛ إلانةً لقلوبهم التي انحرفت في عقيدتها، فرغم أن الذنب عظيم، وهو اتخاذ عجل بليد إلهاً من دون الله، إلا أنه ناداهم بما فيه ترقيق قلوبهم، وإمالتهم نحو الحق؛ إبعاداً لها عن الظلم العظيم، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13].

وفي نداء الله تعالى، ذي العظمة والجبروت، بني إسرائيل، مضيفاً إياهم لنبيه الكريم يعقوب عليه السلام، إضافة تكريم وتشريف، ثلاث مرات، وفي نداء موسى لهم ب (يا قوم)؛ تحننا وتعطفا مرتين؛ لأجل أن تصغي أسماعهم البليدة، وتفقه قلوبهم الصدئة، علّ نفوسهم ترعوي عما وقعوا فيه من المخازي والشنائع التي ظهر فيها حلم الله تعالى عليهم، وتأخير العقوبة عنهم، وفتح باب التوبة لهم. إلا أن هذا النداء الكريم من ربهم

[1] المصدر السابق، ج1/541-542.

[2] ينظر: المصدر السابق، ج1/356.

ونبيهم لم يجد إلا آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وعيوناً عمياً، فصدق فيهم وفي أمثالهم قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:46].

أمّا فيما يختص بنداء المؤمنين في سورة البقرة، فقد علّق أبو حيان على أربعة مواضع منها أبان فيها أن الله تعالى ناداهم بالنداء المتضمن وصف الإيمان، وهو وصف شريف ثابت لهم؛ ليكون ذلك تنبيهاً لهم على تعلّم أدب الحديث مع النبي ﷺ مخالفين بذلك يهود، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾[البقرة:104][1]. وهزهم حين ناداهم سبحانه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: 153]؛ ليكون ذلك أدعى لقبول ما يرد على أسماعهم من الأمر والتكليف الشاق، فيستعينوا بالصبر والصلاة على أذى الكفار وطعنهم على التوجه إلى الكعبة بدل بيت المقدس[2]. وكذلك الحال في تنبيههم لقبول فريضة الصيام حين خاطبهم سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البقرة: 183].

أمّا عن آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[البقرة: 172] فقد ربط أبو حيان بين هذه الآية وآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[البقرة: 168]، التي فيها عموم الناس بأن "ميز الله المؤمنين بهذا النداء؛ تشريفاً لهم، وتنبيهاً على خصوصيتهم"[3]. ولمّا كان الخطاب عاماً (يا أيها الناس) كان الأمر المتوجَّه إليه الخطاب عاماً: (كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)، وكان النهي عاماً كذلك: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان)،

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/523.
[2] ينظر: المصدر السابق، ج1/621.
[3] المصدر السابق، ج1/659.

ولمّا كان الخطاب خاصاً (يا أيها الذين آمنوا)، كان الأمر المتوجه إليه النداء خاصاً (كلوا من طيبات ما رزقناكم).

وفي نداء الله تعالى ثلة المؤمنين بأعظم الأوصاف وهو وصف الإيمان؛ تكريم لهم، ودفع للإقبال على ما بعد النداء بنفوس مطمئنة، وجوارح مخبتة لربها الودود الغفور، وأسماع منصتة، وقلوب راضية فيها شغف لما يلقى إليها من رب رحمن رحيم، من أوامر الله تعالى ونواهيه؛ لتحسن الاستجابة مسرعة مصداقا لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[النور: 51].

المطلب الثاني: حرف الاستثناء (إلا)

الاستثناء استفعال مأخوذ من الثني، "وثنيت الشيء ثنياً: عطفته"[1]. و"ثني الشيء ثنياً: رد بعضه على بعض"[2]، والثني من الثوب ونحوه ما ثني وكف من أطرافه[3]. هذا في اللغة، أمّا اصطلاحاً فقد عرفه المرادي بقوله هو: "إخراج ب (إلا)، أو إحدى أخواتها، تحقيقاً، أو تقديراً... والمراد بالمخرج تحقيقاً: المتصل، وبالمخرج تقديراً: المنقطع"[4].

وقد ذكر سيبويه أدوات الاستثناء فقال: "فحرفُ الاستثناء إلا. وما جاء من الأسماء فيه معنى إلا فغيرٌ، وسوى، وما جاء من الأفعال فيه معنى إلا فلا يكون، وليس، وعدا، وخلا. وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فحاشا وخلا في بعض اللغات"[5].

---

[1] الجوهري، الصحاح، ج2295/6.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج115/14.

[3] ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج102/1.

[4] المرادي، الجنى الداني، ص511، وينظر: الزمخشري، المفصل، ج76/2.

[5] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج309/2.

والاستثناء على أقسام:

1. المتصل، وهو: "ما كان بعضاً من المستثنى منه"[1]. وهو الذي يخرج بعض الشيء من كله[2]. ويكون المستثنى جزءاً من المستثنى منه، أو من جنسه[3].
2. المنقطع: هو ما لم يكن بعضاً من المستثنى منه، أو كان بعضه إلا أن العامل غير متوجّه عليه[4]. ويكون بمعنى (لكن) كقوله سبحانه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾[هود: 43][5]، ومعنى ذلك: "أنه لا يكون داخلاً في الأول، بل يكون في حكم المستأنف، وتقدير (إلا) فيه بلكن"[6]. وشرطا المنقطع: ألا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وألا يحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه[7].

وتكون (إلا) للاستثناء إن ذكر معها المستثنى منه، ولم تسبق بنفي، أو نهي، أو استفهام إنكاري، ويكون استثناءً متصلاً أو منقطعاً حسب السياق، في حين إذا سبقت بنفي، أو نهي، أو استفهام إنكاري كانت (إلا) أداة حصر، ويسمى الاستثناء حينها مفرغاً[8].

والاستثناء المفرغ هو: "تفريغ الفعل لما بعد (إلا)، أو خضوع ما بعد (إلا) لتأثير الفعل، وكأن الاستثناء لم يكن"[9]. فقولك: ما حفظ القرآن إلا محمد، هذا مفرغ، وحصرت حفظ القرآن في محمد من بين أقرانه، ويمكن الاستغناء عن الاستثناء، فتقول: حفظ القرآن محمد.

---

[1] أبو حيان، الارتشاف، ج1500/3.

[2] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص171.

[3] ينظر: الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص54.

[4] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1500/3.

[5] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج325/1، والمالقي، رصف المباني، ص171.

[6] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت:616هـ)، إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م، ج173/1.

[7] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج336/1.

[8] المصدر السابق، ج336/1.

[9] المصدر السابق، ج336/1.

والاستثناء المفرغ لا يأتي بعد إيجاب، لأن وقوعه بعد الإيجاب محال، أو كذب، إنّما شرطه أن يكون مع نفي، أو نهي، أو المؤول بهما[1] يقول الفراء: "ولولا الجحد... لم تُجز دخول (إلا) كما أنك لا تقول: ضربت إلا أخاك"[2].

إلا أن عضيمة في دراساته أظهر أن الاستثناء المفرغ يأتي بعد الإيجاب مستدلاً بآيات القرآن الكريم التي فيها الإثبات مؤكداً، مما يبعد تأويل هذا الإثبات المؤكد بنفي، ومن هذه الآيات: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: 45][3] إلا أن أبا حيان كان قد جعل الاستثناء المفرغ مع نفي أو نهي، أو مؤول بهما فقال: "والاستثناء المفرغ لا يكون في الواجب، لو قلت: ضربت إلا زيداً، وقمت إلا ضاحكاً لم يصحّ. والاستثناء المفرغ لا يكون إلا مع النفي أو النهي أو المؤول بهما فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك قُدّر عمومٌ قبل إلا حتى يصح الاستثناء من ذلك العموم؛ فلا يكون استثناء غير مفرغ"[4]. والذي تميل إليه النفس ما ذكره عضيمة، خاصةً وأنه قد أتى بدليل من القرآن الكريم فيه إثبات مؤكد، والمؤكد لا يؤول بالنفي، وعدم التقدير أولى من التقدير. وابن الحاجب أجاز مجيئه بعد الإيجاب[5].

وأداة الاستثناء (إلا) متفق عليها، وهي أم الباب، وتأتي على معانٍ، منها: **الاستثناء**، كقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[البقرة: 249][6]، ومعناها المشهور الاستثناء متصلاً، أو منقطعاً، وتكون **بمعنى (غير)**، وعند الأخفش والفراء **عاطفة** بمعنى الواو، تشرك في الإعراب لا في الحكم، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج470/4.

[2] الفراء، معاني القرآن، ج433/1.

[3] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج234/1.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج470/4.

[5] ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس (ت:646هـ)، كافية ابن الحاجب، مكتبة البشرى –كراتشي، ط1، 1429هـ، 2008م، ص79.

[6] ينظر: ابن هشام، المغني، ص110.

حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[البقرة:150]عند الكوفيين، وتأتي **زائدة**، و**بمعنى (بل)**، كقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً﴾[طه: 2-3]، وبمعنى **(بدل)** كقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[الأنبياء:22]، أي: بدل الله[1].

ولم يعد أبو حيان معنى (الواو) لأداة الاستثناء (إلا)، قال في نهره: "وقال أبو عبيدة[2]: (إلا) بمعنى الواو، وكان أبو عبيدة يُضَعّف في النحو"[3]، ولم يعتد كذلك بالقول بزيادتها[4]. ووافق معنى (غير) إذ قال: "وقد يكون ما بعده وصفاً، وشرط الوصف به جواز صلاحية الموضع للاستثناء"[5].

وتكون بمعنى **(غير)** على أنها صفة[6]. وللموصوف شرطان: "أن يكون جمعاً أو شبهه، وأن يكون نكرة أو معرفاً بأل الجنسية كقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: 22]، والوصف يكون بإلا وبتاليها"[7].

ورد حرف (إلا) في سورة البقرة ثلاثاً وأربعين مرة[8]، وكان ما بعد هذا الحرف عند الزمخشري وأبي حيان استثناء متصلاً، أو منقطعاً، ومفرغاً. ويوضح الباحث شيئاً من هذا من خلال النماذج الآتية.

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص510، والسيوطي، الإتقان، ج190/2.

[2] أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ)، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى –القاهرة، 1381هـ، ج282/1.. ذكر ذلك عند قوله تعالى: (فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ)[يونس:98].

[3] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت:745هـ)، النهر الماد من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، دار الجيل –بيروت، ط1، 1416هـ، 1995م، ج222/1.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج658/1.

[5] ينظر: المصدر السابق، ج181/1.

[6] المبرد، المقتضب، ج408/4-411، العكبري، إملاء ما مَنَّ به الرحمن، ج132/2.

[7] المرادي، الجنى الداني، ص517-518.

[8] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج336/1.

الآية الأولى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة: 78].

قال الزمخشري: "وإلا أماني من الاستثناء المنقطع"[1]. ووافق أبو حيان الزمخشري في أن الاستثناء هنا منقطع، مع بيان في ذلك وتفصيل من حيث النحو، ومن حيث الدلالة. فمن حيث النحو فهو منقطع؛ لأن الأماني ليست من جنس الكتاب، والعامل، وهو يعلمون، متوجه على المستثنى، وهو أماني. أمّا من حيث الدلالة: فالأميون لا يعلمون من التوراة إلا ما هم عليه من الأماني من أن الله تعالى يعفو عنهم، ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أو ما يمنّيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة، فالعوام مقلدون أحبارهم فيما أخبروهم به من هذه الأماني[2]. فجنس المستثنى منه، الكتاب، مختلف عن جنس المستثنى، وهو الأمانيّ، ولا يدخل تحت أفراده.

الآية الثانية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:34].

أوضح الزمخشري أن الاستثناء متصل، وعلّله بأن إبليس كان واحداً مغموراً بين جموع الملائكة، فغلبوا عليه في قوله: (فسجدوا)، ثم استثني منهم استثناءَ واحد منهم، وذكر أنه يجوز أن يكون استثناءً منقطعاً[3]. وذكر أبو حيان كذلك الأمرين، متصلاً ومنقطعاً، مع بيان القائل لكل من الاستثناء المتصل، والاستثناء المنقطع، وذكر قاعدة النحو في أنه متصل بأنه استثناء من موجب، لم يسبق بنفي، ومنصوب. وكونه منقطعاً بأنه ليس من جنس الملائكة، إنّما هو أبو الجن، ولم يكن قط ملكاً، ومثل لذلك بآدم أبي البشر[4].

وحين النظر إلى السياق القرآني الكريم نجد أن كلمة (إبليس) وردت فيه إحدى عشرة مرة، سبع منها فيها الأمر بالسجود لآدم، أربع من هذه يوهم أن إبليس من الملائكة، وعليه فإن الاستثناء متصل. والمواضع

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج149/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج442/1.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج123/1.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج303/1.

الأربعة هي: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:34]. ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾[الحجر :30-31]. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء:61]. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾[طه:116].

إلا أنه عند إنعام النظر يتبيّن أن الله تعالى وصف إبليس بصفاتٍ خَلقِيَةٍ وخُلُقِية، مختلفة عن صفات الملائكة الخَلقِيَةِ والخُلُقِية، فمن الصفات الخَلقية لإبليس أنه من الجن بنص آية سورة الكهف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف: 50]، وأن الله تعالى خلقه من نار كما هو مبين في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: 12]، والجن خلقهم الله من نار، فقد قال سبحانه: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر: 27] أمّا الملائكة فقد خلقهم الله تعالى من نور كما روى مسلم عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار"[1]. كذلك الملائكة لا يتناسلون، وليس لهم ذرية، أمّا إبليس فله ذرية، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ﴾[الكهف: 50].

أمّا ما يتعلق بالصفات الخُلُقية، فالملائكة طائعون كما قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:6] وهم عباد الله تعالى مكرمون: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[الأنبياء:26-27]. في حين أن إبليس كان

[1] ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرقائق، باب في خلق الملائكة والجان وآدم، رقم الحديث (7605)، ج226/8.

قد أبى السجود مستكبراً، إذ هو من نار، وآدم من طين، وهو من الكافرين والفاسقين كذلك كما هو واضح من الآيات السابقة.

ولمّا كان الأمر كذلك، فالذي يراه الباحث أن الاستثناء منقطع، فالمستثنى في آية سورة البقرة إبليس ليس من جنس المستثنى منه الملائكة، هذا مع ما ذكره كل من الزمخشري وأبي حيان، من أن إبليس كان من الجن، ومغموراً في جموع الملائكة، والنادر لا حكم له. ومعنى (إلا) هنا (لكن). والمعنى: الملائكة سجدوا لآدم، لكن إبليس لم يسجد وقت ما أمر الله تعالى بالسجود.

الآية الثالثة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: 45] مع آية: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[البقرة: 143]. تحدثت الآية الأولى عن الصلاة وأنها كبيرة على غير الخاشعين، وتناولت الثانية تحويل القبلة وأنها كبيرة إلا على من هداهم الله.

وحين النظر في كلام أبي حيان عند هاتين الآيتين؛ يتبيّن أنه تناقض في مسألة الاستثناء المفرغ فيهما، ومر سابقا أن شرطه في المفرغ ألا يأتي بعد إيجاب إذ يقول: "ولا يكون التفريغ في الموجب، والأمر، والتمني، والشرط الذي لا يتضمن النهي"[1]. والآيتان السابقتان موجبتان، لم تسبق إحداهما بنفي، ولا بنهي، ومع ذلك قال أبو حيان عند الأولى: "استثناء مفرغ؛ لأن المعنى: وإنها لكبيرة على كل أحد إلا على الخاشعين"[2]. وقال عند الآية الثانية: "هذا استثناء من المستثنى منه من المحذوف إذ التقدير: وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الذين هدى الله، ولا يقال في هذا: إنه استثناء مفرغ؛ لأنه لم يسبقه نفي أو شبهه، إنّما سبقه إيجاب"[3].

فأبو حيان نفى التفريغ عند الثانية، وأثبته للأولى رغم أنهما في الإيجاب سواء، والأولى إيجابها مؤكد بـ(إنّ) واللام، وإيجاب الثانية مؤكد بـ(إن) واللام، ولا يؤول المؤكد بنفي. والاستثناء المفرغ وقع بعد الإيجاب، كما

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج470/4.
[2] المصدر السابق، ج341/1.
[3] المصدر السابق، ج599/1.

يذكر ابن هشام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: 45]، أي: إنها لا تسهل إلا على الخاشعين[1]. وقال بذلك أيضاً الزركشي[2]. وعليه، فالاستثناء المفرغ يقع بعد الإيجاب.

المطلب الثالث: حرف التنبيه (ألا)

حرف ينبه به المخاطب ليصغي إلى مضمون الخطاب، وهو "حرف يفتتح به الكلام، تقول: ألا إن زيداً خارج، كما تقول: اعلم أن زيداً خارج"[3]. وهو من الحروف الهوامل[4]. وإذا دخل على حرف تنبيه آخر خلص للاستفتاح، يقول ابن جني: "إذا دخلت (ألا) على (يا) خلصت افتتاحاً، وخص التنبيه ب (يا)"[5]. ودخلت (ألا) على (يا) في آية سورة النمل: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾[النمل: 24-25]. في قراءة لأبي جعفر والكسائي متواترة[6] (ألا يا) بتقدير (ألا يا هؤلاء اسجدوا). ويدخل على الجملة الخبرية والطلبية ويكون بعده أمر، أو نهي، أو استفهام، أو تمني[7].

وظيفته الأساسية توكيد مضمون الجملة، وتحقق ما بعده، وهو يدل على:

1. **الاستفتاح والتنبيه**، كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: 18]، ويصح الكلام إذا لم يدخل عليه[8]. ودلالته توكيد الجملة، وتحقيق مضمونها[9]. وتسمى ألا التنبيهية أو الاستفتاحية، ويدخل على الجملة الاسمية والفعلية، وتتعلق في الأعم بالعقائد، وأحكام الله تعالى على الأمم[10].

---

[1] ينظر: ابن هشام، المغني، ص847.

[2] ينظر: الزركشي، البرهان، ج240/4، وعضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج234/1.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج434/15.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص158.

[5] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، عالم الكتب -بيروت، تح: محمد علي النجار، ج281/2.

[6] ينظر: ابن الجزري، النشر، ج337/2.

[7] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج434/15، وابن هشام، المغني، ص159.

[8] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص158، الجوهري، الصحاح، ج2544/6، المالقي، رصف المباني، ص165.

[9] ينظر: ابن هشام، المغني، ص108، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص119.

[10] ينظر الشريف، معجم حروف المعاني، ج319/1.

2. **العَرْض أو التحضيض**، والعرض طلب بلين، والتحضيض طلب بِحَثٍّ، كقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ﴾[النور: 22] وألا هذه مختصة بالأفعال، نحو: ألا تقوم، وإن وليها اسم فعلى إضمار فعل، نحو: ألا زيداً، أي: ألا رأيت زيداً[1]. وإذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التوبيخ والإنكار، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت العرض أو الحض على الفعل. وألا العرضية التحضيضية في القرآن لم تدخل إلا على الفعل المضارع[2]. "وقد **تفيد اللوم، والعتب، والتنديم** مع الفعل الماضي، كقولك: ألا زرت مريضاً"[3].

3. **حرف جواب، وهي بمعنى (بلى)**، وهذا قليل شاذ، كقولك: ألم تقم؟ فتقول: ألا، أي: بلى[4]. و(ألا) التي يرجع الاسم بعدها للتمني، هي (لا) التي للنفي والتبرئة دخلت عليها الهمزة، وهذه مركبة، وليست بسيطة[5].

وهل هي مركبة، أو بسيطة؟ مسألة خلافية بين أرباب اللغة، وهذا ما سرى إلى الزمخشري وأبي حيان، إذ جعلها الزمخشري مركبة[6]، في حين عدّها أبو حيان بسيطة[7].

وردت (ألا) في سورة البقرة ثلاث مرات، كلها دخلت على جملة اسمية. ودلت عند الزمخشري وأبي حيان، على التنبيه والاستفتاح. أمّا أبو حيان فقد تحدث عن الأولى والثانية، إلا أن الزمخشري تحدث عن الأولى فقط.

---

[1] ينظر: المالقي: رصف المباني، ص165، والمرادي، الجنى الداني، ص382، وابن هشام، المغني، 109.

[2] ينظر: ابن هشام، المغني، ص108، والشريف، معجم حروف المعاني، ج319/1.

[3] الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص53.

[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص166، والمرادي، الجنى الداني، ص383.

[5] المالقي، رصف المباني، ص166، وابن هشام، المغني، ص108.

[6] الزمخشري، الكشاف، ج70/1.

[7] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج191/1.

الآية الأولى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة: 11-12].

أفادت (ألا) هنا التنبيه، توكيداً لمّا بعدها، يقول الزمخشري: "و(ألا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، كقوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾[القيامة: 40] ولكونها في هذا المنصب من التحقيق، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم"[1].

ودلالتها عند أبي حيان استفتاحية تنبيهية كذلك، فقد قال: "واستفتحت الجملة بألا منبهة على ما يجيء بعدها؛ لتكون الأسماع مصغية لهذا الإخبار الذي جاء في حقهم"[2].

وأوضح الزمخشري دلالة (ألا) في الآية مع ما بعدها وذلك أن المنافقين زعموا أن صفة الإصلاح خلصت لهم، دون أي شائبة من شوائب الفساد، فلمّا كانوا كذلك ردّ الله عليهم ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ، وأدلّه على سخط عظيم، وجاءت المبالغة فيه من جهة استئناف الكلام، وما في (ألا)، و(إن)، وتعريف (المفسدون)، وضمير الفصل (هم) من التأكيد[3].

وعلى تأويل أن المخاطب في الآيات هم المنافقون، وهذا يعضده السياق، فإنهم مفسدون، وإفسادهم متمثل في ممالأة يهود، والريب في الإسلام ونبيه ﷺ وإفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم، وإثارة الفتن، وتهييج الحروب، ولمّا (قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) كان ردهم بليغاً (إنما نحن مصلحون) قصراً للصلاح على أنفسهم هم، وبكلمة العظمة (نحن) اعتداداً، واعتقاداً في قلوبهم أن الذي يفعلونه ليس هو إلا الصلاح، وهذا من المرض

[1] الزمخشري، الكشاف، ج70/1.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج198/1.
[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج70/1-71.

الذي ذكرته آية ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾[البقرة: 10]. فلمّا بالغوا في وصف إفسادهم بالصلاح؛ قابل ذلك الرد عليهم بأبلغ أدوات التوكيد (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)، ألا التي هي استفتاح للكلام، وتنبيه للمخاطب؛ كي يصدر عن غفلته التي هو فيها، ويعلم ما فيه من الخراب، وفي هذا تحقيق وتوكيد لإفسادهم، أضف إلى ذلك أقوى حروف التوكيد (إنّ) المؤكدة لنسبة الفساد والإفساد إليهم، وضمير الفصل (هم)، و(ال) في (المفسدون)، كل هذا رداً على ادعائهم أن الصلاح مقصور عليهم دون غيرهم. قال أبو السعود: "قوله عز وجل (ألا أنهم هم المفسدون) ينادى بذلك نداء جلياً فإنه ردّ من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ ردّ وأدلّه على سخط عظيم حيث سُلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة تمكّن الحكم في ذهن السامع، وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقيق ما بعدها فإن الهمزة الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعاً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾[الزمر: 36]"[1].

الآية الثانية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 13].

قال أبو حيان عند دلالة (ألا) في هذه الآية: "وصدر الجملة بألا التي للتنبيه؛ لينادي عليهم المخاطبين بأنهم السفهاء"[2].

أفادت (ألا) هنا تنبيهاً للمخاطبين الغافلين، وهم المنافقون الذين قيل لهم: آمنوا كإيمان المؤمنين، فكان ردّهم إنكاراً: (أنؤمن كما آمن السفهاء)، فرد الله تعالى عليهم أبلغ ردّ بقوله: (ألا إنهم هم السفهاء)، بألا التنبيهية

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج44/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج200/1.

التي استفتح بها الجملة مؤكدة مضمونها أنهم هم السفهاء لا غير، ومحققه للسفه والجهل في جانبهم، وكأن السفه لهم وحدهم، وهو ألصق بهم من غيرهم. ولا يوجد للزمخشري بيان مدلول (ألا) عند هذه الآية[1].

أمّا فيما يتعلق بالآية الثالثة، والأخيرة، التي ورد فيها (ألا) في سورة البقرة فهي قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة: 214] فلم يكن للزمخشري بيان لدلالة (ألا) فيها[2]، وكذلك الحال عند أبي حيان[3].

تتحدث الآية عن الشدائد التي تصيب المؤمنين؛ لاستمساكهم بدينهم، وهذه الشدائد وصلت بالرسل، الذين هم الأعلى صبراً، وبالمؤمنين إلى الاستفهام عن زمن نصر الله الذي استبطأوه، فتأتي البشرى بأن نصر الله قريب. وهذه البشرى كانت جملة مستأنفة مفتتحة بحرف التنبيه (ألا) الذي فيه تنبيه للمخاطبين بأن ما وراءه متحقق لا محالة، وهو مؤكد لمضمون الجملة بعده في إتمام وعد الله بنصر أوليائه على أعدائه، ودخل هذا الحرف على جملة اسمية، وهي توكيد، مؤكَّدة بأبلغ حروف التوكيد وهو (إنّ)، وفي إضافة لفظة (نصر) إلى لفظ الجلالة (الله) توكيد وتشريف للمؤمنين بأن الله معهم، وأن النصر من عنده وحده سبحانه، وفي كلمة (قريب) زيادة أمن وطمأنينة للمؤمنين الذين زلزلوا في سبيل الله على يد عدوهم.

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج72/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، ج240/1.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج149/2-150.

الفصل الثاني

دلالات حروف المعاني المختصة بالأفعال

جاء هذا الفصل في أربعة مباحث تتعلق بالحروف التي تختص بالأفعال، وهي: حروف النصب، والجزم، والشرط، والتحضيض، والتنفيس، والتوقع.

المبحث الأول: حروف النصب

المطلب الأول: حرف (أَنْ)

هو لفظ مشترك بين الاسم والحرف، إذ يكون اسماً في موضعين: أحدهما قولك: أن فعلت، بمعنى "أنا" فعلت وثانيهما: أنت وأخواته، أن اسم، والتاء حرف خطاب[1]، وتاء الخطاب هي التاء اللاحقة للضمير المرفوع المنفصل، نحو: أنت[2].

أمّا (أن) الحرفية فقد ذكر لها النحاة اثني عشر وجهاً، فهي: حرف مصدري، وتفسير، ومخففة من (أن) الثقيلة، وحرف يصلح لأن يكون مصدرياً ومخففاً من (أن)، وحرف زائد، وشرط، ونفي، وبمعنى (إذ) وبمعنى (لئلا)، وحرف جزم، وضمير للمتكلم، وضمير للمخاطب[3]. وآخر اثنين ما يكون فيه (أن) اسماً.

ويكون الحديث هنا عن (أن) المصدرية، والتفسيرية، والمخففة من (أنّ) الثقيلة، والزائدة؛ لورودها عند الزمخشري وأبي حيان في سورة البقرة موضع الدراسة. و(أنْ) تكون عاملة، وغير عاملة. العاملة هي: الناصبة، وغير العاملة: التفسيرية، والزائدة[4].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص215–216.

[2] المصدر السابق، ص58.

[3] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص157.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص47_48

1. **أن الناصبة:** إحدى نواصب الفعل المضارع، وهي أم الباب، وهي أمكن الحروف في نصب الأفعال[1]. وهي من الحروف الموصلات، إذ توصل بالفعل المتصرف ماضياً، ومضارعاً، وأمراً، نحو: أعجبني أن فعلت، يعجبني أن تفعل، أمرته بأن افعل، ودليل مصدريتها مع الأمر دخول حرف الجر عليها[2].

ومن أحكامها أنها إذا دخلت على المضارع أخلصته للاستقبال وتنصبه، وإن دخلت على الماضي بقي على معناه من المضي، ولا تعمل فيه شيئاً، لأنه مبني، وكانت معه بمعنى مصدر قد وقع[3].

وتكون مضمرة بعد كي الجارة، ولامها، ولام الجحود، وأو بمعنى (إلا أن) و (إلى أن)، وبعد فاء السببية، وتفيد أن ما قبلها سبب لما بعدها، كما وتضمر بعد واو المعية، وتفيد أن ما بعدها مصاحب لحدوث ما قبلها، وبعد حتى إذا كان الفعل مستقبلاً بالنظر إلى ما قبلها[4].

وشرط النصب بها أمران: أن تكون مصدرية، لا زائدة، ولا مفسرة، وألا تكون مخففة من الثقيلة[5].

وتفيد، من ناحية الزمن، الاستقبال غالباً إذا دخلت على المضارع، كقوله تعالى: ﴿أَم أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ﴾[البقرة: 108]، **وتفيد الحال** كذلك ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة: 92]، أي: وهم لا يجدون ما ينفقون في الحال، وتفيد الزمان كله ماضياً وحالاً ومستقبلاً، كقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾[النحل: 15][6]. وتفيد

---

[1] المبرد، المقتصب، ج6/2، المرادي، الجنى الداني، ص217.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص216.

[3] ينظر: الرازي، الصحاح، ص24، وابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ج106/2، والمالقي، رصف المباني، ص193.

[4] ينظر: المبرد، المقتصب، ج6/2-7، والزمخشري، المفصل، ص325، والمالقي، رصف المباني، ص194، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص75.

[5] ينظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت: 761هـ)، شرح شذور الذهب في معرفه كلام العرب، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع -سوريا، ص377.

[6] ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر -عمان، ط1، 1420، 2000، ج154/3-156.

كذلك **العلة**، قال المبرد" تكون علة لوقوع الشيء"[1]. كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[عبسى:1-2]، أي: لأن جاءه.[2]

2. أن المخففة من الثقيلة: تقع بعد فعل اليقين، أو ما هو بمنزلته، نحو (علم، رأى)، وتدخل على الجملة الاسمية، واسمها ضمير الشأن يحذف وجوبا، وتدخل على الجملة الفعلية وحينها يكون خبرها مفصولاً بحرف تنفيس (السين، سوف)، كقول تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾[المزمل: 20]، أو حرف نفي (لم، لن، لا)، كقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٞ﴾[البلد: 7]، أو حرف (لو)، كقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[الجن: 16]، أو حرف (قد)، كقوله تعالى: ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾[المائدة: 113]، والشرط، كقوله تعالى: ﴿أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا﴾[النساء: 140][3].

والفرق بين (أن) الناصبة والمخففة هو أنّ العامل إنْ كان فعل علم ويقين، نحو: علمت، رأيت، فهي المخففة، وإن كانت الأفعال قبلها تدل على الظن الدالة على يقين وغير يقين، فتحتمل الأمرين، مخففة وناصبة، وإن كانت الأفعال قبلها غير ذلك فهي الناصبة[4].

3. أن التفسيرية: حرف غير عامل يفيد التبيين والتفسير[5]. وهي أمّا للطلب، وأمّا للكلام، كقوله تعالى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾[المائدة: 117]، أي: اعبدوا الله[6]. ويحسن

---

[1] المبرد، المقتضب، ج 214/3.

[2] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج154/3.

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص195-196، والمرادي، الجنى الداني، ص218، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص76-77.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص48، والمرادي، الجنى الداني، ص219-220، وأبو حيان، الارتشاف، ج1640/4.

[5] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص162.

[6] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص196-197.

موضعها (أي)[1]. وشرطها: أن تتقدمها جملة فعلية فيها معنى القول، وتليها جملة تامة مفسرة لما قبلها، كقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾[الصافات: 104]، أنْ بمعنى أي، و(ناديناه) جملة تامة، والنداء قول، وبعدها مفسر لها وألا يدخل عليها حرف جر لا لفظاً، ولا تقديراً، كقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾[المؤمنون: 27][2]، وجميع ما استدلوا به على أنها توصل بالأمر يحتمل أن تكون تفسيرية[3].

4. أن الزائدة: لها أربعة مواضع: بعد(لما) التوقيعية، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطَا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾[العنكبوت: 33])، وبين القسم و(لو)، وبين الكاف ومخفوضها، وبعد إذا، **وفائدتها التوكيد**، وهي ثنائية الوضع، وليس أصلها مثقلة فخففتٍ[4].

وردت (أنْ) في سورة البقرة أربعاً وخمسين مرة[5]. تحدث الزمخشري وأبو حيان في ثلاثة وعشرين موضعاً منها. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: 125]

قال الزمخشري: "بأن طهرنا" (وعهدنا) أمرناهما (أن طهرا بيتي) بأن طهر، أو: أي طهرا، والمعنى: طهرا من الأوثان والأنجاس... أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشَه غيرهم"[6]. وقال أبو حيان عند هذه الآية: "يحتمل أن تكون تفسيرية، أي: طهرا، ففسر بها العهد، ويحتمل أن تكون مصدرية، أي: بأن طهرا"[7].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص220.

[2] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج8/141-142، وابن هشام، شرح شذور الذهب، ص377.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص216.

[4] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص221-223، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص165-166.

[5] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج1/365-366.

[6] الزمخشري، الكشاف، ج1/175.

[7] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/553.

اتفق الزمخشري وأبو حيان، كما هو مبين، على أنّ (أنْ) أمّا مصدرية، أو تفسيرية، و(أن) إذا دخلت على الأمر تكون كذلك، والأمر الذ ي دخلت عليه (طهرا)، وسبقها جملة في معنى القول (وعهدنا)، فهي تفسيرية بمعنى (أي) قال ابن عاشور: "أن طهرا أن تفسيرية، لأن الوصية فيها معنى القول دون حروفه، فالتفسير للقول الضمني، والمفسر هو ما بعد (أن)... ولولا قصد حكاية القول لما جاء بعد(أن) بلفظ الأمر"[1].

والذي أقوله: (أنْ) تفسيرية إذ يصلح مكانها (أي)، ومصدرية، أي أن: المصدر المنسبك من (أن) والفعل هو التطهير. فالله تعالى أمر إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت من كل نجس، وقذر، وشرك، ومن كل مالا يليق بمقام هذا البيت الطاهر.

الآية الثانية: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾[البقرة: 258]

تحدث الزمخشري وأبو حيان عن (أن) والفعل الذي يليها في هذه الآية، واتفقا على أن (أن آتاه) مفعول لأجله، إلا أنهما اختلفا في وقوع المصدر المؤول موقع ظرف الزمان، وبيان ذلك فيما هو آت.

1. دلالة (أن آتاه) على التعليل أي: لأن آتاه الله الملك، وهذا على معنيين: أحدهما: الحامل للنمرود على المحاجة: الملك الذي أورثه البطر والكِبْر، والآخر: أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر لله تعالى على إيتائه الملك، ومثل كل من الزمخشري وأبي حيان لذلك بآية ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: 82]، وبقولك: عاداني فلان؛ لأني أحسنت إليه[2]. وهذا متفق عليه بينهما، فالعلة في محاجة الكافر ملكه الذي نمّى في قلبه الكبر والعتو، أو أنه عكس المقصود، فأي نعمة من الله تعالى على العبد تستحق الشكر، وكفرانها يعني التعكيس في ذلك، والذي حاج إبراهيم في ربه عكس، فبدلاً من أن يشكر، كفر وجحد.

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج711/1.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج285/1، وأبو حيان: البحر المحيط، ج298/2.

2. المصدر من (أن آتاه) واقع موقع ظرف الزمان: قال الزمخشري: "حاجّ وقت أن آتاه الله الملك"[1]. والزمخشري أطلق كلامه هنا في أن المصدر الصريح، والمصدر المؤول كلاهما يدل على الزمان، وقد فصل أبو حيان قول الزمخشري هذا بأنه إن عنى أن ذلك على حذف مضاف، فيمكن ذلك مع بُعد أن زمن المحاجة لم تقع لحظة أن آتاه الله الملك، إذ الملك سابق على المحاجة، كقول: حاج في ربه زمان وجوده في الملك[2]. فأبو حيان وافق هنا الزمخشري في أن المصدر الصريح يقوم مقام ظرف الزمان، إلا أنه خالف الزمخشري في تأويل (أن آتاه) واقعة موضع المصدر الواقع موقع ظرف الزمان، كقولك: جئت خفوق النجم، وصياح الديك فلا يجوز ذلك؛ لأن النحاة نصوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر الصريح، فلا يجوز: أجيء أن يصيح الديك، ولا جئت أن صاح الديك[3].

محل النزاع: أبو حيان وافق الزمخشري أن ظرف الزمان يقوم المصدر الصريح مقامه، وليس كذلك المصدر المؤول، محتجا بأن أهل النحو قالوا ذلك.

المناقشة: محل النزاع تحدث فيه أهل النحو، وأهل التفسير.

ذكر أهل النحو أن (ما) المصدرية مع ما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب على الظرفية الزمانية، كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾[هود: 108] تختص ما بنيابتها عن ظرف زمان، أي: مدة دوامها، وقوله تعالى: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافر: 28]، أي: وقت قوله، وكقولك: جئتك وخفوق النجم[4].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج285/2.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج298/2.

[3] المصدر السابق، ج298/2.

[4] ينظر: المرادي: الجنى الداني، ص331، وابن هشام، أوضح المسائل الى ألفية ابن مالك، ج246/2، والسيوطي، همع الهوامع، ج319/2. الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج55/3.

وقال ابن مالك في ألفيته:

وَقَدْ يَنُوبُ عَن مَكَانٍ مَصْدَرُ وَذَاكَ فِي الزَّمَانِ يَكْثُرُ[1]

وكذلك في شرح الرضي على الكافية[2]. وقال ابن عقيل: "نيابة المصدر عن ظرف الزمان مقيسة، بحيث يجوز لك أن تنيب ما شئت من المصادر عن ظرف الزمان"[3]. وقال صاحب شرح الكافية: "والإخبار عن المصدر بظرف الزمان مطرد"[4]. ولم يتعين في كلامهم الفصل بين المصدر الصريح، والمصدر المؤول.

أمّا أهل التفسير فلم يكن أمرهم بعيدا عن ذلك، فقد كان من أبرز معارضي أبي حيان تلميذه السمين الحلبي الذي قال بعد ما ذكر كلا من قولي الزمخشري وأبي حيان في دلالة (أن) في آية ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[البقرة: 258] قال عن كلام شيخه: "وفيه نظر؛ لأنه قال لا ينوب عن الظرف إلا المصدر الصريح، وهذا معارض بأنهم نصوا على أن (ما) المصدرية تنوب عن الزمان، وليست بمصدر صريح"[5]. وكذلك الأمر عند البيضاوي الذي وافق الزمخشري،[6] وعند أبي السعود،[7] والألوسي[8].

وعليه، فالذي يقوله الباحث: إن المصدر المؤول يقوم مقام ظرفو الزمان، هو ما قاله الزمخشري.

---

[1] ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص30.

[2] ينظر: الرضي الأسترأباذي، شرح الرضي على الكافية، ج440/4.

[3] ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج200/2.

[4] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج118/1.

[5] السمين الحلبي، الدر المصون، ج251/2.

[6] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج155/1.

[7] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج251/1.

[8] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج17/2.

الآية الثالثة: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: 229].

ذكر أبو حيان للمصدر المؤول من (أن يخافا) احتمالين:[1] أولهما: في موضع نصب على الحال، أي: إلا خائفين، وذلك أن (أن) مع الفعل بتأويل المصدر، والمصدر على وزن اسم الفاعل، فهو منصوب على الحال.

وردّ أبو حيان هذا التقدير؛ لأن وقوع المصدر حالاً لا ينقاس، ولمنع سيبويه وقوع (أن) والفعل حالاً[2]، فلا يكون هنا استثناء من الأحوال، بمعنى: لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً في كل حال من الأحوال إلا في حال الخوف ألا يقيما حدود الله، وهذا لا يصح عند أبي حيان.

والآخر: أن (أن يخافا) مفعول لأجله، أي: بسبب خوف عدم إقامة حدود الله، يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتم أزواجكم. وحرف العلة محذوف من (أن)، وهذا جائز فصيح كثير.

يتبين مما سيق أن أبا حيان منع أن يكون المصدر المؤول في محل نصب على الحال، ولكن هل كان مثل هذا الأمر عند تفسيره آية ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾[البقرة: 237]؟

قال أبو حيان: "(إلا أن يعفون) نص ابن عطية،[3] وغيره على أن هذا استثناء منقطع... وقيل: وليس على ما ذهبوا إليه، بل هو استثناء متصل، لكنه من الأحوال؛ لأن قوله: فنصف ما فرضتم، معناه: عليكم نصف ما فرضتم في كل حال إلا حال عفوهن عنكم، فلا يجب... وكونه استثناء من الأحوال ظاهر، ونظيره

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج206/2.
[2] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج390/1.
[3] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج320/1.

﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾[يوسف: 66]، إلا أن سيبويه منه أن تقع (أن) وصلتها حالا"[1]. فعلى قول سيبويه يكون: (إلا أن يعفون) استثناء منقطعا، والسبب عند سيبويه في منع ذلك أن المصدر لا يكون مستقبلا حيث قال: "ولا تقع أنْ وصلتها حالا يكون الأول في حال وقوعه؛ لأنها إنما تذكر لما لم يقع بعد"[2].

وأبو حيان في الآية السابقة ذكر أن الاستثناء من الأحوال ظاهر، أي أن المصدر المؤول من (أن يعفون) في محل نصب على الحال، في قوله: (ظاهر)، وهو استثناء متصل، لكنه رجع الى قول سيبويه في منعه ذلك، وكذلك كان حاله عند آية سورة يوسف السابقة التي مثل بها ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾[3].

وقد نص القرافي عند آية البقرة السابقة على أن المصدر في تأويل اسم المفعول المنصوب على الحال، وهو استثناء متصل،[4] والمصدر المؤول يقع حالاً عند الزمخشري[5]، والعكبري[6].

مما سبق يتبين عدم الجزم عند أبي حيان في هذه المسألة، وتبعيته لشيخه سيبويه في ذلك. والذي تميل إليه النفس أن المصدر المؤول يقع حالا؛ لوروده في الاستثناء المتصل كما تبين فيما سبق، ولقول العلماء بذلك.

المطلب الثاني: حرف (لن)

حرف ينفي الفعل المضارع، وينصبه بنفسه، ويخلصه للاستقبال[7]، وهو من الحروف العوامل، ونصبت تشبها بأنْ من حيث اللفظ[8]. وتنفي مضمون الفعل بعد إثباته، في حين أنَّ (أنْ) تثبت الفعل[9]، وهو جواب سيفعل،

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج2/244-245.

[2] سيبويه، الكتاب، ج1/390.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج5/535.

[4] ينظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت: 684هـ)، الاستغناء في الاستثناء، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، ص535.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/512.

[6] العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1/380.

[7] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص355، وابن هشام، المغني، ص359، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص407.

[8] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص99.

[9] ينظر: العكبري، اللباب، ج2/32، والحمد والزعبي، النحو الوافي، ص287.

أو سوف تفعل، أو جواب أريد أن تفعل، فتقول: لن أفعل[1]، ويفيد نفي المستقبل، ولا يفيد توكيد النفي، ولا تأبيده خلافاً للزمخشري[2].

وقد اختلف النحاة في حرف (لن) أمركب هو أم بسيط؟ فالخليل والكسائي قالا: بأنه مركب من (لا أن) فحذفت همزة (أن) تخفيفا، ثم حذفت ألف (لا)؛ لالتقاء الساكنين[3]. إلا أن الجمهور من النحاة خالفوا ذلك، ومنهم: المبرد[4]، والمالقي[5]، وأبو حيان[6]، وابن يعيش[7]، وابن هشام[8].

أمّا ما تدل عليه فقد ذكر ابن هشام أنها لا تفيد التوكيد خلافاً للزمخشري في كشافه، ولا تفيد التأبيد خلافاً للزمخشري في أنموذجه[9]. والتوكيد الذي تفيده (لن) سبق الزمخشريَّ إليه الخليلُ في كتابه العين، حيث قال: "وأمّا (لن) فهي: لا أن وصلت لكثرتها في الكلام، ألا تراها تشبه في المعنى (لا)، ولكنها أوكد"[10]. والزمخشري مطلع على قول الخليل هذا، ويدل على ذلك قوله في كشافه: "وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها: (لا أن)"[11]، وهو أول كلام الخليل السابق. وقد تتبعت توكيدها في الكشاف،[12] وفي المفصل للزمخشري[13]؛ فكانت كذلك. أمّا إفادتها للتأبيد في أنموذجه، كما ذكر ابن هشام، فسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى.

---

[1] ينظر: العكبري، اللباب، ج32/2.

[2] ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/220، المرادي، الجنى الداني، ص270.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج5/3، وابن هشام، المغني، ص359.

[4] ينظر: المبرد، المقتضب، ج8/2.

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص355.

[6] ينظر: أبو حيان: الارتشاف، ج643/4.

[7] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج16/7.

[8] ينظر: ابن هشام، المغني، ص359.

[9] المصدر السابق، ص359–360.

[10] الفراهيدي، العين، ج350/8.

[11] الزمخشري، الكشاف، ج102/1.

[12] المصدر السابق، ج101/1، ج384/1.

[13] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص407.

إلا أن العلماء ردوا إفادتها للتوكيد والنفي المؤبد، وحجتهم أنه لو أفادته؛ لكان ذكر الأبد معها حشواً في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة: 95]، ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[مريم:26][1]، وأكد ابن عاشور إفادتها التوكيد أو التأبيد، فقال: "وقد استقريت مواقعها في القرآن الكريم، وكلام العرب فوجدتها لا يؤتى بها إلا في مقام إرادة النفي المؤكد أو المؤبد... فمن قال من النحاة أنها لا تفيد تأكيداً أو تأبيداً فقد كابر"[2]. والذي أراه إفادتها التوكيد.

ومن أحكامها أنها إذا وقعت بعد (أنْ) الناصبة، فهي المخففة من (أنّ) الثقيلة، كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة: 3]؛ لأن حرف النصب لا يدخل على مثيله،[3] ويصح تقديم معمول الفعل عليها، نحو: زيداً لن أضرب، ولا يصح الفصل بينها وبين معمولها إلا لضرورة الشعر[4].

فرّق الزمخشري بين (لن) و(لا) النافيتين للمستقبل بأن (لن) فيها توكيد وتشديد في النفي أكثر من (لا)، تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فان أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً[5]، وبعد أن ذكر أبو حيان أقوالاً للعلماء في الفرق بين (لا) و(لن) وافق الزمخشري قائلاً: "فاذا تقرر الذي ذكرناه، كان الأقرب من هذه الأقوال قول الزمخشري... من أن فيها توكيداً وتشديداً"[6].

وقد وردت (لن) في سورة البقرة ثماني مرات[7] كلها في الجزء الأول منها. تحدث الزمخشري وأبو حيان في أربعة مواضع منها، وتحدث أبو حيان في ثلاثة منها[8]، وكان المعنى الذي دل عليه حرف (لن) هو التوكيد عندهما. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص270، وابن هشام، المغني، ص259-360.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج342/1.

[3] ينظر: الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص288.

[4] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1644/4-1645، وابن هشام، المغني، ص359، والسيوطي، همع الهوامع، ج367/2.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج101/1-102.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج249/1.

[7] ينظر: الشريف، معجم معاني الحروف، ج945/2

[8] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج243/1، 248، 249.

الآية الأولى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: 24].

تتحدث الآية عن معجزة القرآن الكريم في أن البشر لن يستطيعوا الإتيان بمثله. وأوصلتهم الآية الى درجة التيئيس بِـ (لن تفعلوا) الذي ذكر الزمخشري أنها، أي: (لن)، أفادت توكيدا وتشديدا لنفي المستقبل، وفي ذلك إعجاز؛ لإخباره بغيب لم يستطيعوا فيه الإتيان بمثله[1].

وأكد أبو حيان ما ذكره الزمخشري بقوله: "وفيها من تأكيد المعنى ما لا يخفى"[2]. ف (لن) أثارت هممهم؛ ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأبدع، وفي هذا دليلان على إثبات النبوة: أحدهما صحة كون القرآن، المتحدى به، معجزاً. وثانيهما: إخبار بالغيب، الذي لا يعلمه إلا الله، من أنهم لن يفعلوا، وفي ذلك توكيد لنفي الإتيان بسورة من مثل القرآن، وتشديد[3].

فحرف (لن) سجل على أهل الجزيرة، والبشرية جمعاء ومن يدعونهم من شهدائهم من دون الله، عجزهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن مستقبلا، ونفي الإتيان في المستقبل فيه تبكيت لهم، وتيئيس لجهودهم، وتسكيت لألسنتهم التي اتهمته بالسحر والكهانة، وأنه إنّما هو تعليم بشر، وما عليهم إلا أن يعودوا تاركين العناد، فيؤمنوا مستسلمين طائعين، اتقاء النار التي وقودها الناس والحجارة.

الآية الثانية: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: 95].

تتكلم الآية عن يهود الذين زعموا أن الآخرة خالصة لهم من دون الناس، فطلب الله تعالى منهم تمني الموت إن كانوا صادقين، فأخبر الله عنهم، وهو عالم الغيب، أنهم لن يتمنوه أبداً بسبب ما اقترفت أيديهم من جرائم. يقول أبو حيان: "ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم هذا من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب... و ظاهره أن من

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج/101-102.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج49/1.

[3] المصدر السابق، ج248/1-249

ادعى أن الجنة خالصةً له دون الناس ممن اندرج تحت الخطاب في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾[البقرة: 94] لا يمكن أن يتمنى الموت أبداً، ولذلك كان حرف النفي هنا (لن) الذي قد ادُّعي فيه أنه قد يقتضي النفي على التأبيد، فيكون قوله (أبداً) على زعم من ادعى ذلك للتوكيد، وأمّا من ادعى أنه بمعنى (لا) فيكون (أبدا) إذ ذاك مفيدا لاستغراق الأزمان، و يعني بالأبد هنا ما يستقبل من زمان أعمارهم"[1].

مما سبق يتبين أن أبا حيان ذكر معنيين في (لن): أولهما: التوكيد والتأبيد، وهو قول الزمخشري ومتأخري أهل النحو[2]. وثانيهما: بمعنى (لا) المفيدة استغراق الأزمان.

أمّا أن يكون معنى (لن): لا النافية في هذه الآية فلا يميل إليه الباحث؛ لأن الله أمر اليهود مرتين بتمني الموت، في هذه الآية من سورة البقرة، وآية تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[الجمعة: 7]، وآية سورة الجمعة تتحدث عن زعم يهود أنهم أولياء لله من دون الناس، وآية سورة البقرة في ادعائهم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس، والولاية وسيلة إلى الجنة التي هي غاية، والغاية أعظم من الوسيلة[3].

أمّا القول بأن الزمخشري ذكر دلالة (لن) على التأبيد ففيه تفصيل. فالزمخشري واحد من أرباب المذهب الاعتزالي القائل بنفي رؤية المؤمنين لله تعالى قطعاً، خلافاً لأهل السنة، محتجين بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف:143]، وأن حرف (لن) يفيد النفي على التأبيد. فهل القول بإفادة حرف(لن) النفي على التأبيد، قال به الزمخشري؟ هذا ما سنبينه فيما هو آت.

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج479/1

[2] المصدر السابق، ج249/1.

[3] المصدر السابق، ج479/1

لقد نسب هذا القول للزمخشري عامةُ أهل العلم من مفسرين، وأهل فقه، وأهل لغة. وكان أبو الليث السمرقندي، الذي كان في القرن الرابع الهجري قبل الزمخشري، قد رد قول المعتزلة السابق عند آية سورة البقرة موضع الدراسة بقوله: "لفظة (لن) لا تدل على التأبيد؛ لأنهم يتمنون الموت في الآخرة، خلافاً لقول المعتزلة في قوله: (لن تراني)"[1].

ومن الذين نسبوا هذا القول للمعتزلة وللزمخشري: المرادي الذي قال: "ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبداً خلافاً للزمخشري"[2]، وابن هشام الذي قال: "ولا تفيد التأبيد خلافا للزمخشري في أنموذجه"[3]. وأبو حيان الذي نقل عن الزمخشري بصيغة التمريض أنه خالف نفسه في إفادتها النفي، فقال عند تفسير آية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[البقرة: 24]: "وما ذكره هنا مخالف لما حُكي عنه أن (لن) تقتضي النفي على التأبيد"[4]. ونسب الزركشي هذا الأمر للزمخشري وأنه في كتابه المفصل[5]، وكذلك الحال عند الزبيدي[6]، وغيرهم.

وقد نفى التفتازاني أن يكون الثقات من أهل العربية قد قالوا بذلك، فقال: "كون كلمة (لن) للتأبيد لم يثبت ممن يوثق به من أئمة اللغة"[7]. وكذلك الحكمي الذي بين عدم قول أحد من أئمة العربية بذلك[8].

نخلص من ذلك إلى أن عامة أهل العلم نسبوا للزمخشري إفادة (لن) النفي على التأبيد، وكان ذلك في كتابيه المفصل، ومختصره الأنموذج.

---

[1] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت: 375هـ)، بحر العلوم، تح: محمود مطرجي، دار الفكر –بيروت، ج101/1.

[2] المرادي، الجنى الداني، ص 270.

[3] ابن هشام، المغني، ص 359–360.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج249/1.

[5] ننظر: الزركشي، البرهان، ج420/2.

[6] ننظر: الزبيدي، تاج العروس، ج129/36.

[7] التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمران:(ت:793هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية باكستان، 1401هـ، 1981م، ج122/2.

[8] ننظر: الحكمي، حافظ بن أحمد (ت: 1377هـ)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تح: عمر بن محمود، دار ابن القيم –الدمام. ط1، 1410هـ، 1990م، ج361/1.

وحين مراجعة كتاب المفصل، نجده يقول فيه: "ولن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل، تقول: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني، قال الله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[الكهف: 60] وقال تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾[يوسف: 80]"[1]. أمّا في الأنموذج فقد قال: "(ولن) نظيرة (لا) في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد"[2].

وحين الرجوع إلى تفسيره الكشاف؛ فإن الأمر نفسه عند تفسيره آية ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: 143]، حيث يقول:" ولن تراني تأكيد وبيان"[3]. وهذه من أبرز الآيات التي يستدل بها المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى تأبيدا في الدنيا والآخرة. فهل يعقل أن الزمخشري، الذي عرف عنه تعصبه لمذهبه الاعتزالي، كما مر في الفصل التمهيدي[4]، أن يغفل هذا الموضع من القرآن الكريم في تقرير مذهبه الاعتزالي الذي لا يذر فرصة سانحة لتقريره، إلا ويقرره، خاصة في كشافه.

أمّا عند آية: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[هود: 36]، فقد قال الزمخشري: "(لن يؤمن) إقناط من إيمانهم، وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع"[5]. وعند آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[الحج: 73]، قال الزمخشري: "لن أخت لا في نفي المستقبل، إلا أن (لن) تنفيه نفياً مؤكداً، وتأكيده ها هنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا"[6].

---

[1] الزمخشري، المفصل، ص407.

[2] الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ)، الأنموذج في النحو، اعتنى به: سامي بن محمد المنصور، ط1، 1420هـ، 1999م، ص32.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج144/2.

[4] ينظر: ص34 من هذه الدراسة.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج361/2.

[6] الزمخشري، الكشاف، ج157/3.

فمقام عدم إيمان من لم يؤمن من قوم نوح، عليه السلام، وعدم قدرة المدعوين من دون الله تعالى استدعى وجود حرف (لن) النافي لإيمانهم، وخلقهم الذباب في المستقبل؛ لأن هذا من علمه الغيب بنفوس قوم نوح، والخلق خصيصة له سبحانه، وهذا لا يشاركه فيه أحد أبداً.

وعدم تأبيدها للنفي يؤيده قوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾[يوسف: 80]، فعدم إبراح أخ يوسف الأرض مُغَيّى بغاية إذن أبيه، أو حكم الله له، وهو مؤقت بزمن.

يلاحظ مما سبق أن الزمخشري لم يقل بإفادة (لن) النفي على التأبيد. ولعل الأمر فيه تصحيف لقرب كلمة التأبيد من كلمة التأكيد رسماً، أو لعل من نقل القول بالتأبيد كان قد غلب عليه مذهب الاعتزال بنفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وحين مراجعة الآيات التي وردت فيها (لن) من سورة البقرة، نستطيع إدراجها تحت أمرين: أمر مؤبد، وأمر مؤقت. وكل منهما يدل عليه السياق. فآيات ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾[البقرة: 24]، ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾[البقرة: 80]، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[البقرة: 120].

هذه الآيات تناولت أموراً، المعاني فيها مستحيلة، ففي الأولى يستحيل الإتيان بسورة من مثل القرآن، ولو اجتمعت الإنس والجن لم يكن، ولن يكون ذلك أبداً. والثانية: الله سبحانه يتعالى أن يخلف الميعاد والعهد الذي يعهد به إلى خلقه، وهو سبحانه لم يعهد لليهود بأن يعذبهم في النار أياماً معدودة، ولو عهد لهم بذلك؛ ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾. والأخيرة: تحدثت عن أن رضا اليهود والنصارى عن محمد ﷺ مغيى باتباعه ملتهم، وهذا يستحيل أن يكون، فرضاهم منفي على التأبيد؛ لاستحالة اتباعه ﷺ ملتهم على التأبيد. فالسياق هو الذي أفاد التأبيد.

أمّا آيات سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[البقرة: 55]، ﴿و وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾[البقرة: 61]، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ﴾[البقرة: 95]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾[البقرة: 111]. فالآية الأولى: ذكرت أن إيمان بني إسرائيل منفي حتى يروا الله جهرة، فهو مغيّى بغاية، وله زمن مؤقت، فإذا رأوا الله جهرة آمنوا. والثانية: صبرهم على طعام واحد لن يدوم. والثالثة: نفي تمنيهم الموت مستغرق زمان أعمارهم، وأعمارهم محدودة في هذه الدنيا.

بعد هذا، يبقى الحديث فيما يتعلق بحرف النصب (إذاً) فهو لم يرد في القرآن إلا منوناً، وقد ورد في سورة البقرة مرة واحدة[1]. ولم يكن للزمخشري حديث عنه[2]، في حين ذكر أبو حيان شيئاً من أقوال أهل النحو فيه، وعن بعض ما يفيده من معنى[3]، أمّا ما يخص حرف النصب (كي) فلم يرد في سورة البقرة[4]؛ لأجل هذا لم أفردهما بالدرس كما أفردت حروف النصب السابقة.

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج186/1.
[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج191/1.
[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج608/1.
[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج809/2.

المبحث الثاني: حروف الجزم

يُجزم الفعل المضارع بحروف الجزم، وهي: لم، ولمّا، ولا الناهية، ولام الأمر[1]. وحرفا (لم ولما) يقلبان زمن المضارع إلى ماض، في حين يقلب حرفا لام الأمر، ولا الناهية المضارع إلى أمر[2].

ويدرس الباحث في هذا المبحث حروف لم، ولا الناهية، ولام الأمر، أمّا حرف لما فلم يرد في سورة البقرة إلا مرة واحدة؛ لذا لم يُفرد بدراسة مستقلة.

المطلب الأول: حرف (لم)

هو "حرف يجزم الأفعال المضارعة على اختلاف أنواع الجزم ونفيها، إلا أنها تخلص معنى الفعل المضارع إلى الماضي"[3]، وهو حرف محض بسيط عامل في الفعل لاختصاصه به، ينفي الماضي بالمعنى، كقولك: لم يخرج[4]، أي: ما خرج، نفت الخروج فيما مضى. وإخلاص المضارع إلى المضي ليس مطرداً في القرآن الكريم، فقد وردت آيات جاء المضارع بعد (لم)، وبقي على معنى الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[الأعراف: 46]، ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾[القصص: 64][5]، والآيتان تتحدثان عن يوم القيامة وهو مستقبل.

ومن أحكامه إذا دخل عليه حرف الشرط، نحو: إن لم تقم أكرمك، أقر معنى الاستقبال في مدخول لم؛ لأن الشرط لا يكون إلا للمستقبل، وتبقى (لم) لمجرد النفي، ويبطل معنى المضيِ[6]. أمّا إذا دخلت عليه همزة الاستفهام؛ فإنها تُصيّر الكلام تقريراً أو توبيخاً، ويصير الكلام إيجاباً، ويصح العطف عليه بصريح الإيجاب،

---

[1] ينظر: المبرد، المقتضب، ج44/2.

[2] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج5/4.

[3] المالقي، رصف المباني، ص350.

[4] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني، ص8، والإربلي، جواهر الأدب، ص129.

[5] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القران الكريم، ج505/2.

[6] ينظر: الإربلي، جواهر الأدب، ص125.

كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[الشرح: 1-2][1]، فالآية الأولى أثبتت شرح الله تعالى صدر رسوله ﷺ وعطفت عليها الموجب ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

وقد يصاحب **التقرير** معاني أخرى، **كالتذكير**، **والتخويف**، **والإبطاء**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ﴾[الحديد: 16]، **والتنبيه**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الحج: 63]، **والتعجب**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[المجادلة: 14]، **والتوبيخ**، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[فاطر: 37].[2]

ومن أمثلة التذكير في سورة البقرة: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: 33]، ومن أمثلة التخويف: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: 107]، ومثال التنبيه والتعجب، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[البقرة: 243].[3]

وحكم الواو والفاء اللتين تليان الهمزة الداخلة على (لم)، أنهما للعطف، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[الملك: 19]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[يوسف: 109][4].

وقد ورد حرف (لم) في سورة البقرة عشرين مرة[5]. تحدث الزمخشري وأبو حيان عنه في عشرة مواضع، وتحدثا عن إفادتها النفي فقط حين دخول همزة الاستفهام عليها. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

---

[1] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص281، أبو حيان، الارتشاف، ج1861/4، الإربلي، جواهر الأدب، ص125،

[2] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1861/4، الإربلي، جواهر الأدب، ص125-126.

[3] ينظر: أبو حيان، النهر الماد، ص248.

[4] يعقوب، موسوعة الحروف، ص402.

[5] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج931/2.

الآية الأولى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾[البقرة: 259].

تخاطب الآية من مرَّ على قرية[1] خاوية لا أحد فيها فاستفهم متعجباً ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾[البقرة: 259] فأراه الله قدرته على الإحياء في نفسه إذ أماته مئة عام، ثم بعثه، وكان طعامه وشرابه لم يتغير. يقول أبو حيان: "والجملة من قوله (لم يتسنه) في موضع الحال، وهي منفية بلم"[2]. وقال الزمخشري: "لم يتغير... ويجوز أن يكون معنى (لم يتسنه)، لم تمر عليه السنون التي مرت عليه، يعني: هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مئة سنة"[3].

فالحرف (لم) أثبت نفي تغيير الطعام والشراب، رغم مرور السنين عليه، والتي تجري العادة في مرورها بتغيير الطعام والشراب، وهذا فيه إثبات لقدرة الله تعالى على كل شيء التي ذُيّلت الآية به: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

الآية الثانية: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾[البقرة: 243].

حرف (لم) حرف نفي ينفي ما بعده من الكلام، تقول: زرت حيفا، أثبت الزيارة، وإذا أردت نفي هذه الزيارة، قلت: لم أزر حيفا، أمّا حرف الهمزة الاستفهامية فهو لطلب الفهم حقيقة إن لم يكن عندك علم عن المستفهَم عنه، فتقول: أَوَقَفَ العدوان على غزة؟ وأنت ليس لك علم بذلك.

---

[1] المار عزير أو أورميا، والقرية بيت المقدس أو التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان 5/ 443.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج304/2

[3] الزمخشري، الكشاف، ج287/1

ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى حين يكون المستفهم عنه معلوماً، ومنها: النهي، كقوله سبحانه: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[التوبة: 13]، والإقرار، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾[الغاشية: 17]، وغيرها من هذه الأغراض.

إلا أن اجتماع حرف (لم) والهمزة معاً يفيد تقرير الكلام، وعدم نفيه؛ وهذا ما أفاده (ألم) في الآية موضع الدراسة، يقول الزمخشري: "(ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب، وأخبار الأولين، وتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يخاطب به من لم ير، ولم يسمع؛ لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب"[1]. وأوضح أبو حيان[2] أن دخول الهمزة على (لم) أفاد تقريرا، ومعناه: التنبيه، والتعجب من حال هؤلاء، والرؤية هنا علمية، كأنه قيل: ألم ينته علمك إلى كذا. وتمثل أبو حيان بآيات قرآنية أخرى تحمل هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾[الحشر: 11]، وبقول الشاعر:

أَلَـمْ تَـرَيَـانِـي كُـلّـمَـا جِـئْـتُ طَـارِقَـاً وَجَـدْتُ بِـهَـا طِـيـبَـاً وَإِنْ لَـمْ تَـطَـيَّـبِ[3]

والخطاب في (ألم تر) إلى من علم بالقصة سابقاً فيكون تذكيراً وتقريراً، وأمّا خطاب لمن لم يعرف هذه القصة فيكون (ألم تر) لتعريفه وتعجيبه[4]. والآية فيها حث على الجهاد، وتقدم ميادين الوغى، وأنه لا يغني حذر من قدر.

كذلك الحال وجدنا إفادة (ألم تر) للتقرير عند أبي حيان حين تفسيره آيات: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[البقرة: 33][5]. وعند آيتي: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ﴿أَلَمۡ

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج271/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج258/2.

[3] قائله امرؤ القيس، ينظر: امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي (ت: 545م)، ديوان امرئ القيس، تح: عبد الرحمن المصطاوى، دار المعرفة –بيروت، ط2، 1425هـ، 2004م، ص74.

[4] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج237/1، الألوسي، روح المعاني، ج552/1.

[5] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج299/1.

تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[البقرة: 106-107][1]. وعند آية ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[البقرة: 246][2].

المطلب الثاني: لا الناهية

وهو حرف يكون عاملاً، وغير عامل، وأقسامه ثلاثة: لا النافية، والناهية، والزائدة[3]، والذي يهمنا هنا هو لا الناهية. وهي التي تكون **موضوعة لطلب الترك**، وتختص بالدخول على المضارع، وتخلصه للاستقبال، وتقتضي جزمه[4].

وتجيء لنهي الغائب، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾[آل عمران: 28]، أو نهي المخاطب، كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾[الممتحنة:1]، أو نهي المتكلم، وهو قليل: لا أرينك ههنا، أي: لا تكن ههنا فأراك[5].

وحين يكون الطلب من الأعلى للأدنى فهو نهي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[النحل: 127]، وإن كان الطلب من الأدنى للأعلى فهو دعاء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾[البقرة: 286]، وإذا كان الطلب من مساوٍ لنظيره فهو التماس، كقوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾[التوبة: 40][6]. وصيغة الطلب تأتي بالقرينة لمعان، منها: الإذن، والتهديد، والتعجيز، والتسخير،

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج525/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، ج263/2.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص290.

[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص340، وابن هشام، المغني، ص317.

[5] ينظر: المبرد، المقتضب، ج134/2، وابن هشام، المغني، ص317-318، وأبو حيان، الارتشاف، ج1858/4.

[6] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص58، والمالقي، رصف المباني، ص340، والشريف، معجم معاني الحروف، ج889/2.

والتأديب، والتكوين، والاستهزاء[1]. وتجزم المضارع بشرطين: ألا يفصل بينهما فاصل إلا شبه جملة، وألا تسبقها أداة شرط[2]. وتأتي في الكلام لمعنى النهي الذي هو في مقابلة الأمر، فتقول: اضرب زيدا، فتقول: لا تضرب زيدا[3].

وقد تكررت (لا) الناهية في سورة البقرة ثلاثاً وأربعين مرة[4]. وذكرها الزمخشري وأبو حيان بمعنى النهي مع احتمال معنى النفي في بعض الآيات من سورة البقرة كآية (22، 282).

الآية الأولى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[البقرة: 282].

تنهى الآية الكريمة كلاً من الكاتب والشاهد عن المضارة بالدائن أو المدين، إذا كانت (يضار) مبنيا للفاعل، أمّا إن كانت مبنيا لما لم يسم فاعله، فالمعنى نهي الدائن والمدين عن الإضرار بالكاتب والشاهد.

يقول الزمخشري: "(وَلَا يُضَآرَ) بالإظهار والفتح. والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف، والزيادة، والنقصان، أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم، ويَلزَّا، ولا يعطي الكاتب حقه من الجُعل، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد"[5]. وكلتا قراءتي (يضار) بفتح الراء الأولى، أو كسرها قراءة شاذة[6].

وذكر أبو حيان[7] ما ذكره الزمخشري من المعنى الذي يحمله نهي الفعل حين ابتنائه للفاعل، أو للمفعول، ورجح البناء للمفعول معتمدا على قراءة لعمر (ولا يضار) بفك الإدغام، وفتح الراء الأولى، وأن هذا اختيار

---

[1] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1858/2.

[2] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص389.

[3] ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (ت: 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية –بيروت، ج676/2.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج891/2-894.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج306/1.

[6] ينظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، القراءات الشاذة، المطبعة الرحمانية –مصر، ط1، 1934م، ص14.

[7] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج370/2.

الطبري الذي استدل بالسياق في بنائه للمفعول بأن الخطاب من أول آية الدَّيْن إلى انقضائها لأهل الحقوق من المتداينين، وما كان من أمر، أو نهي لغيرهم، إنّما هو خطاب لغائب غير مخاطب[1].

وذكر أبو حيان قراءة ابن محيصن (ولا يضار) برفع الراء المشددة، وهي نفي معناه النهي، والنهي إذا برز في صورة النفي كان أبلغ؛ لأنه صار محالا أن يقع، ولا ينبغي أن يقع[2].

وقراءة ابن محيصن برفع الراء المشددة هي قراءة البصريين، أبي عمرو بن علاء البصري، ويعقوب بن إسحاق الحضري، وابن كثير، وهي قراءة متواترة[3].

وفي الكلام توجيه، يحتمل الوجهين؛ فإسناد الفعل (يضار) إلى الفاعل بكسر الراء الأولى، النهي موجه إلى الكاتب والشاهد أن يلحق أحدهما أي مضرة بأحد المتعاقدين سواء في صيغة العقد من الكتاب، أو امتناع الشاهد عن أداء الشهادة، خاصة إن لم يكن شاهد غيره، إذ يتعين الوجوب في حقه حينها، كل هذا وغيره؛ كي لا تضيع الحقوق.

أو إسناد الفعل (يضار) إلى المفعول بفتح الراء الأولى، فيكون النهي عن المضارة موجها إلى المتعاقِدَيْن أن يضر أحدهما بأي من الكاتب أو الشاهد، بأن يلزم الكاتب بالكتابة، والشاهد بالشهادة وهما في حوائجهما الخاصة، أو لا يدفع المتعاقدان مؤنة السفر، وتعطيل أعمال الكاتب والشاهد.

الآية الثانية: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: 132].

هذه الآية وصية إبراهيم ويعقوب، عليهما السلام، بنيهم ألا يموتوا إلا وهم على حال الإسلام، ونهوا عن أي حال من أحوال الموت فيها غير الإسلام. يقول الزمخشري: "فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج2/90-91.
[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج2/370.
[3] ينظر: ابن الجزري، النشر، ج2/227.

الإسلام إذا ماتوا، كقولك: لا تُصَلّ إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته... وأنه ليس موت السعداء، وأن من حق هذا الموت ألا يحل فيهم"[1].

ووافق أبو حيان الزمخشري في دلالة (لا) على النهي، وأن النهي في الحقيقة إنّما هو على كونهم على خلاف الإسلام، وليس نهياً عن الموت ذاته، ونظير ذلك حين تأمر: مت وأنت شهيد، ليس فيه أمر بالموت، بل أمر بالشهادة، ونظير ذلك أيضاً قولهم: لا أرينك هنا، ليس النهي عن الرؤية، بل عن الحضور في هذا المكان؛ فيراه فيه[2].

والمسلم واجب عليه أن يرسم لنفسه ميتة على الإسلام، لا غير ذلك ألبتة، فهو نهي عن أي ميتة إلا ميتة على الإسلام؛ فيبقى مستعداً للقاء ربه بالصالحات على الدوام، إذ الأجل يأتي بغتة.

المطلب الثالث: لام الأمر

عرفها الجرجاني بقوله: "هي لام يطلب بها الفعل"[3]، وهي "موضوعة ليتوصل بها إلى الأمر من الفعل"[4]، وعملها الجزم في المضارع[5]. وهي مكسورة إذا ابتدأت بها الكلام، وإن سبقها واحد من حروف العطف الثلاثة (الواو، الفاء، ثم) جاز كسرها وتسكينها[6]. مثال الابتداء بها قوله تعالى: ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾[النور: 58]، وهي ساكنة مسبوقة بفاء أو واو، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾[البقرة: 282]، وساكنة مسبوقة بثم، ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾[الحج: 29]. ولام الأمر التي وردت في سورة البقرة كلها ساكنة مسبوقة بواو أو فاء. وهي **تفيد الطلب**.

---

[1] الزمخشري: الكشاف، ج180/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج571/1.

[3] الجرجاني، التعريفات، ص191.

[4] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ) المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م، ج230/4.

[5] ينظر: العكبري، اللباب، ج49/2.

[6] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ج2036/5.

وكسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد المفتوحة، ولا تشبهها لام الجر؛ لأن لام الجر تقع في الأسماء، ولام الأمر تقع في الأفعال[1].

وتسمى لام الطلب، ويشمل الأمر وهو طلب من الأعلى للأدنى، كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[الطلاق: 7]، والدعاء وهو طلب من الأدنى للأعلى، كقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف: 77]، والالتماس وهو الذي يطلب من مساوٍ[2]، كقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[الكهف: 19]، فاللام في (فلينظر، فليأتكم، وليتطلف) كلها التماس؛ لأنها من أحد أصحاب الكهف لمساويه. والملاحظ أن لام الأمر في سورة البقرة كلها أفادت الأمر؛ لأنها أوامر من الله لعباده. وتخرج عن معناها الأصلي، وهو الطلب إلى معان أخرى غيره **كالتهديد**، كقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: 66]، **والتحدي**، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾[ص: 10].

وقد وردت (لام الأمر) في سورة البقرة عشر مرات[3]، تحدث الزمخشري وأبو حيان في ستة مواضع منها كلها أفادت الأمر عندهما.

الآية الأولى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[البقرة: 282].

هذه الآية لها تعلق بعلم الوقف والابتداء، فقوله تعالى: (كما علمه الله) قيد أمّا لقوله (أن يكتب)، أو لقوله: (فليكتب). فأمّا أن تقرأ: (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله) وتقف، ثم تستأنف (فليكتب). وقد وضح

[1] ينظر: المبرد، المقتضب، ج2/133-132، الهروي، تهذيب اللغة، ج294/15.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص110.

[3] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج2/821-825.

الزمخشري هذا بقوله: "(كما علمه الله)... إن علقته بِـ (أن يكتب) فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له: (فليكتب) يعني: فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد"[1]. والمعنى: لا يمتنع كاتب من الكتابة مقيدة بمثل ما عمله الله تعالى دون حيف أو جور، أو ينفع بها الناس مثلما نفعه الله بتعليمها، والأمر بعد النهي توكيد[2]. هذا الوجه الأول.

والوجه الآخر: أن يكون (كما علمه الله) متعلقاً بـ(فليكتب)، فتقرأ: (ولا يأب كاتب أن يكتب) وتقف، ثم تستأنف (كما علمه الله فليكتب).

قال الزمخشري: "وإن علقته بقوله: (فليكتب) فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق، ثم أمر بها مقيدة"[3]. فالنهي عن الامتناع من الكتابة أولاً كان مطلقاً (ولا يأب كاتب أن يكتب)، ثم كان الأمر بالكتابة مقيدة: (كما علمه الله فليكتب). "وفي التوجيه الثاني تحريض عليها بتذكير نعمة الله"[4]. وكان أبو حيان قد ذكر مثلما ذكر الزمخشري في هذه الآية[5].

الآية الثانية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: 186].

وردت لام الأمر في كلمتي (فليستجيبوا، وليؤمنوا)، والمعنى: فليطلبوا إجابتي لهم إذا دعوني، أو فليجيبوا لي إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم. (وليؤمنوا بي) معطوف على (فليستجيبوا) ومعناه الأمر بالدوام على الإيمان، لأنهم مؤمنون أصلاً، أو على إخلاص الدين أو على الثواب في الاستجابة بالطاعة، أو بالإيمان في أني أجيب دعاءهم[6].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج304/1.

[2] المصدر السابق، ج304/1.

[3] المصدر السابق، ج304/1.

[4] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، ج348/2.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج360/2.

[6] المصدر السابق، ج54/2.

والفعلان (فليستجيبوا، وليؤمنوا) مجزومان بلام الأمر، وعلامة جزمهما حذف النون؛ كونهما من الأفعال الخمسة. وهما مضارعان يدلان على الاستمرار والتجدد، والله تعالى يأمر أن نديم الاستجابة له، والإيمان به، رجاء الرشد (لعلهم يرشدون). ولم يكن للزمخشري بيان للأمر هنا[1].

وقال أبو حيان في آخر تفسيره لـ(فليستجيبوا لي): "واللام لام الأمر، وهي ساكنة، ولا نعلم أحدا قرأها بالكسر"[2]. وقال عند آية (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) حول لام (وليكتب): "وقرأ الحسن (وليكتب) بكسر لام الأمر، والكسر الأصل"[3].

الظاهر من قول أبي حيان في الموضعين التناقض، إذ بيّن أن كسر لام الأمر لم يقرأ به أحد، ثم ذكر قراءة الحسن بكسر لام (وليكتب)، وقال: إن الكسر هو الأصل. وسبقت لام الأمر بالفاء (فليستجيبوا)، والواو (وليكتب).

وعند مراجعة أرباب علم القراءات نرى أن ابن مجاهد يقول: "اتفقوا على تسكين لام الأمر إذا كان قبلها واو أو فاء في جميع القرآن، واختلفوا إذا كان قبلها ثم"[4].

وقال أيضا: "وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (ثم ليقطع) (ثم ليقضوا) (وليوفوا) (وليطوفوا) اللام للأمر في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم فهي ساكنة"[5]. وعند ابن خالويه أن لام الأمر يجزم بها الفعل، وتسكن تخفيفا، وإن كان الأصل فيها الكسر[6].

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج214/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج54/2.

[3] المصدر السابق، ج360/2.

[4] ابن مجاهد، أحمد بن موسى ين العباس (ت: 324هـ)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص177.

[5] المصدر السابق، ص435.

[6] ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق –بيروت، ط4، 1401هـ، ص131.

وبيّن صاحب المحتسب أن الإسكان كثر في لام الأمر، وسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها، والفرق بينها وبين لام كي، أن لام الأمر ساكنة، ولام كي مفتوحة[1]. وعند ابن زنجلة أصل لام الأمر الكسر عند البدء بها، وتسكن إذا سبقها واو أو فاء[2].

هذا من حيث علم القراءات، أمّا من حيث اللغة، فقد قال الزجاجي: "وإذا كان قبل لام الأمر واو العطف، أو فاؤه جاز كسر اللام على الأصل، وإسكانها تخفيفا؛ لأن الفاء والواو يتصلان بالكلمة كأنهما منها، ولا يمكن الوقوف على واحد منهما"[3]. وقال صاحب المفصل: "وهي مكسورة، ويجوز تسكينها عند واو العطف وفائه، كقوله تعالى: (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)"[4]، وكذلك الحال عند الرضي الأسترأباذي[5]، والغلاييني[6].

يتبين، مما سبق، أن القراء السبعة اتفقوا على تسكين لام الأمر، كما ذكر ابن مجاهد، وإن كان الأصل فيها الكسر، إلا أنها سكنت تخفيفا، ولتمييزها عن غيرها من اللامات كلام كي، كما مر سابقاً من أقوال أهل القراءات وأهل اللغة، وهو ما يفسر قول أبي حيان عند لام (وليكتب): "والكسر الأصل". وعليه فلا تناقض في قولي أبي حيان. قال في ارتشاف الضرب: "وأكثر النحاة يعبر عنها بلام الأمر، وحركتها الكسر، وفتحها عن القراء لغة سليم... وبنو سليم يفتحون اللام إذا استؤنفت، فيقولون: ليقم زيد... يريد أنهم لا يفتحون إلا إذا لم يكن قبلها واو، أو فاء، أو ثم، ويجوز تسكينها مع ثلاثتها، وليس بضعيف، ولا قليل مع ثم، خلافاً لمن زعم ذلك، بل الأكثر التسكين مع الواو والفاء"[7].

---

[1] ينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج227/1،359.

[2] ينظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت:403هـ)، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص473، والبناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط3، 1427هـ، 2006م، ص253.

[3] الزجاجي، اللامات، ص93.

[4] الزمخشري، المفصل، ص451.

[5] ينظر: الرضي الأسترأباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج44/1،

[6] ينظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج185/2.

[7] أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1855/4.

الآية الثالثة: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[البقرة: 185].

اللام في (فليصمه) للأمر المفيد الوجوب، كما هي القاعدة الأصولية، يقول أبو حبان: "والمعنى: أن المقيم في شهر رمضان إذا كان بصفة التكليف يجب عليه الصوم، إذ الأمر يقتضي الوجوب، وهو قوله: (فليصمه)"[1].

فشهر رمضان واجب صيامه على المسلم المكلف المقيم، وهذا مستفاد من دلالة لام الأمر في (فليصمه)، ومن أحاديث الرسول ﷺ منها: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[2]، وما رواه النسائي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ "أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه"[3]. ولم يكن للزمخشري تعليق على لام الأمر هنا[4].

وفيما يتعلق بحرف الجزم (لمّا) فقد ورد مرة واحدة في سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾[البقرة: 214][5].

وقد تحدث الزمخشري وأبو حيان عن دلالتها هنا بأنها أفادت نفي التوقع، فإتيان المؤمنين من البلاء الذي أصاب المؤمنين السابقين أمر متوقع؛ لأنه لا دخول للجنة على مجرد الإيمان فقط، فسبيلكم سبيل من تقدمكم من أتباع الرسل وفي هذا الخطاب تشجيع وتثبيت لهم[6]. والابتلاء كاشف للإيمان الصادق، وللنفاق، قال

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج48/2.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "بني الإسلام على خمس، رقم الحديث (8)، ج11/1.

[3] النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (ت: 303هـ)، المجتبى من السنن (السنن الصغرى)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية –حلب، ط2، 1406هـ، 1986م، كتاب الجنائز، باب فضل شهر رمضان، رقم الحديث: (2106)، ج129/4. وصححه الألباني، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ج72/1.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج213/1.

[5] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج940/2.

[6] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج240/1، وأبو حيان، البحر المحيط، ج148/2.

تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت: 2-3].

المبحث الثالث: حروف الشرط

الشرط يعني: "وقوع الشيء لوقوع غيره"[1]. والجملة الشرطية تتكون من أركان ثلاثة: أداة الشرط، وفعل الشرط، وجوابه. يقول ابن سراج: "ولا بد للشرط من جواب، وإلا لم يتم الكلام... إذا قلت: إن تأتني لم يكن كلاماً حتى تقول: آتك"[2].

وأدوات الشرط الجازمة: إن، ما، من، مهما، إذ ما، لو، لولا، أما، لما[3]. وأدواتها تنقسم إلى: ظروف وهي: أين، ومتى، وأنى، وحيثما، ومن الأسماء: من، وما، وأي، ومهما، ومن الحروف: إن، وإذ ما[4]. وحرفا الشرط عند الزمخشري: "إن ولو يدخلان على جملتين، فيجعلان الأولى شرطا، والثانية جزاء، كقولك: إن تضربني أضربك"[5]. ويهمنا حرفا (إنْ، ولو) هنا، أمّا حرف (إذما) الذي ذكره المبرد فلم يرد في القرآن الكريم، وعليه ففي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: حرف (إنْ)

إن هذه مكسورة الهمزة ساكنة النون، وهي: "حرف مجازاة في الشرط، ومجرد بمنزلة (ما)"[6]. ولها أربعة أوجه: تكون شرطية: كقوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾[الأنفال: 38]. ونافية، كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾[الملك:20]. ومخففة من أن الثقيلة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾[هود:111]، وزائدة[7].

---

[1] المبرد، المقتضب، ج46/2.

[2] ابن سراج، الأصول في النحو، ج158/2.

[3] ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج545/2–547، والغلاييني، جامع الدروس العربية، ج257/3.

[4] ينظر: المبرد، المقتضب، ج46/2.

[5] الزمخشري، المفصل، ص439.

[6] الفراهيدي، العين، ج396/8.

[7] ينظر: ابن هشام، المغني، ص545.

وهي أم الجزاء كما نقل سيبويه عن شيخه الخليل؛ لأنها على حال واحدة أبداً لا تفارق المجازاة، في حين أن حروف الجزاء الأخرى قد يتصرفن فيكن استفهاماً[1]؛ لذا اختصت بجواز وقوع الاسم المرفوع بعدها، والذي بعده فعل يفسر ذلك الفعل المحذوف، كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾[النساء:176][2]، أي: إن هلك إمرؤ وليس له ولد" فـ(هلك) الثانية دلت على هلك الأولى، فهي تدخل على فعل مضمر، كما تدخل على الفعل الظاهر، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[آل عمران: 111]. وهي "للشرط والجزاء تدخل على الفعل الماضي، فتنقله إلى معنى المستقبل"[3]، وتدخل على فعلين مضارعين فتجزمهما، ويكون الأول فعل الشرط، والثاني هو الجزاء، وقد تدخل على مضارع وماض، فلا تعمل في الماضي؛ لأنه مبني، وتعمل في المضارع[4].

وتدخل على المشكوك فيه، مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر[5]. وتدخل "على المحقق وجوده المنبهم زمان وقوعه، كقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾[الأنبياء: 34]"[6]. وتدخل على المستحيل عقلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾[الزخرف: 81][7].

وتمتاز بمرونة التركيب الشرطي بها، فإن دخلت عليها لام الابتداء أضفت على التركيب توكيدا، (لئن)، وإن دخلت على أداة الجزم (لم) صار المضارع بعدها متجردا للاستقبال، ويبطل تأثير (لم) في قلب زمن المضارع إلى الماضي، ويكون الجزم للمضارع بـ(لم) لا بها. والذي يراه الباحث أن هذا ليس مطردا، فقد تدخل (إن) على (لم) ويبقى زمن المضارع بعد (لم) دالا على الماضي، فقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج63/3، والمبرد، المقتضب، ج50/2.

[2] ينظر: المبرد، المقتضب، ج74/3-75، وابن يعيش، شرح المفصل، ج9/9.

[3] أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت: 557هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ، 1999م، ص236.

[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص186-187.

[5] ينظر: المبرد، المقتضب، ج56/2.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج190/5.

[7] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج554/1.

عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: 23] وهذه تتحدث عن موعد المنازلة، فلحقها (فإن لم تفعلوا) التي تحدثت عن هذه المنازلة التي تمت. وأعقب (فإن لم تفعلوا) قوله: (ولن تفعلوا) وهو عن محاولة المعارضة مستقبلاً، فكانت (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) تعبيراً عن عجز معارضة القرآن ماضياً وحالاً ومستقبلاً. قال البغوي: "(فإن لم تفعلوا) فيما مضى"[1]. وإن دخلت على (لا) النافية أدغمت نونها في اللام (إلّا)، ويكون الجزم بها وليس بـ(لا) النافية، وإن ازدوجت بـ(ما) النافية التي تتمحض للتوكيد أدغمت نونها في الميم؛ فتصبح (إمّا) وتكون للتوكيد[2].

وتكون زائدة مطردة بعد (ما) النافية، ولا تكون بمعنى إذ، ولا، وإذا، وليست المخففة من الثقيلة (إن)؛ لأن الثقيلة ثلاثية الوضع، في حين أَنّ (إنْ) ثنائية الوضع[3]. وقد وردت في سورة البقرة ثمان وخمسين مرة[4].

الآية الأولى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: 24].

الآية تتحدث عن عجز الكفار عن الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم، وهذ أمر متيقن لا شك فيه، إلا أن الآية جاءت بحرف (إن) الشرطية الدالة على الشك، ولم تأت بـ(إذا) الدالة على التيقن، وقد أجاب الزمخشري عن ذلك بوجهين: "أحدهما: أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم، وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل المشكوك فيه لديهم، لاتكالهم على فصاحتهم، واقتدارهم على الكلام. والثاني: أن يتهكم بهم

[1] البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1420هـ، ج94/1.

[2] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص441، والزركشي، البرهان، ج216/4، والشريف، معجم حروف المعاني، ج379/1، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص142.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج242/1-243.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج380/1–381.

كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه: إن غلبتك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالبه، ويتيقنه تهكماً به"[1]. وأيد الزمخشريَّ أبو حيان في دلالة (إن) التي للشك على الأمرين السابقين[2].

وهذا التهكم غاية في كسر نفوسهم الجامحة المعاندة، وإرغام أنوفهم الشامخة كِبْراً، إيحاءً لهم بالاعتراف بالحق الذي لا مرية فيه، يقول البقاعي: "فأتى بأداة الشك تنفيساً لهم، وتهكماً في نفس الأمر بهم، واستجهالاً لهم، ثم لم يتمم ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة، فضمت[3] ظهورهم، وقطعت قلوبهم، فقال لتكون الآية كافلة لصحة نسبة النظم، والمعنى آيد وآكد لادعائهم المقدرة بقوله تعالى: (ولن تفعلوا) فألزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز، فلم يكن لهم فعل إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف"[4].

الآية الثانية: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[البقرة: 228].

تناولت الآية حرمة كتمان المطلقة ما خلق الله في رحمها من حَبَل أو حيض، تقصيراً للعدة، أو تطويلاً لها، وعلق ذلك بالشرط (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول أبو حيان: "هذا شرط، جوابه محذوف على الأصح... والمعنى: أن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وعلق ذلك على هذا الشرط، وإن كان الإيمان حاصلاً لهن، إيعاداً وتعظيماً للكتم، وهذا كقولهم: إن كنت مؤمناً فلا تظلم... يجعل ما كان موجوداً كالمعدوم، ويعلق عليه، وإن كان موجوداً في نفس الأمر"[5].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج101/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج248/1.

[3] هكذا وجدتها، ولعلها قصمت ظهورهم بالقاف والصاد، لا بالفاء والضاد، فربما وقع فيها تحريف من الكاتب.

[4] البقاعي: نظم الدرر، ج169/1-170.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج198/2.

فحرف الشرط هنا لم يكن يدل على الشك، فهن مؤمنات، وإيمانهن دفعهن إلى عدم كتم ما خلق الله في أرحامهن. يقول صاحب الإنصاف: "وقد تستعملها العرب وإن لم يكن هناك شك... ومنه قولهم: إن كنت إنساناً فأنت تفعل كذا، وإن كنت ابني فأطعني، وإن كان لا يشك بأنه إنسان، وأنه ابنه"[1].

الآية الثالثة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[البقرة: 217].

الآية تتحدث عن استدامة مقاتلة الكفار للمؤمنين، وغايتهم من مقاتلتهم أن يرتدوا عن دينهم، وجاء بحرف (إنْ) الشرطية شكاً في استطاعتهم ذلك. يقول الزمخشري: "و(إن استطاعوا) استبعاداً لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ، وهو واثق بأنه لا يظفر به"[2].

يفهم من كلام الزمخشري أن حرف (إنْ) له دلالتان:

أولاهما: الشك في استمرار المشركين قتال المسلمين، وهذا يفهم من قول الزمخشري: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ.

والأخرى: الشك في ردة المسلمين لرسوخ قدمهم في الإيمان، وهذا يفهم من قول الزمخشري: "وهو واثق أنه لا يظفر به".

والآية تحتمل المعنيين، إلا أن النفس تميل إلى الأخير منهما؛ لأمور منها: السياق حيث ذكرت الآية صد المشركين عن سبيل الله، وإخراج المسلمين من المسجد الحرام، وهم أهله، وذكرت الفتنة، والتي من معانيها الارتداد عن دين الله تعالى، وكذلك المخاطب زمن التنزيل كانوا من الإيمان بمكان، فقد خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأنّى يرتدّون. يقول ابن عاشور: "وقوله:(إنْ استطاعوا) تعريض بأنهم لا يستطيعون رد

[1] أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت: 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف للنحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ، 2003م، ج520/2.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج242/1.

المسلمين عن دينهم، فموقع هذا الشرط موقع الاحتراس مما قد توهمه الغاية في قوله: حتى يردوكم عن دينكم؛ ولهذا جاء الشرط بحرف (إنْ) المشعر بأن شرطه مرجو عدم وقوعه"[1].

أمّا اليوم فقد اختلف الحال، فمع مداومة الكفر على حرب الإسلام، والصد عن سبيل الله، وفتنة المسلمين عن دينهم؛ ليرتدوا، فقد نجحوا بعض الشيء في ذلك، مع ضعاف الإيمان، وكان المرجو عدم تحقيق غايتهم من حربهم الدائمة.

المطلب الثاني: حرف (لو)

ويكون "جحداً، وتمنياً، وشرطاً. فإذا كانت شرطاً كانت تخويفاً، وتشويقاً، وتمثيلاً"[2]. وقد أثبت أهل اللغة لها أوجها ستة، وهي: امتناعية، وشرطية، ومصدرية، وحرف تمنٍّ، وحرف عرض، وحرف للتعليل[3].

ويهمنا هنا الامتناعية والشرطية.

أولا: حرف لو الامتناعية: وهو حرف "يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، ووقوعه لوقوع غيره"[4]. قال سيبويه: "وأمّا لو فلما كان سيقع لوقوع غيره"[5]، وهذا يعني: "أنه يقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع"[6].

ولها أربعة أحوال: الأولى: أن تكون حرف امتناع لامتناع، إذا دخلت على موجبين، نحو: لو قام زيد لقام عمرو. والثاني: أن تكون حرف وجوب لوجوب، إذا دخلت على منفيين، نحو: لو لم يقم زيد لم يقم عمرو.

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج331/2.

[2] الهروي، تهذيب اللغة، ج298/15.

[3] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص409.

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، ج198/5.

[5] سيبويه، الكتاب، ج224/4.

[6] أبو حيان، الارتشاف، ج1898/4.

والثالث: أن تكون حرف وجوب لامتناع، إذا دخلت على موجب، وبعده منفي، نحو: لو قام زيد لم يقم عمرو، والأخير: أن تكون حرف امتناع لوجوب، إذا دخلت على منفي، بعده موجب، نحو: لو لم يقم زيد لقام عمرو[1].

وهي من الحروف الهوامل، وفيه معنى الشرط، ولا يليها إلا الفعل مظهراً، أو مضمراً[2]، "وتخلص الفعل أبداً إلى الماضي بخلاف أدوات الشرط، وإن كان ما بعدها مضارعاً"[3]. ولا يليها إلا ماضي المعنى بلفظ الماضي أو المضارع، كقوله تعالى: ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾[الأعراف: 100]. أو منفي بـ(لم)[4].

وربما يحذف جوابها، كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾[الرعد:31]، أي: لكان هذا القرآن[5]. فهو مقدر. وإذا وجد جوابها؛ فيكون فعلاً مجزوماً، أو ماضياً مثبتاً، أو منفياً بـ(ما)، كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾[فاطر: 14][6]. "ولو هذه فيها معنى الشرط لا يفارقها، وإن لم يكن لفظها لذلك، ولا عملها"[7].

ثانيا: لو حرف شرط بمعنى (إن): يقول الزركشي: "من أوجه لو أن تكون شرطية، وعلامتها أن يصلح موضعها (إن) المكسورة"[8]. وجوابها محذوف غالباً؛ لدلالة الكلام عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[يوسف: 17]، أي: وإن كنا صادقين[9].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص278-277.

[2] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص100.

[3] المالقي، رصف المباني، ص359.

[4] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1898/4.

[5] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص101-100.

[6] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1901/4.

[7] المالقي، رصف المباني، ص359.

[8] الزركشي: البرهان، ج373/4.

[9] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص360.

وتشبه (لو) (إن) من جهة كون الأول شرطا للثاني؛ لأن الثاني يوقف وجوده على وجود الأول، فالأول سبب للثاني، وكذلك (إن). والفارق بينهما من حيث الزمان: أن (إن) إذا وقع بعدها الماضي أحالت معناه إلى الاستقبال. في حين إذا وقع بعد (لو) المستقبل أحالت معناه إلى المضي، كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[الحجرات: 7][1].

أمّا ورود حرف (لو) في سورة البقرة، فقد ورد أربع عشرة مرة[2]. تحدث الزمخشري وأبو حيان عن دلالتها الشرطية، والمصدرية، ودلالتها على التمني، والذي يهمنا هنا (لو) الشرطية.

الآية الأولى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 103].

تتحدث الآية عن أهل الكتاب الذين لو آمنوا بما جاء في التوراة من البشرى بالنبي محمد ﷺ واتقوا ربهم بالتزام ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وترك السحر؛ لكان الثواب العظيم لهم من عند الله خير من كل متاع الدنيا الزائل.

الآية تضمنت حرف (لو) مرتين، اختلف الزمخشري وأبو حيان في الأولى، واتفقا في الثانية أنها شرطية[3]. فالأولى عند الزمخشري يصح فيها التمني فقد قال: "ويجوز أن يكون قوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا) تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانَهم واختيارَهم له. كأنه قيل: وليتهم آمنوا، ثم ابتدئ (لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ)"[4]. وهي عند أبي حيان شرطية، فقد قال: "وهي هنا حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"[5].

محل النزاع: الزمخشري يجيز أن تكون للتمني، وأبو حيان يجعلها شرطية.

---

[1] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج156/8.

[2] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج950/2.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج164/1، وأبو حيان، البحر المحيط، ج504/1.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج164/1.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج503/1.

المناقشة، وتتم من جانبين: جانب أهل اللغة، وجانب أهل التفسير.

ومن أهل اللغة الذين قالوا بأنها شرطية: النحاس[1]، والراغب الأصفهاني[2]، والعكبري،[3] ومحيي الدين درويش[4].

وحين النظر في كلام أهل التفسير نجد أن ابن عطية جعلها شرطاً، جوابها (لمثوبة)، وهي مصدر يقع للمضي والاستقبال، وجواب (لو) لا يكون إلا ماضياً، أو بمعناه[5]، والبيضاوي يذكر أنها شرطية، وفصل في جوابها، ثم ذكر بصيغة التمريض (قيل) أنها للتمني ولم يعلق على ذلك، وكأنه يرتضيها شرطاً[6]، ومثل البيضاوي كان النسفي[7]، وكذلك الحال عند السمين الحلبي الذي ذكر ما ذكره شيخه أبو حيان مظهراً أنها شرطية[8]، وجزم ابن عاشور بشرطيتها مستدلاً لها من كلام العرب[9].

والذي يراه الباحث أنها شرطية للأمرين الآتيين:

1. التمني طلب محبوب مستحيل، أو يصعب حصوله، كقوله تعالى: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء:102]، فرجعة الكافرين إلى الدنيا مستحيلة، والذي يصعب حصوله، كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾[القصص: 79]. والآية موضع الدراسة، أمر إيمان أهل الكتاب ليس مستحيلاً ولا أمراً صعب المنال، بدليل إيمان أمة منهم، قال تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

---

[1] ينظر: النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 338هـ)، إعراب القرآن، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، ج72/1.

[2] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط1، 1420هـ، 1999م، ج281/1.

[3] ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج101/1.

[4] ينظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط4، 1415 هـ، ج161/1.

[5] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج189/1.

[6] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج98/1.

[7] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج117/1.

[8] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج48/2.

[9] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج648/1.

أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ﴾[آل عمران:113-114].

2. اقتران جواب (لو) باللام في (لمثوبة)، وهو مصدر فعله (لأثيبوا)، كما ذكر البيضاوي[1]، والنسفي[2]، وهو ماض مثبت مقترن باللام وهذا جواب يكون لـ(لو) الشرطية، كما في قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾[الواقعة: 65].

مما سبق يتضح أن (لو) الأولى في الآية ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ هي الشرطية غير الجازمة، التي تكون الجملة الأولى فيها شرطاً، والثانية جواباً، فيمتنع حصول الجواب (المسبب)، لامتناع حصول الشرط (السبب)، والمعنى في الآية أن أهل الكتاب لم تكن لهم مثوبة من عند الله تعالى، لعدم إيمانهم وتقواهم، فامتنعت المثوبة، لامتناع الإيمان والتقوى.

أمّا (لو) التي في آخر الآية، موضع الدراسة، (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) فقد اتفق الزمخشري وأبو حيان على شرطيتها، حيث قال الزمخشري: "لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا، ولكن جهّلهم لترك العمل بالعلم"[3]. وكذلك الحال عند أبي حيان الذي ذكر أن الجواب محذوف، إلا أنه قدره بـ(لآمنوا)، أي: لو كانوا يعلمون أن سبب المثوبة، وهو الإيمان والتقوى؛ لآمنوا. وفصل في تقدير مفعول يعلمون المحذوف اختصاراً، والمعنى: لو كانوا يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى، أو لو كانوا يعلمون التفضيل. وذكر أن العلم في الآية قد يكون كناية عن العمل، فلما انتفت ثمرة العلم وهي العمل، جعل العلم منتفيا[4].

---

[1] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج98/1.

[2] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج117/1.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج164/1.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج504/1.

فأهل الكتاب لم يفيدوا من علمهم بالعمل، فانتقاء العمل؛ سبب لانتقاء العلم، فكانوا كمن لا يعلم؛ فانسلخوا عن العلم إذ لم يعملوا به، وهذا فيه تحذير لكل من لم يعمل بما علّمه الله تعالى، و(لو) هنا شرطية امتناعية.

الآية الثانية: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾[البقرة: 221].

لو هنا بمعنى (إن) الشرطية، يقول أبو حيان: "لو: هذه بمعنى إن الشرطية، نحو: (ردوا السائل ولو بظلف شاة محرق)[1]... وأن ما بعد لو هذه إنّما يأتي وهو مناف لما قبله بوجه ما، فالإعجاب مناف لحكم الخيرية، ومقتض جواز النكاح لرغبة الناكح فيها"[2].

وذكر الزمخشري حرمة نكاح المسلم من المشركة على كل حال، فقال: "ولو أعجبتكم، ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها، فإن المؤمنة خير منها مع ذلك"[3].

وقد ذكر دلالة (لو) الشرطية بمعنى (إن) مفسرون، منهم: السمين الحلبي[4]، البيضاوي[5]، وابن عاشور[6]. يقول شيخ زاده: "ولو بمعنى إن"[7]. وكذلك عند صاحب إعراب القرآن وبيانه[8].

يقول أبو السعود: "كلمة لو في أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه... بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على

---

[1] هذا حديث ونصه في متون الحديث: "ردوا السائل ولو بظلف محرق". ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، رقم الحديث (3374)، ج167/8، وهو صحيح. ينظر: الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج263/5.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج174/2.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج247/1.

[4] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج418/2.

[5] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج139/1.

[6] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج362/2، وقد أحال إلى الآية 170 من سورة البقرة، ج109/2.

[7] شيخ زاده، حاشية شيخ زاده، ج532/2.

[8] ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج329/1.

الإهمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له، ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية... كأنه قيل: لو تعجبكم، ولو أعجبتكم".[1]

فالمشركة ولو أعجبتكم، وهو أعلى مقامات الأحوال للرغبة في نكاحها، فلا يحل لكم الزواج منها.

أمّا حرف (لولا) الدال على التحضيض فقد ورد مرة واحدة في سورة البقرة[2]، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾[البقرة: 118]. وقد تحدث الزمخشري عن دلالتها على التحضيض إذ قال: "هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى؟ استكبارا منهم وعتوا (أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) جحودا؛ لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات، واستهانة بها"[3].

وذكر أبو حيان المعنى ذاته الذي ذكره الزمخشري[4]، إلا أن أبا حيان ذكر دلالتها على التحضيض والشرط. وذكر بعض أحكامها معرّفا بها، كما هي عادته في الأغلب في التعريف باللفظة عند أول ورودها. ولأنه لم يرد إلا مرة واحدة في السورة؛ لم تفرد بمطلب خاص.

---

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج221/1.

[2] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج954/2.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج171/1.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج536/1-537.

المبحث الرابع: حروف التنفيس والتوقع

المطلب الأول: حرفا التنفيس

للتنفيس حرفان، هما: السين، وسوف. ويطلق عليهما كذلك، حرفا التسويف، ودلائل الاستقبال، وحرفا الاستقبال، والتنفيس أكثرها شهرة[1].

ويسميهما الزمخشري حرفي الاستقبال[2]، وقد ذكر الأسترأباذي المقصود بالتنفيس، فقال: "وأمّا السين، وسوف، فسماهما سيبويه: حرفي التنفيس، ومعناه: تأخير الفعل إلى الزمان المستقبل، وعدم التضييق في الحال، يقال: نفست الخناق، أي: وسعته"[3]. فالتنفيس يدل على التوسع، أي: ينقل المضارع من "الزمن الضيق، وهو الحال، إلى الزمن الواسع"[4]. وقد ورد حرف (السين) في سورة البقرة، ولم يرد (سوف) فيها؛ لذا ستكون الدراسة متعلقة بالسين دون سوف.

حرف السين: "حرف هجاء من حروف المعجم، وهو حرف مهموس، يذكر ويؤنث"[5]. ويأتي "في كلام العرب على خمسة أوجه: سين الاستقبال، وسين النقل، كقولك: استنوق الجمل، وسين الطلب: استسقيته فسقاني، وسين الوجدان: استحسنته، أي: وجدته كذلك، والسين الزائدة، نحو: سلّم واستسلم"[6]. وهو من الحروف التي تختص بالفعل المضارع المثبت دون المنفي، وتخلصه للاستقبال بعد أن كان محتملاً الزمانين[7].

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج233/4، وابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص111، الرضي الأسترأباذي، شرح الرضي على الكافية، ج6/4، وابن منظور، لسان العرب، ج2173/3.

[2] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص435.

[3] الرضي الأسترأباذي، شرح الرضي على الكافية، ج6/4.

[4] ابن هشام، المغني، ص195.

[5] ابن منظور، لسان العرب، ج2173/3.

[6] الرماني، معاني الحروف، ص17-16، وينظر: المالقي، رصف المباني، ص459-457.

[7] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص16، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص178.

والسين تدل على المستقبل القريب، فقد جاء في شرح الرضي على الكافية: "وسوف أكثر تنفيسا من السين... السين منقوص من سوف دلالة بتقليل الحرف على تقريب الفعل"[1]. والأمر نفسه عند السامرائي في استقرائه للآيات القرآنية[2]. ولكن قد يعترض عليه بقوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر :26]، وهذا يوم القيامة وزمان حصوله ممتد، إلا أنه يجاب عنه أن الآية فيها تهديد ووعيد للوليد بن المغيرة، ولوجوب تحققه، وأنه كائن لا محالة، أتى بالسين هنا تأكيداً للتهديد، علّ فيه زجراً وردعاً.

ويفيد السين: "**تكرار الفعل وتوكيده** وعداً أو وعيداً مع وجود قرينة لفظية أو معنوية، نحو قوله تعالى في الوعد: (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ)، أي: إن الرحمة حاصلة لا محالة... ونحو قوله تعالى في الوعيد: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ)، لثبوت حصوله"[3]، إلا أنها في الوعد أكثر[4]. إلا أن عضيمة استنبط بعد استقراء مواضعها في القرآن الكريم، أن استعمالها في الوعيد أكثر من استعمالها في الوعد[5].

وبعد أن تم استقراء الآيات التي وردت فيها السين، ظهر أن كلام عضيمة أدق؛ فقد كان ما ورد في الوعد ما يقارب ثمان وعشرين موضعاً، كقوله تعالى: {سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ}[التوبة: 99] في حين كان الذي استعمل في الوعيد ما يقارب اثنين وخمسين موضعاً، كقوله تعالى: {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ}[القمر: 26]، وفي مواضع أخرى لم تكن السين لوعد ولا لوعيد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[النمل:27].

---

[1] الرضي الأسترأباذي، شرح الرضي على الكافية، ج6/4، وينظر: الزمخشري، المفصل، ص435.

[2] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج26/4.

[3] الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص178، وينظر: ابن خالويه، أبو عبد الله حسين بن أحمد (ت: 370هـ)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار مكتبة الهلال، 1985م، ص118، والزمخشري، الكشاف، ج184/1، ج269/2.

[4] ينظر: الزركشي، البرهان، ج283/4، والسيوطي، الإتقان، ج1109/3.

[5] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج141/2.

وقد اختُلف في إفادة السين تحقق ما بعدها، وإفادتها للاستمرار، وهذا ما سيظهر في التطبيق على الآيات المختارة لموضع الدراسة إن شاء الله تعالى. وقد وردت السين للاستقبال في سورة البقرة أربع مرات[1]، والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: 137].

تتحدث الآية عن اليهود والنصارى، إذا هم آمنوا كإيمان المؤمنين، فقد اهتدوا، وإلا فهم في شقاق مع المؤمنين، ووعد الله تعالى رسوله ﷺ أن يكفيه شرهم، وقد أوفى الله بوعده بجلاء يهود بني النضير، وقتل بني قريظة، وإذلال يهود خيبر.

والسين في فعل الكفاية (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) معناه عند الزمخشري: "أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخر إلى حين"[2]. وعند أبي حيان "يدل على قرب الاستقبال، إذ السين في وضعها أقرب في التنفيس من سوف... أي: فسيكفيك شقاقهم، والمكفى به محذوف، أي: بمن يهديه الله من المؤمنين، أو بتفريق كلمة المشاقين، أو إهلاك أعيانهم، وإذلال باقيهم بالسبي، والنفي، والجزية"[3].

فالزمخشري يؤكد تحقق ما دخلت عليه السين، وأبو حيان يذكر دلالة السين على قرب وقوع الفعل الذي دخلت عليه وهو الكفاية.

والأمر نفسه عند الزمخشري وأبي حيان حين تفسيرهما لآية: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[البقرة: 235]. قال الزمخشري: "(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) لا

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج633/2.
[2] الزمخشري، الكشاف، ج184/1.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج583/1.

محالة، ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن، ولا تصبرون عنه"[1]. وقال أبو حيان: "وجاء الفعل بالسين التي تدل على تقارب الزمان المستقبل، لا تراخيه"[2].

والسين أقل تراخيا من سوف، ووقوع الفعل الداخلة عليه أقل زمانا من الفعل الذي دخلت عليه (سوف). لكن هل تفيد السين تحقق ما بعدها، كما ذكر الزمخشري سابقا، أم أنها للاستقبال وكفى؟ كما ذكر أبو حيان عند آية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾[التوبة: 71]، حيث قال: "وليس مدلول السين توكيد ما دخلت عليه، إنّما تدل على تخليص المضارع للاستقبال فقط"[3].

المناقشة: ذكر الراغب في مفرداته عند حديثه عن (سوف) أن ما بعدها يكون لا محالة، إلا أنه يقتضي معنى المماطلة والتأخير[4]. وسوف والسين كلاهما حرف استقبال. وذكر أهل التفسير أن الله تعالى أوفى بوعده كفاية رسوله ﷺ أمّا بقتل أعدائه يهود، أو جلائهم، أو بضرب الصَّغار عليهم بدفع الجزية، كما هو الأمر عند الطبري[5]، وابن عطية[6]، والبيضاوي[7]، وابن عاشور[8]، ونقل الزركشي عن سيبويه هذا المعنى[9]. والآية فيها وعد من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد. يقول الخازن عند تفسيره لهذه الآية: "وهو ضمان من الله تعالى لإظهار رسول الله ﷺ لأنه إذا تكفل بشيء أنجزه"[10].

أمّا الألوسي فقد رجح دلالتها على التنفيس، أمّا تحقق ما بعدها فهو كوعد من الله تعالى، حيث قال: "(فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) تسلية له ﷺ وتفريح للمؤمنين بوعد النصر... والإعزاز على أبلغ وجه للسين الدالة على

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج265/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج236/2.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج71/5.

[4] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص436.

[5] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج116/3.

[6] ينظر: اين عطية، المحرر الوجيز، ج216/1.

[7] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج109/1.

[8] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج741/1.

[9] الزركشي، البرهان، 418/2.

[10] الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 714هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1415هـ، ج85/1.

تحقق الوقوع ألبتة، أو للتذييل الآتي حيث إن السين في المشهور لا تدل على أكثر من التنفيس"[1]. وكذلك الأمر عند صاحب المغني، فقد عارض إفادة السين تحقق ما بعدها، ونفى أن يكون أحد فهم ذلك حيث قال: "وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب، أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ولم أر من فهم وجه ذلك"[2].

أمّا أبو حيان فلم يثبت على رأي واحد حول إفادة السين توكيد ما بعدها، فعند آية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾[التوبة:71] خالف الزمخشري في معنى السين، فالزمخشري قال: "السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قوله: سأنتقم منك يوماً، تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك"[3].

ورد أبو حيان قوله هذا إذ قال: "وفيه دفينة خفية من الاعتزال بقوله: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، يشير إلى أنه يجب على الله تعالى إثابة الطائع، كما تجب عقوبة العاصي، وليس مدلول السين توكيد ما دخلت عليه، إنّما تدل على تخليص المضارع للاستقبال فقط"[4]. فأبو حيان يعترض على الزمخشري في أحد أصول المعتزلة، وهو الوجوب على الله تعالى بإثابة المحسن، وعقوبة المسيء. إلا أنه وافقه في إفادة تحقق ما بعد السين عند آية: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾[المسد:3] حيث قال الزمخشري: "السين للوعيد، أي: هو كائن لا محالة، وإن تراخى وقته"[5]، وكذلك قال أبو حيان عند هذه الآية: "السين للاستقبال، وإن تراخى الزمان، وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة"[6]. فأبو حيان لم يثبت على رأي واحد في إفادة السين تحقق ما بعدها.

---

[1] الألوسي، روح المعاني، ج394/1.

[2] ابن هشام، المغني، ص196.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج269/2.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج 71/5.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج645/4.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج527/8.

والذي يراه الباحث أن السين للاستقبال، وهذا أمر مجمع عليه، إلا أن إفادتها توكيد ما دخلت عليه، فهذا يكون مع وجود قرينة لفظية، أو معنوية. يقول صاحبا المعجم الوافي: "ويفيد تكرار الفعل وتوكيده وعداً، أو وعيداً مع وجود قرينة لفظية، أو معنوية، نحو قوله تعالى في الوعد: (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ)... ونحو قوله تعالى في الوعيد: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ)"[1].

الآية الثانية: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾[البقرة: 142].

الآية تتحدث عن تحويل القبلة وأن السفهاء من الناس[2] قالوا: (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)، والقول، كما هو في الآية، مصدر بالسين التي هي سبب للاستقبال، وقد ذكر الزمخشري فائدة الإخبار بأنهم سيقولون ذلك قبل وقوعه، فقال: "فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع؛ لما يتقدمه من توطين النفس، وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم، وأرد لشغبه، والرمي يراش السهم"[3]. وفصل في فائدة ذلك الرازي[4].

وكان أبو حيان قد ذكر ما قاله الزمخشري، إلا أنه أضاف فائدة الاستمرار لحرف السين، وذلك إذا كانت هذه الآية متأخرة في النزول عن آية: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[البقرة: 144]، فقال: "وإذا كان كذلك فمعنى قول: (سيقول) أنهم مستمرون على هذا القول، وإن كانوا قد قالوه، فحكمة الاستقبال، أنهم كما صدر عنهم هذا القول في الماضي، فهم أيضا يقولونه في المستقبل"[5].

---

[1] الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص178.

[2] وهم اليهود كما ورد في سبب النزول، ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج88/1.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج186/1.

[4] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 79/4.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج148/2.

ومن الذين قالوا بدلالة السين على الاستمرار: الرازي[1]، والقرطبي[2]، والزركشي[3]، والألوسي[4]. وكان ابن هشام قد رد دلالة السين على الاستمرار إذ بين أن هذا لا يعرفه النحويون[5].

والذي يراه الباحث أن السين تفيد الاستمرار، إلا أنه ليس شرطاً حتى تفيد ذلك أن تكون آية (سيقول السفهاء) متأخرة نزولاً عن الآية (قد نرى تقلب وجهك في السماء)، خاصة وأن الفعل يدل على التجدد والحدوث، والله تعالى أخبر عن كثير من أقوالهم المستقبلة. قال ابن عاشور بعد أن ذكر أقوال بعض العلماء في نزول (سيقول السفهاء) بعد آية (قد نرى): "وكأن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم ينظرون إلى أن هذا القول وقع بعد نسخ استقبال بيت المقدس وأن الآية نزلت بعد ذلك، وهذا تكلف ينبغي عدم التعويل عليه، والإخبار عن أقوالهم المستقبلة ليس بعزيز في القرآن مثل قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[الإسراء: 51]"[6].

المطلب الثاني: حرف التوقع (قد)

كلمة تعني التوقع، وتكون جوابا لقوم ينتظرون الخبر، أو ينتظرون شيئاً، تقول: قد مات فلان[7]. وهي على ضربين: اسم وحرف، والاسم على وجهين: اسم فعل مرادف لـ(يكفي)، نحو: قد زيداً درهماً، واسم مرادف لـ(حسب)، نحو: قد زيدٍ درهمٌ[8]. والذي يهمنا هنا (قد) الحرفية.

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج79/4.

[2] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج147/2.

[3] ينظر: الزركشي، البرهان، ج280/4.

[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج402/1.

[5] ابن هشام، المغني، ص195.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7/2. رأي ابن عاشور أنها نزلت في المشركين، وليس اليهود.

[7] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج114/3-115، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج114/6، وابن منظور، لسان العرب، ج3544/5.

[8] ينظر: ابن هشام، المغني، ص235، وابن مالك، شرح التسهيل، ج106/4-107، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج19/9.

والحرفية حرف إخبار مختص بالفعل الماضي المتصرف المثبت، أو المضارع بشرط تجرده من الجازم، والناصب، وحرف التنفيس[1]. ولا يدخل على الماضي الجامد مثل (عسى)[2]، ولا يفصل بينها وبين الفعل إلا بالقسم، نحو: قد والله أحسنت[3]. وإن دخلت على الماضي اجتمعت لكل فعل متجدد، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾[يوسف: 90]. ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح: 18][4].

أمّا معانيها فحسب الفعل الذي تدخل عليه، فإذا دخلت على الماضي أفادت التوقع، والتقريب، والتحقيق، وإذا دخلت على المضارع أفادت التوقع، والتقليل، والتحقيق، والتكثير. وبيان ذلك فيما يأتي:

1. **التوقع**: أي كون الفعل منتظراً متوقعاً، نحو: قد يقدم الغائب. وإذا دخلت على المضارع الذي لا يمكن فيه التوقع كان بمعنى الماضي، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[النور: 64]، أي: قد علم. ودخولها على الماضي إذا كنت تتوقع شيئاً، كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:1]؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله دعاءها، والفعل قبل الإخبار كان متوقعاً[5].
2. **التحقيق**: فهي ترد لتحقيق المتعلق مع المضارع والماضي، مع المضارع كقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[الصف:5]، أفادت قد هنا توكيد العلم. ومع الماضي كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾[البقرة:65][6].

---

[1] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج2364/5، والمرادي، الجنى الداني، ص254، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص327-328.

[2] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج247/2.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج114/3، الزمخشري، المفصل، ص433، وأبو حيان، الارتشاف، ج2364/5.

[4] ينظر: الزركشي، البرهان، ج308/4.

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص455، وأبو حيان، الارتشاف، ج2364/5، والمرادي، الجنى الداني، ص255، وابن هشام، المغني، ص236.

[6] ينظر: ابن هشام، المغني، ص239، والزركشي، البرهان، ج308/4.

3. **التقريب:** وتأتي قد هنا مع الماضي؛ لتقريبه من الحال، لذا تلزم غالبا مع الماضي، إذا وقع حالا، كقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُمۡ﴾[الأنعام:119]. فقولك: تزوج زيد، يحتمل أنه تزوج في الزمن القريب، أو البعيد، ولكن إذا قلت: قد تزوج زيد، أفاد أنه تزوج في الماضي القريب[1].

4. **التقليل:** وترد للدلالة على هذا المعنى في المضارع، ويكون بمنزلة (ربما)، والتقليل ضربان: تقليل وقوع الفعل، نحو: قد يجود البخيل، وتقليل متعلقه، كقوله تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾[النور :64]، أي: إن ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه[2].

5. **التكثير:** وتكون هذه الدلالة مع المضارع، وهو ما قال به سيبويه[3]، والزمخشري[4]. ويأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد ورد حرف (قد) في سورة البقرة إحدى وعشرين مرة[5]، والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[البقرة: 144].

الآية تتحدث عن إجابة الله تعالى رغبة النبي ﷺ في التولية جهة المسجد الحرام في الصلاة. وقد بين الزمخشري أن حرف (قد) في الآية أفاد التكثير، حيث قال: "قد نرى: ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية، كقوله: قد أترك القِرْن مصفرا أنامله[6]"[7].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص256، وابن هشام، المغني، ص237، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص328.

[2] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص433، وابن منظور، لسان العرب، ج3544/5، وابن هشام، المغني، ص238، والزركشي، البرهان، ج307/4.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج224/4.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج189/1.

[5] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج787/2.

[6] المعنى: أقتله فينزف دمه فتصفرّ أنامله. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج11/ 275.

[7] الزمخشري، الكشاف، ج189/1.

أمّا أبو حيان فقد فصل في ذلك مبينا أن (قد) مع المضارع بمعنى الماضي، أي: قد رأينا، واستدل لذلك بآيات منها: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾[الأحزاب:18]، أي: علم، ورد قول الزمخشري إفادتها للتكثير؛ لأن (رب) للتقليل عند جمهور المحققين، وأبان أن كثرة الرؤية مستفاد من متعلق الرؤية، وهو (التقلب)، الذي هو مطاوع التقليب، نحو: قطّعته فتقطع[1].

محل النزاع: الزمخشري عدّ (قد) مفيدة للتكثير، متكئاً على دلالة (رُبّ) على التكثير، في حين عدّها أبو حيان دالة على التحقيق، أمّا التكثير فهو مستفاد من صيغة (تقلّب) الدالة على المبالغة.

ونناقش هذا الأمر عند المفسرين، وعند أهل اللغة، أهل النحو والصرف.

اختلف المفسرون في دلالة (قد)، في الآية موضع الدراسة فمنهم من أفادت عنده التكثير، ومنهم التحقيق، ومنهم التقليل.

ومن القائلين بدلالتها على التكثير: البيضاوي[2]، والشوكاني[3]، والألوسي[4]، وابن عاشور مفيداً من المضارع (نرى) الدال على التجدد[5]. ومن الذين قالوا بالتحقيق: رضي الدين الأسترأباذي،[6] والشعراوي[7].

ومن المفسرين الذين لم يتضح موقفهم: السمين الحلبي الذي نقل كلام الزمخشري، وكلام شيخه دون أي تعليق[8]، وابن عجيبة[9]. أمّا البقاعي فقد ذكر إفادتها التقليل[10].

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/601-602.

[2] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/111.

[3] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، ج1/177.

[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج1/407.

[5] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2/27.

[6] ينظر: الرضي الأسترأباذي، شرح الرضي على الكافية، ج4/445.

[7] ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ج1/630.

[8] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج2/159-160.

[9] ينظر: ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي (ت: 1224هـ)، البحر المديد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1423هـ، 2002م، ج1/180.

[10] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج1/265.

أمّا أهل اللغة فقد ذكر صاحب الألفية أنها في الآية للتحقيق[1]، والوقاد حيث قال: "والكثرة هنا في متعلق الفعل، لا في نفسه، وإلا لزم تكثير الرؤية وهي قديمة، وتكثير القديم باطل عند أهل السنة"[2].

وجعل درويش (قد) مفيدة التكثير "بقرينة ذكر التقلب، والتكثير بالنسبة إلى النبي ﷺ وإلا فهو محال على الله تعالى"[3]. وكذلك الحال عند الغلاييني هي للتكثير[4].

أمّا صيغة (تَفعّل) فهي دالة على المبالغة، يقول سيبويه: "تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل، قلت: كسّرته، وقطّعته"[5]. وقال الرضي الأسترأباذي: "وفَعَّل للتكثير غالبا"[6].

أمّا حرف (رُبَّ) فقد اختلف النحويون في دلالتها، أنها للتقليل، أو التكثير، أو لهما، أو تغلب أحدهما على الآخر. فمن القائلين بالتقليل: الزجاج حيث يقول: "فأمّا من قال إن رُبّ يُعْنى بها التكثير فهذا ضد ما يعرفه أهل اللغة"[7]، والمبرد[8]، وابن جني[9]، والزمخشري[10]، والمالقي[11]، والمرادي الذي قال بعد أن سرد معانيها: "والراجح من هذه الأقوال، ما ذهب إليه الجمهور: أنها حرف تقليل"[12]. فالمرادي نسب دلالة رُبّ على التقليل للجمهور.

---

[1] ينظر: ابن مالك، ألفية ابن مالك، ج108/4.

[2] الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: 905هـ)، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تح: عيد الكريم مجاهد، الرسالة–بيروت، ط1، 1415هـ، 1996م، ص142.

[3] درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج206/1.

[4] ينظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج266/3.

[5] سيبويه، الكتاب، ج64/4.

[6] الرضي الأسترأباذي، محمد بن الحسن (ت: 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، 1395هـ، 1975م، ج92/1. وينظر: الحملاوي، أحمد بن محمد (ت: 1351هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد –الرياض، ص31.

[7] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج173/3.

[8] ينظر: المبرد: المقتضب، ج139/4.

[9] ينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص74.

[10] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص282.

[11] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص366.

[12] المرادي، الجنى الداني، ص440.

أمّا القول بدلالتها على التكثير فقد نسب أبو حيان[1] ذلك إلى الخليل صاحب العين، ونسب المرادي ذلك إلى الفارسي[2].

قال السيوطي: "وفي مفادها أقوال: أحدها أنها للتقليل دائماً، وهو قول الأكثر... كالخليل، وسيبويه، وعيسى بن عمر، ويونس، وأبي زيد، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي الحسن الأخفش، والمازني، وابن السراج، والجرمي، والمبرد، والزجاج، والزجاجي... وجملة الكوفيين كالكسائي، والفراء، وابن سعدان، وهشام، ولا مخالف لهم إلا صاحب العين"[3].

بعد هذه الجولة مع (قد، وتقلب، ورُبّ)، يرى الباحث أن (قد) في آية (قد نرى تقلب وجهك في السماء) مفادها التحقيق، وذلك للاعتبارات الآتية:

1. الأصل أن (قد) مع المضارع يفيد التقليل، إلا أنه لما كان الفاعل في الآية هو الله سبحانه وتعالى، ولا يصح عقيدةً القول بالكثرة والقلة في حقه سبحانه، لكن يصح القول بعلمه ورؤيته المطلقة يقينا لا ريب فيه، كقوله تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾[الأنعام:33]، فنحن نعلم علم يقين أن الله تعالى علم ذلك، وهذا عقيدة.
2. صيغة المبالغة (تقلّب) فاعلها الرسول ﷺ ويصح ترديد البصر منه ﷺ كبشر، فالكثرة ممكنة في حقه، فتكون الكثرة مستفادة من السياق، لا من (قد نرى).
3. رُبّ التي جعلها الزمخشري نظيرة (قد) مفيدة التكثير، رأينا في المناقشة قول الجمهور بإفادتها التقليل، حتى إن الزمخشري نفسه قال بذلك في المفصل.

[1] ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج1737/4.
[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص440، والسيوطي، همع الهوامع، ج431/2.
[3] السيوطي، همع الهوامع، ج431/2.

وهذا الموضع الوحيد الذي تحدث فيه الزمخشري عن دلالة (قد) في سورة البقرة. أمّا أبو حيان فقد ذكر دلالة (قد) على التحقيق في مواضع أخرى من سورة البقرة، دون أن يذكر غير هذه الدلالة، وهذه المواضع: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾[البقرة: 137]،[1] وآية ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[البقرة: 256][2] وآية ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[البقرة:269][3].

[1] ينظر: أبو حيان البحر المحيط، ج582/1.

[2] المصدر السابق، ج293/2.

[3] المصدر السابق، ج334/2-335.

الفصل الثالث

دلالات حروف المعاني المشتركة للأسماء والأفعال بين الزمخشري وأبي حيان

المبحث الأول: حروف العطف

العطف لغة من عطف بمعنى مال، وثنى[1]،"وعطف عليه: أشفق"[2]. واصطلاحاً هو:" تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة[3]".

وهو نوعان: عطف بيان، وعطف نسق، وعطف البيان هو: "التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة، وتخصيصه إن كان نكرة"[4]، وعطف النسق: "هو التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف"[5]. ويهمنا هنا عطف النسق.

حروف العطف عشرة: الواو، والفاء، وثم، وحتى، أو، وأمّا، وأم، ولا، وبل، ولكن[6]، وتنقسم إلى قسمين: قسم يفيد مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم والإعراب معاً وهي: الواو، والفاء، وثم، وحتى، وقسم يفيد مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الإعراب لا في الحكم وهي: لا، وبل، ولكن، وأو[7].

ولم ترد (حتى) العاطفة في القرآن الكريم[8]. و(بل) العاطفة لم ترد كذلك؛ لأنها "لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله عز وجل"[9]، وحرف (لكن) العاطف لم ترد كذلك

---

[1] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج351/4.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص838.

[3] الجرجاني، التعريفات، ص151.

[4] ابن هشام، أوضح المسالك، ج346/3.

[5] عيد، محمد، النحو المصفى، مكتبة الشباب، ص607.

[6] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص403-405.

[7] ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج225/3، والغلاييني، جامع الدروس العربية، ج244/3-245.

[8] ينظر: السيوطي، الإتقان، ج228/2. عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج115/2. والشريف، معجم حروف المعاني، ج625/1.

[9] المبرد، المقتضب، ج305/3.

في القرآن الكريم[1]. و(لا) العاطفة لم ترد؛ لأنها تفيد "نفي الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه"[2]. أمّا حرف(أمّا) كعاطف فهو مختلف فيه؛ لأن الواو تكون معه، والواو هي الأصل في العطف، ولا يجمع بين عاطفين[3]، ولم ترد في سورة البقرة إلا مرة واحدة في الآية الثامنة والثلاثين منها ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾[البقرة: 38]، وهو حرف مؤكد لحرف الشرط (إن)[4].

بعد هذا يندرج تحت هذا المبحث مطالب خمسة، وهي أحرف (الواو، ثم، الفاء، أو، أم).

المطلب الأول: حرف الواو

وهو "أم باب حروف العطف"[5]، ويفيد **مطلق الجمع** عند جمهور النحاة[6]، ويقصد بمطلق الجمع: "الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما في زمان، أو سبق أحدهما"[7]. فمطلق الجمع لا يفيد ترتيباً، ولا تعقيباً، بل يفيد الجمع بين المعطوف، والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعاً مطلقاً، نحو: جاء خالد وعلي، فهما اشتركا في المجيء، سواء جاء خالد قبل علي أم العكس، أم جاءا معاً، وسواء كان بينهما مهلة أم لم يكن[8]. قال سيبويه: "وإنّما جئت بالواو؛ لتضم الآخر إلى الأول، وتجمعهما، وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر"[9]، ومن الذين قالوا بعدم إفادته الترتيب المبرد[10]، والزمخشري[11]، وابن هشام[12]، والزركشي[13].

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج945/2

[2] المصدر السابق، ج887/2.

[3] ينظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، ج344/2.

[4] ينظر: العكبري، التبيان، ج54/1

[5] المرادي، الجنى الداني، ص158.

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج386/1، المرادي، الجنى الداني، ص158، السيوطي، همع الهوامع، ج185/3.

[7] السيوطي، همع الهوامع، ج3/م 185.

[8] الغلاييني، جامع الدروس العربية، 245/3.

[9] سيبويه، الكتاب، ج216/4.

[10] ينظر: المبرد، المقتضب، ج10/1.

[11] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص403.

[12] ينظر: ابن هشام، المغني، ص441.

[13] الزركشي، البرهان، ج436/4

وعند **بعض النحاة يفيد الترتيب**، كقطرب، والرَّبَعي، والفراء، وثعلب فالمتقدم من المتعاطفين في الزمان يتقدم في اللفظ؛ لأن الترتيب في اللفظ يستدعي سبباً، والترتيب في الوجود صالح له، فوجب الحمل عليه، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾[الحج: 77] والسجود بعد الركوع شرعاً[1]. وقد تفيد **المعية** عند الأصوليين كالحنفية[2].

وبين ابن هشام أنها لمطلق الجمع، ولا يقتضي ترتيباً ولا عكسه، ولا معية مستدلاً بالنص القرآني، فاستعمالها في مقام الترتيب قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾[النساء: 163]، ومثالها في عكس الترتيب: ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ﴾[النساء: 163]، ومثالها في المصاحبة: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾[الشعراء: 119][3].

ومن خصائص الواو: اقترانها بإمَّا، كقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: 3]، وعطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[الأحزاب: 7]، وعطف الشيء على مرادفه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف: 86]، ويعطف بها المفرد على المفرد والنعوت المتعددة لمنعوت واحد مفرداً لفظاً[4]. وتكون بمعنى (أو) في التقسيم، نحو: الكلمة اسم، وفعل، وحرف، أو بمعنى (أو) في الإباحة، وتكون بمعنى(أو) في التخيير[5].

والذي تميل إليه النفس أنها تفيد مطلق الجمع، والترتيب يستفاد من القرينة والسياق، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾[الحج: 77]، والترتيب مع التراخي، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ

---

[1] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص474-475، وابن هشام، المغني، ص439، السيوطي، همع الهوامع، ج186/3.

[2] ينظر: إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني(ت:478هـ)، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م، ج52/1.

[3] ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص577-578.

[4] ينظر: ابن هشام، المغني، ص439-442، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص350، ويعقوب موسوعة الحروف، ص503-505.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج226/1، والمرادي، الجنى الداني، ص166، وابن هشام، المغني، ص443.

وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[القصص: 7]. وقد وردت كثيراً في سورة البقرة. والنماذج من الآيات تبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: 98]

وردت الواو العاطفة في هذه الآية خمس مرات، وذكر أبو حيان أنها بمعنى (أو)، فقال: "فالمعنى أن من عادى الله، أو ملكاً من ملائكته، أو رسولاً من رسله، فالله عدو له"[1]. والاعتقاد الصحيح للمسلم يقتضي أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وعداوة واحد من الملائكة، أو الرسل؛ كفر بهم جميعاً، ويكون الله عدواً له.

وكان الزمخشري قد ذكر سبب نزول هذه الآية، وهو ما دار من حوار بين عمر ﷺ ويهود حول عداوتهم لجبريل، وسِلمِهِم لميكائيل، وقالوا: إنهما أقرب منزلة من الله تعالى، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فقال عمر: لئن كانا كما تقولون، فما هما بعدوّين، ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر، ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله[2]. ولم يكن له بيان واضح لدلالة الواو هنا. وهذا من باب التعليق على الجنس بصورة الجمع، وعطف جبريل وميكال من باب عطف الخاص على العام، على سبيل التفضيل، فقد نزل التغاير في الوصف كالتغاير في الجنس؛ فعطف، وهذا من الأحكام التي انفردت بها الواو من بين حروف العطف[3].

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/490.
[2] ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج1/159-160.
[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/490.

وقد ذكر مفسرون أن الواو بمعنى (أو) في هذه الآية، منهم: البغوي[1]، والرازي[2]، والسمين الحلبي[3]. فالواو هنا تصلح إفادتها للجمع بأن عداوة من ذكرتهم الآية أنهم في صف واحد ضد من عاداهم، ويصلح إفادتها (أو)؛ لأن معاداة واحد ممن ذكر في الآية هي معاداة لمجموعهم جميعاً، وكفر بواحد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: 105]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: 123] وإنّما المكذَّب واحد وهو نوح، وهود من قِبَل قومهما.

الآية الثانية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: 170].

الآية تتحدث عن التبعية العمياء للآباء، وفيها ذم لهؤلاء المقلدين دون علم. وقد نقل أبو حيان قول الزمخشري في معنى (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ) أنها حالية، وقول ابن عطية أنها عاطفة، ثم جمع بينهما. فالزمخشري قال: "الواو للحال... معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين، ولا يهتدون للصواب"[4]، وقال ابن عطية: "والواو لعطف جملة كلام على جملة؛ لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا: نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون، فقرروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم"[5]. وقد جمع أبو حيان[6] بين قولي الزمخشري وابن عطية، أن جملة لو جملة شرطية، ولو بمعنى (إنْ)، وجاءت لو هنا تنبيهاً على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها، وجاءت لاستقصاء الأحوال، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال، حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل؛ لذا فهي عاطفة جملة حالية، على حال مقدرة، والمعطوف على الحال حال. وصح أن يقال هي للعطف من حيث ذلك العطف، والمعنى: إنكار اتباع آبائهم في كل حال في الحالة التي لا تناسب أن

---

[1] ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج146/1.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، ج614/3.

[3] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج22/2.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج200/1.

[5] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج238/1.

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج655/1.

يتبعوا فيها، وهي تلبسهم بعدم العقل، وعدم الهداية. وقد وافق السمين شيخه في هذا التوفيق، حيث قال بعد نقله: "وهو كلام حسن"[1].

وقد ذكر المفسرون معنى العطف للواو، ومعنى الحال، ومعناهما معاً، ومن الذين قالوا: إنها للحال: النسفي[2]، وابن جزي[3]. ومن الذين قالوا: إنها للعطف: البغوي[4]، والرازي[5]، والقرطبي[6]، وابن عاشور[7]. ومن الذين أفادت عندهم الحال والعطف: البيضاوي[8]، وابن عادل[9]، وأبو السعود[10]، والألوسي[11].

والذي تميل إليه النفس أن الواو تفيد العطف، واستقصاء الأحوال؛ ذلك لما قاله أبو حيان، ولأن مسألة التقليد الأعمى مذمومة في ديننا أيَّما ذم، فهو تقليد ليس على بصيرة، والأصل في المسلم أن يتبع على بصيرة إذ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: 108]، والتبعية العمياء عمى بصيرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: 46]؛ لهذا جاءت الهمزة في ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ تعجيباً من حالهم هذا، فهم متَّبِعون حتى لو لم يكن هناك أي شيء من عقل، ولا هداية. فهو إنكار للتبعية العمياء سواء في حال عدم تعقلهم، وعدم هدايتهم، أم في غيرها من الأحوال. فالأصل في التقليد أن يكون على بصيرة.

---

[1] السمين الحلبي، الدرر المصون، ج228/2.

[2] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج150/1.

[3] ينظر: ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط1، 1416هـ، ج106/1.

[4] ينظر: البغوي، معالم التنزيل، /199.

[5] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج188/5.

[6] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج211/2.

[7] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج109/2-110.

[8] ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، ج119/1.

[9] ينظر: ابن عادل، اللباب، ج159/3.

[10] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج189/1.

[11] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج438/1.

الآية الثالثة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: 217] الواو في (والمسجد الحرام) عاطفة عند الزمخشري وأبي حيان، إلا أنها عند الزمخشري عطف على (سبيل الله)[1]، وعند أبي حيان عطف على الهاء في (به)، ولو لم يكن بإعادة الجار[2]. فالتقدير عند الزمخشري وصد عن المسجد الحرام، وعند أبي حيان وبالمسجد الحرام.

محل النزاع: هل يشترط للعطف على الضمير المجرور إعادة الجار؟

اختلف النحويون من أهل البصرة وأهل الكوفة في ذلك:

الأول: جمهور البصريين قالوا بوجوب إعادة الجار إلا في الضرورة. قال سيبويه: "ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور، وذلك قولك: مررت بك وزيد... كرهوا أن يشرك المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم"[3].

وحجتهم أن: "الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد، فإذا عطف على الضمير المجرور... فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز"[4]، ولا يصح العطف على الضمير الذي أصبح عوضاً عن التنوين؛ لأنه لا يجوز العطف على التنوين، كما لا يجوز عطف الاسم على حرف الجر الذي هو مع مجروره بمنزلة الشيء الواحد. وممن قال بذلك: المبرد[5]، الفراء[6]، والسيرافي[7]، وابن جني[8]،

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج242/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج156/2.

[3] سيبويه، الكتاب، ج381/2، وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج430/1، وابن يعيش، شرح المفصل، ج74/3.

[4] أبو البركات الأنباري، الإنصاف، ج382/2.

[5] ينظر: المبرد، المقتضب، ج152/4.

[6] ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج252/1.

[7] ينظر: السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية –بيروت، 2008م، ج145/3.

[8] ينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص97.

والأخفش الأوسط سعيد[1]، ومن المفسرين ابن عطية الذي قال: "والمسجد معطوف على سبيل الله، وهذا هو الصحيح"[2].

الآخر: مذهب الكوفيين: يجوز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الخافض، وهو رأي أبي حيان الذي خالف فيه سيبويه، وقد أطال أبو حيان[3] الاستدلال لهذا المذهب معتضدا بالسماع من كلام العرب، وبالقياس.

أمّا السماع فقولهم: ما فيها غيره وفرسِه، عطف فرسه على الهاء في غيره، أي: ما فيها غيره وغير فرسه. ومن الشعر قول العباس بن مرداس:

أَكُرُّ على الكَتيبَةِ لا أُبالي أَحَتْفي كان فيها أم سِوَاها[4]

أي: كان فيها أم في سواها، في موضع خفض عطفا على الضمير في (فيها). أمّا من أقوى ما استدل به أبو حيان على جواز العطف على الضمير المجرور فهو قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[النساء: 1] فقد قرأ الأرحام بالكسر عطفا على الهاء في (به)، أي وبالأرحام. وحمزة أحد القراء السبعة، والقراءة متواترة[5].

وكان الزمخشري قد رد هذه القراءة بقوله: "أو أن يعطف على محل الجار والمجرور... (تساءلون به وبالأرحام)، والجر على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه،

---

[1] ينظر: الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ، 1990م، ج243/1.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج290/1.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج156/2–158.

[4] أبو الحسن البصري، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، (ت: 659هـ)، الحماسة البصرية، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب –بيروت، ج13/1.

[5] ينظر: ابن الجزري، النشر، ج247/2.

والجار والمجرور كشيء واحد... وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار"[1]. إلا أن الزمخشري أجاز العطف على ضمير النصب، فقال: "ألا ترى إلى صحة قولك: رأيتك وزيداً"[2].

وكان أبو حيان قد أثنى على حمزة عند تفسيره لآية النساء، وأطال؛ رداً على من رد قراءته، ثم قال: "وإنّما ذكرت هذه وأطلت فيه؛ لئلا يطلع غمر على كلام الزمخشري وابن عطية[3] في هذه القراءة؛ فيسيء ظنا بها وبقارئها... ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة، ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنّما يعرف ذلك من استبحار في علم العربية"[4].

بعد هذا التجوال السريع في هذه المسألة، فإن الذي يترجح لدى الباحث هو جواز عطف المظهر على الضمير المجرور دون إعادة الجار، وذلك للأسباب الآتية:

1. قراءة حمزة المتواترة، وهو من أقوى الأدلة، فهي مقدمة على آراء النحويين؛ إذ القراءة المتواترة تعبدية.
2. الشواهد الواردة في اللسان العربي التي تدل على ذلك، وهي وإن كانت أقل من التي يعاد فيها الجار، إلا أنها موجودة مما يدل على جواز هذا العطف.
3. العطف على الضمير المرفوع والمنصوب جاز في اللسان العربي دون إعادة العامل، كما ورد عند الزمخشري نفسه في قوله: "رأيتك وزيداً"[5]. فكما كان هذا العطف يصح، فيصح العطف على الضمير المجرور دون إعادة الخافض.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج430/1.

[2] المصدر السابق، ج430/1.

[3] وهي قراءة مردودة عند ابن عطية. ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/2.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج167/3.

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج430/1.

المطلب الثاني: حرف الفاء

الفاء إحدى حروف العطف، "وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض، وذلك قولك: مررت بعمر فزيد فخالد"[1]. فمرورك كان بعمر أولاً، وبزيد ثانياً، وبخالد آخراً. وهي عاطفة في الفعل، كما تعطف في الاسم[2]، وعطفها للاسم المفرد في القرآن جاء في عطف الصفات فقط، ولم تتجاوزه[3].

ومن أنواعها: العاطفة، والسببية، والفصيحة، والاستئنافية، والرابطة لجواب الشرط، والزائدة لتزيين الكلام[4]. وتفيد **الترتيب** لفظا ومعنى، أو لفظا دون معنى، **والتعقيب، والتسبيب** في بعض المواضع، نحو: ضربته فمات، فالموت سببه الضرب[5]. وتأتي الفاء **بمعنى (ثم)**، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾[المؤمنون: 14][6]. مثال العاطفة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[البقرة: 16]، ومثال السببية: فاء (فاقتلوا) في قوله تعالى: ﴿ي يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: 54]، ومثال الواقعة في جواب الشرط: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[البقرة: 80]، ومثال الفصيحة: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾[البقرة: 60].

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج217/4.

[2] ينظر: المبرد، المقتضب، ج14/2.

[3] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج189/2.

[4] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص307.

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص440. السبب الرئيس للموت هو انتهاء الأجل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61]

[6] ينظر: ابن هشام، المغني، ص224، والزركشي، البرهان، ج296/4.

والترتيب على ضربين: **ترتيب في المعاني**، ويراد به أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً، بلا مهلة، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[الانفطار: 7] **وترتيب في الذكر**، وهو نوعان: عطف مفصل على مجمل، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾[هود: 45]، وعطف لمجرد المشاركة في الحكم. وهو ترتيب في اللفظ[1].

كذلك تفيد التسبب، "أي: الدلالة على السبب بأن يكون المعطوف متسبباً عن المعطوف عليه"[2]. والسببية تدخل على المضارع المنصوب بإضمار (أن) وذلك إذا وقعت جواباً لأحد أمور عشرة: الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾[الأنعام: 73]، والنهي، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾[طه: 61]، والاستفهام، نحو: هل يقوم زيد فأكرمه، والتخصيص، والعرض، نحو: هلا تكرم زيداً فأكرمه. والتمني، كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء: 73]. والدعاء، نحو: اغفر لزيد فيدخل الجنة، والنفي، نحو: ما تأتينا فتحدثنا. وفعل الشرط، نحو: إن تقم فأحسن إليك تحمدني. وفعل الجزاء، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: 284][3].

ومن أحكامها: أنها لا تنفصل من معطوفها بفاصل، وتعطف المفردات والجمل، ويجوز حذفها بقرينة، نحو: قطعت سنوات التعلم؛ الأولى، الثانية، الثالثة[4]. وهي تشرك المعطوف والمعطوف عليه، سواء اسمين أم فعلين، في الحركة الإعرابية، وفي المعنى: من إثبات الفعلين أو نفيهما، أو إثبات الفعل للفاعلين. ويجوز أن يكون قبلها جملة اسمية وبعدها فعلية، وبالعكس، ويجوز قبلها جملة خبرية وبعدها طلبية[5].

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص63-46.

[2] حسن، النحو الوافي، ج574/3.

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص442-448، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص310-314.

[4] ينظر: حسن، النحو الوافي، ج575/3.

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص440.

أمّا الفاء الفصيحة فهي "التي تدل على محذوف قبلها فإن كان شرطاً فالفاء فاء الجواب، وإن كان مفرداً فالفاء عاطفة، ويشملها اسم فاء الفصيحة، وهذه طريقة الجمهور على الوجهين"[1]. وسبب تسميتها بالفصيحة إفصاحها عن محذوف، أو لدلالتها على فصاحة المتكلم بها، أو لإفصاحها عن الشرط والسبب، أو لفصاحة الكلام الذي دخلت عليه، أو لظهور المعنى بسبب دخولها، أو لكونها مفيدة معنى بديعا[2].

وقد كان للزمخشري قصب السبق في تسميتها بالفصيحة[3]، وحقيقتها عنده: "أنها جواب شرط يدل عليه الكلام"[4]. فهي في جواب شرط مقدر فعله مع الأداة دل عليه السياق. ورفض أبو حيان ما ذهب إليه الزمخشري، حيث قال: "وأمّا حذف فعل الشرط وأداة الشرط معاً، وإبقاء الجواب، فلا يجوز إذ لم يثبت ذلك من كلام العرب"[5]. وسيظهر مزيد بيان لهذا في التمثيل إن شاء الله تعالى. وقد وردت (الفاء) كثيرا في سورة البقرة.

الآية الأولى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: 54].

تكرر حرف الفاء في الآية ثلاث مرات (فتوبوا، فاقتلوا، فتاب)، وهذه الفاء اتفق الزمخشري وأبو حيان على دلالة الأولى والثانية، واختلفوا في الثالثة. الفاء الأولى في (فتوبوا) للتسبيب عند الزمخشري وأبي حيان؛ لأن الظلم سبب للتوبة[6]. واتفقا على فاء (فاقتلوا) أنها للتعقيب إن كان القتل هو تمام توبتهم، أي: اعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم، أو فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم[7].

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/519.

[2] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة –بيروت، 1379هـ، ج8/216، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/519، وعضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج2/200.

[3] ينظر: بلقنيشي، علي، الفاء الفصيحة دلالاتها النفسية وقيمها الحجاجية، تيارت –الجزائر، جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، 2021م، ص3.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج3/448.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/370.

[6] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/135، وأبو حيان، البحر المحيط، ج1/365.

[7] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/135، وأبو حيان، البحر المحيط، ج1/365.

أمّا الفاء الثالثة في (فتاب عليكم) فقد اختلفا فيها، فالزمخشري جعلها أمّا منتظمة في قول موسى لهم؛ فتتعلق بشرط محذوف، أي: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، أو يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات، أي: ففعلتم ما أمركم به موسى؛ فتاب عليكم بارئكم[1]. فالفاء أفصحت عن كلام مقدر. في حين قال أبو حيان: "فتاب عليكم ظاهره أنه إخبار من الله تعالى بالتوبة عليهم، ولا بد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة، أي: فامتثلتم ذلك فتاب عليكم"[2].

فالزمخشري جعل الفاء فصيحة رابطة جملة الجزاء بجملة الشرط المحذوفة مع أداتها، أو معطوفة على جملة غير شرطية، في حين رد أبو حيان تقدير الشرط، ووافق الزمخشري في تقدير جملة غير شرطية.

وكان أبو حيان قد رد ما قاله الزمخشري محتجاً بأن حذف فعل الشرط وأداته، مع بقاء الجواب لا يصح؛ إذ لم يثبت ذلك من كلام العرب[3].

والأمر نفسه عند قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾[البقرة: 60] حيث قال الزمخشري: "فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف، أي: فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت، كما ذكرنا في قوله: (فتاب عليكم)، وهي على هذا فاء فصيحة"[4]. وقد وافق أبو حيان الزمخشري في أن الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديرها: (فضرب فانفجرت)، لكنه رد تقدير الزمخشري للمحذوف أن يكون شرطا بأن إضمار مثل هذا الشرط لا يجوز[5].

محل النزاع: الزمخشري يجعل الفاء فصيحة عاطفة جملة الجزاء على جملة شرط مقدرة مع أداة الشرط، وأبو حيان يجعلها فاء عاطفة على جملة مقدرة، ويرد حذف فعل الشرط وأداته.

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج135/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج369/1.

[3] ينظر: المصدر السابق، ج370/1.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج139/1.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج390/1.

المناقشة: اختلفت أقوال العلماء في تقدير المحذوف على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الفاء فصيحة عطفت ما بعدها على شرط مقدر، وهذا ما قال به الرازي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3].

القول الثاني: الفاء عاطفة، عطفت ما بعدها على جملة مقدرة غير شرطية. وممن قال به من أهل اللغة:

الفراء[4]، وابن جني[5]، والعكبري[6]، والسكاكي[7]، ومن المفسرين: ابن عطية[8]، والقرطبي[9]، وابن جزي[10]، وأبو السعود الذي رفض تعلق الفاء بشرط مقدر حيث قال: "وأمّا تعلق الفاء بمحذوف، أي: فإن ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على أحد"[11]. إلا أنه قدر الشرط في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: 137]، حيث قال: "الفاء فصيحة، أي: إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم"[12].

القول الأخير: الفاء الفصيحة مبنية على التقدير، منبئة عن محذوف وقد تحدث العلماء عن هذه الفاء بأنها "داخلة على جملة مسببة عن جملة غير مذكورة نحو الفاء في قوله تعالى: (فانفجرت)"[13]. ويصح التقدير:

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج518/3.

[2] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج81/1.

[3] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج90/1.

[4] ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج41/1.

[5] ينظر: ابن جني، الخصائص، ج290/1.

[6] ينظر: العكبري، التبيان، ج64/1.

[7] ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد(ت:626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م، ص278.

[8] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج146/1.

[9] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج403/1.

[10] ينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج84/1.

[11] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج106/1.

[12] المصدر السابق، ج190/3.

[13] الكفوي، أبو أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت، 1419هـ، 1998م، ص676.

فضربه بها فانفجرت، فجملة (فضربه بها) محذوفة هي سبب لقوله: (فانفجرت)، ويجوز التقدير، فإن ضربت بها فقد انفجرت فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط، وتسمى الفاء فصيحة على التقدير الأول، أو على التقدير الثاني، أو على التقديرين[1].

وقد يكون المحذوف مقدراً بالقول، كقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾[الفرقان: 19][2]. فالفصيحة ما أفصحت عن مقدر دون تحديده، قال ابن عاشور: "إن فاء الفصيحة ما أفصحت عن مقدر مطلقاً".[3]

وحين العودة إلى أقوال أبي حيان في تقدير المحذوف لهذه الفاء، نجده قد اضطرب في ذلك، فعند آيتي (فتاب عليكم) و(فانفجرت) السابقتين كان قد رد كلام الزمخشري في تقدير شرط محذوف، مع الأداة إلا أنه رجع إلى قول الزمخشري بأن الفاء جواب شرط مقدر، قبل أن يخرج من تفسيره لسورة البقرة، فعند قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[البقرة: 91] قال: "الفاء: جواب شرط مقدر، التقدير: إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فلم تقتلون أنبياء الله؛ لأن الإيمان بالتوراة، واستحلال قتل الأنبياء لا يجتمعان"[4].

وعند قوله تعالى: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾[البقرة: 258] قال أبو حيان: "ومجيء الفاء في (فإن) يدل على جملة محذوفة قبلها... وتقدير الجملة، والله أعلم، قال إبراهيم: إن زعمت ذلك، أو موهت بذلك، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق"[5].

---

[1] ينظر: التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ، ص164.

[2] ينظر: الكفوي، كتاب الكليات، ص676، والألوسي، روح المعاني، ج275/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج556/1.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج475/1.

[5] المصدر السابق، ج300/2.

والذي يراه الباحث، بعد هذه الجولة، هو القول الثالث بأن المحذوف مقدر على الإطلاق، فقد يكون أمراً، أو نهياً، أو شرطاً؛ لقول العلماء الذين قالوا بذلك، والزمخشري هو أول من سماها بالفصيحة، وهكذا العلم يكون بداية، ثم يتوسع العلماء في مفهومه حتى يستقر. وكذلك لا مانع من تقدير المحذوف نهياً، أو غيره كما في تقدير الشرط.

المطلب الثالث: حرف ثم

يفيد **التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة**[1]، والمهلة قد تكون قصيرة في الزمن، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الزمر: 23]، وقد تكون المهلة يوماً أو أقل، كقوله تعالى:﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾[البقرة: 187]، وقد تكون المهلة مئات السنين، كقوله تعالى: ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾[الكهف: 11-12]، وقد تكون المهلة آلاف السنين، كقوله تعالى:﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَاكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾[البقرة: 28]. وهذه دلالة التراخي الزمني.

وتكون **للترتيب الرتبي**، بمعنى أن يكون الثاني أعظم من الأول[2]. وقد ذكر أبو حيان والخضري أن أول من قال بدلالتها على التراخي الرتبي هو الزمخشري[3]، إلا أن الأصفهاني قد أشار لهذا المعنى قبل الزمخشري حيث قال: "ثم حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله أمّا تأخير بالذات، أو بالمرتبة، أو بالوضع"[4].

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج438/1، وابن يعيش، شرح المفصل، ج96/8، وأبو حيان، الارتشاف، ج1988/4.

[2] ينظر: الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ج138/4.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج319/2، والخضري، محمد الأمين، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة – القاهرة، ط2، 1427هـ، 2007م، ص186.

[4] الأصفهاني، المفردات، ج176/1.

وقد تتخلف (ثم) عن الترتيب، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾[طه: 82]، والهداية سابقة للمغفرة؛ لأنها لا تكون إلا للمهتدين.

وتكون **بمعنى الواو** لا ترتيب فيها، قال سيبويه: "وحياتي ثم حياتك لأفعلن، فثم ههنا بمنزلة الواو"[1]، وتأتي **للاستئناف**، كما قال الفراء: "وقد تستأنف العرب بثم"[2]، كما تأتي **للاستبعاد**؛ أي أن ما بعد ثم أمر لا ينبغي أن يكون، وهو مستهجن في الطباع، وذلك كقول جعفر بن علية الحارثي:

لاَ يَكْشِـــفُ الغُمَّـــاءَ إلاَّ ابْـــنُ حُـــرَّةٍ يَـــرَى غَمَـــرَاتِ المَـــوْتِ ثُـــمَّ يَزُورُهَـــا[3]

الشاهد ثم يزورها، فابن الحرة رأى غمرات الموت، واستيقن الأهوال المفزعة، إلا أنه زارها برغبة تشبه رغبة لقاء المحبوب، وهذا مستبعد في العادة والعقل[4]. وأول من قال بهذه الدلالة الزمخشري[5]. أمّا أبو حيان فله موقف مضطرب في هذه الدلالة، وسيأتي مزيد بيان في ذلك إن شاء الله تعالى.

تكررت (ثم) في سورة البقرة ستاً وعشرين مرة[6]، وكانت دلالاتها التراخي، والتفاوت، والاستبعاد، والترتيب، ويظهر ذلك في المواضع التي سيتم دراستها إن شاء الله تعالى.

الآية الأولى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾[البقرة: 74].

تتحدث الآية عن قصة البقرة التي ذبحها بنو إسرائيل، وضربوا ببعضها القتيل؛ فأحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله، وبعد هذه المعجزة كانت النتيجة قسوة قلوب بني إسرائيل بدلاً من الاتعاظ والاعتبار والإيمان.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج501/3، وينظر: المرادي، الجنى الداني، ص427.

[2] الفراء، معاني القرآن، ج396/1، وينظر: الطبري، جامع البيان، ج110/7، والمالقي، رصف المباني، ص175.

[3] الطائي، أبو تميم حبيب بن أوس (ت:231هـ)، ديوان الحماسة، دار الكتب –بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ص13.

[4] درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج585/7.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج108/2. إلا أن الأصفهاني قد سبق الزمخشري في الإشارة لهذا المعنى، حيث قال: "وقد بين الله تعالى بالآية أنهم ارتكبوا ذنوباً قست بها قلوبهم بعد آيات مقتضية للين قلوبهم من إحياء الفتى، ومسخ الناس قردة وخنازير، ورفع الطور فوقهم". الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج232/1.

[6] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج648/2.

وقد ذكر الزمخشري معنى الاستبعاد ل(ثم)، فقال: "معنى (ثم قست): استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها، ونحوه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[الأنعام: 2]، وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار، وأن المواعظ لا تؤثر فيها"[1]. وجاء بآية الأنعام مستدلاً لآية البقرة.

أمّا أبو حيان فقد ذكر أن دلالة الاستبعاد في الآية من السياق، لا من (ثم) حيث قال بعد نقله كلام الزمخشري: "وهذا الاستبعاد لا يستفاد من العطف بثم، وإنّما يستفاد من مجيء هذه الجمل، ووقوعها بعد تقدّم ما لا يقتضي وقوعها، ولأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب، والإنابة إلى الله تعالى، فصدر منهم غير ذلك من غلظ القلوب، وعدم انتفاعها بما شاهدت، والتعنت، والتكذيب... ولكن العطف بثم يقتضي المهلة"[2].

فأبو حيان يرد قول الزمخشري بدلالة (ثم) على الاستبعاد، حتى إنه يصرح بذلك عند آية: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: 1]، حيث يقول: "وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من أن (ثم) للتوبيخ، والزمخشري من أن (ثم) للاستبعاد ليس بصحيح؛ لأن (ثم) لم توضع لذلك... ولا أعلم أحداً من النحويين ذكر ذلك"[3]، وكذلك نفى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[نوح: 8-9] حين قال: "وكثيراً يكرر الزمخشري أن (ثم) للاستبعاد، ولا نعلمه من كلام غيره"[4]. وهذا الموضع عند تفسيره لآيتي سورة نوح، وهو في الأجزاء الأخيرة من تفسيره.

ولكن هل بقي أبو حيان ثابتاً على هذا الموقف؟ أم أنه اضطرب؟ حين مراجعة آيات سورة البقرة التي تحدث عن معنى (ثم) فيها، نجد أنه عند آية: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج147/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج427/1.

[3] المصدر السابق، ج74/4.

[4] المصدر السابق، ج333/8.

دِيَـٰرِهِمۡ﴾[البقرة: 85]، نجده أنه نقل كلام الزمخشري نفسه في معنى (ثم) ولم ينسبه إليه، ولم يعلق عليه معترضاً، أو منتقداً، بل ارتضاه فقال: "هذا استبعاد لما أخبر عنهم به من القتل، والإجلاء، والعدوان، بعد أخذ الميثاق منهم، وإقرارهم، وشهادتهم"[1]، وهو كلام الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية[2].

يلاحظ، مما سبق، أن الزمخشري بيّن أن حرف (ثم) يفيد الاستبعاد، في حين أن أبا حيان تارة ينفي هذه الدلالة، وتارة يرتضيها.

وحين مراجعة هذه الدلالة عند أهل اللغة، وأهل التفسير نجد أن أهل اللغة لم يذكرها الكثير في كتبهم، ومنهم: الرماني[3]، والمالقي[4]، والمرادي[5]، وابن هشام[6]، وهؤلاء ما عدا الرماني، جاءوا بعد الزمخشري، ولم يذكروا هذه الدلالة.

أمّا أهل التفسير بعد الزمخشري فقد أفادوا من هذه الدلالة، التي أضافها الزمخشري للحرف (ثم)، ومنهم، الرازي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، وابن جزي[10]، وابن عادل[11]، والبقاعي[12]، وأبو السعود[13]، والألوسي[14].

والذي تميل إليه النفس، بعد هذه المراجعة، أن حرف (ثم) يفيد الاستبعاد، وهو معنى مجازي، والحرف يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى. قال الخضري: "ماذا لو قيل: فقست قلوبكم، أو وقست قلوبكم، أيكون

---

[1] المصدر السابق، ج1/458.
[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1/152.
[3] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص119-120.
[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص249-251.
[5] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص426-432.
[6] ينظر: ابن هشام، المغني، ص169-172.
[7] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج12/479.
[8] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/88.
[9] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج1/101.
[10] ينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1/253.
[11] ينظر: ابن عادل، اللباب، ج8/12.
[12] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج1/479.
[13] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/115.
[14] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج1/294.

ذلك دالاً على الاستبعاد؟ إذا لم يكن، وهو بالقطع لا يكون، فإنه يتعين أن يكون الاستبعاد مدلول حرف المهلة، ويكون ذلك سر إيثاره على أخويه في موضعه"[1].

فاليهود الذين جادلوا موسى، عليه السلام، في شأن البقرة، وبعد ذلك ذبحوها، وضربوا ببعضها الميت؛ فأحياه الله تعالى، ونطق بقاتله؛ وهم ينظرون؛ كان حرياً بهم، عقلاً وطبعاً، وقد رأوا هذه المعجزة العظمى، والآية الكبرى، ألا يتوانوا في الإيمان بالله وكليمه، والازدياد من ذلك. أمّا أن يكون استقبالهم لهذه المعجزة بالضد، وبقسوة قلوبهم، بل تكون أقسى من الحجارة، التي يضرب بها المثل في القسوة فهذا أمر مستغرب مستهجن، بعيد عن الطباع السليمة والعقول الرشيدة.

بقي الاضطراب في موقف أبي حيان من دلالة (ثم) على الاستبعاد حتى آخر تفسيره، فعند تفسيره آية: ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾[السجدة: 22] نقل كلام الزمخشري، ناسباً إياه له، ولم يزد عليه[2]. وكذلك الأمر عند آية: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾[الجاثية: 8]، نسب الاستبعاد للزمخشري ناقلاً كلامه دون زيادة، ولا اعتراض[3]، ومثل هذا فعل عند آية: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾[المدثر: 15][4]، ونقل كلام الزمخشري في دلالة (ثم) على الاستبعاد في سورة البقرة آية: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ ولم ينسبه إليه[5].

---

[1] الخضري، من أسرار حروف العطف، ص204.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج7/198-199، والزمخشري، الكشاف، ج474/3.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج44/8، والزمخشري، الكشاف، ج166/4.

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج365/8، والزمخشري، الكشاف، ج490/4.

[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج458/1.

أمّا المواضع التي رد فيها على الزمخشري دلالة الاستبعاد فقد امتدت على طول تفسيره كذلك، ومنها: آية البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[البقرة: 74][1]، وآية: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾[الأنعام: 1][2]، وآية: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴾[نوح: 8][3].

يتبين، مما سبق، أن أبا حيان كان له ثلاثة مواقف من دلالة (ثم) على الاستبعاد عند الزمخشري: الموقف الأول: رفض هذه الدلالة. الموقف الثاني: نقل كلام الزمخشري ولم ينسبه إليه. الموقف الأخير: نقل كلام الزمخشري ونسبه إليه.

وكان الدكتور حسن عبد العاطي في بحثه الموسوم بـ(دلالات ثم في القرآن الكريم) قد خرج بنتيجة أن أبا حيان قد رجع إلى القول بدلالة (ثم) على الاستبعاد؛ فقال: "ولعل اتباعه للزمخشري على هذا النحو في خواتيم تفسيره دليل على إجازته لما ذهب إليه، وناسخ لما عارضه به في أول تفسيره"[4].

وكان الدكتور الفاضل حسن قد قال هذا القول بعد استعراضه لآيات ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَاۚ﴾[السجدة: 22]، ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾[الجاثية: 8]، ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴾[المدثر: 15]، وفي هذه الآيات ينقل أبو حيان كلام الزمخشري في دلالة (ثم) على الاستبعاد، وينسبه إليه.

ولعل الدكتور الفاضل لم يطلع على قول أبي حيان عند آية سورة نوح، الذي مر سابقاً؛ ولعله لو اطلع لما خرج بمثل تلك النتيجة. وعليه فالذي يقوله الباحث: إنَّ أبا حيان بقي غير ثابت على رأي واحد من دلالة (ثم) على الاستبعاد، وذلك على طول تفسيره.

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج427/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، ج74/4.

[3] ينظر: المصدر السابق، ج333/8.

[4] عمر، حسن عبد العاطي محمد، دلالات ثم في القرآن الكريم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج6، ع (2)، 1434هـ، 2013م، ص634.

الآية الثانية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة: 262].

أفاد الحرف (ثم) في هذه الآية عند الزمخشري التراخي والتفاوت الرتبي، وليس التراخي الزمني، فقد قال: "ومعنى (ثم): إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خير من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[فصلت: 30]"[1].

أمّا أبو حيان فقد جعل دلالة (ثم) تراخياً في المهلة، فقال: "وعطف بثم التي تقتضي المهلة؛ لأن من أنفق في سبيل الله ظاهراً لا يحصل منه غالباً المن والأذى، بل إذا كانت بنية غير وجه الله تعالى، لا يمنُّ ولا يؤذي على الفور؛ فلذلك دخلت (ثم) مراعاة للغالب، وإن كان حكم المنّ والأذى المعتقبين للإنفاق، والمقارنيْن له حكم المتأخريْن"[2]. وكان أبو حيان قد نقل كلام الزمخشري السابق، وعقّب عليه بنفي دلالة التفاوت لـ(ثم)، إذ لم يسبقه أحد في ذلك، فقد قال: "وقد تكرر للزمخشري ادعاء هذا المعنى لـ (ثم)، ولا أعلم له في ذلك سلفاً"[3]. ويقصد أبو حيان بتكرار هذا المعنى عند الزمخشري عند آية: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[البقرة: 199] حيث قال: "حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال: ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين[4]، وأن إحداهما صواب، والثانية خطأ"[5]. وقد عقّب أبو حيان على كلام الزمخشري هذا، بعد نقله له، رافضاً دلالة التفاوت، فقال: "ولا نعلم أحداً سبقه إلى إثبات هذا المعنى لثم"[6].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج291/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج319/2.

[3] المصدر السابق، ج319/2.

[4] كانت قريش تسمى في الجاهلية بالحُمْس، وكانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل يقفون بمزدلفة، وهي من الحرم، قائلين: نحن من أهل الله، فينبغي لنا تعظيم الحرم، فلما جاء الإسلام أمر بالإفاضة من عرفات لا من المزدلفة. ينظر: الطبري، جامع البيان، ج184/4، والماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ج261/1، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج427/2.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج231/1.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج108/2.

محل النزاع: الزمخشري يذكر إفادة (ثم) التفاوت الرتبي، في حين أن أبا حيان يجعلها على أصل إفادتها للترتيب الزمني، ويبين أن الزمخشري هو أول من جاء بمعنى التفاوت للحرف (ثم).

وحين مناقشة هذا الأمر عند المفسرين عند آية ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾[البقرة: 262]، نجد أنهم قالوا بقول الزمخشري مفيدين منه أن الحرف (ثم) يفيد التفاوت بين مرتبتي المعطوف عليه وهو الإنفاق، وبين مرتبة المعطوف، وهو ترك المن والأذى، وأن تركهما أعلى رتبة من الإنفاق المصحوب بالمنّ والأذى.

ومن المفسرين الذين قالوا بقول الزمخشري: البيضاوي[1]، والنسفي[2]، والسمين الحلبي تلميذ أبي حيان[3]، وأبو السعود[4]، والشهاب الخفاجي[5]، وذكر الشوكاني قول الزمخشري، ولم يعقب عليه كأنه يرتضيه[6]، والألوسي[7]، وابن عاشور الذي قال: "فالمهلة في (ثم) هنا مجازية؛ إذ شُبه حصول الشيء المهم في عزة حصوله بحصول الشيء المتأخر زمنه، وكأن الذي دعا الزمخشري إلى هذا أنه رأى معنى المهلة هنا غير مراد؛ لأنه المراد حصول الإنفاق وترك المنّ معاً"[8].

هذه موافقات العلماء للزمخشري عند آية الإنفاق، أمّا عند آية (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)، فمن الذين وافقوا الزمخشري بدلالة (ثم) على التفاوت في الرتبة: القرطبي[9]، وابن جزي[10].

---

[1] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج158/1.
[2] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج217/1.
[3] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج583/2.
[4] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج258/1.
[5] ينظر: الشهاب، عناية القاضي، ج341/2.
[6] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج284/1.
[7] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج33/2.
[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج42/3.
[9] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج427/2.
[10] ينظر: ابن الجزي، التسهيل، ج115/1.

مما سبق يتبين أن علماء التفسير قد أفادوا من الزمخشري بدلالة (ثم) على التراخي الرتبي، والسمين الحلبي بعد نقله لكلام شيخه أبي حيان الذي اعترض فيه على الزمخشري في إفادة (ثم) التراخي بين الإفاضتين في الرتبة، نجده يقول: "وهذا الذي ناقش الشيخ به الزمخشري تحامل عليه؛ فإنه يعني بالتفاوت والبُعد التراخي الواقع بين الرتبتين، وسيأتي له نظائر، وبمثل هذه الأشياء لا يرد كلام مثل هذا الرجل"[1]. فالتلميذ اعتبر كلام شيخه تحامل على الزمخشري، وأن كلام الزمخشري في مثل هذا لا يرد. وأكد الألوسي هذا المعنى بقوله:" وثم للتفاوت بين الإنفاق، وترك المنّ والأذى في الرتبة، والبعد بينهما في الدرجة... وهذا هو المشهور في أمثال هذه المقامات"[2].

ووجدنا أبا حيان قد نقل كلام الزمخشري في دلالة (ثم) على التفاوت، حذو القذة بالقذة[3] دون أن ينسبه إليه، ولم يعقب عليه عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[الفرقان: 45-46][4]. وعدم تعقيبه على كلام الزمخشري كأنه عودة إلى قول الزمخشري بعد معارضته له.

والذي تراه النفس هو إفادة (ثم)، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ على التفاوت بين رتبتي المعطوف والمعطوف عليه؛ لقوله تعالى في الآية التي تلي السابقة: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة: 263] ووجه الاستدلال أن الآية رفعت قدر القول المعروف والجميل، والصفح عن السائل وستر ما وقع منه من إلحاف في المسألة على الصدقة المتبوعة بالمنّ، والكلام المؤذي للنفس.

---

[1] السمين الحلبي، الدر المصون، ج335/2.

[2] الألوسي، روح المعاني، ج33/2.

[3] قذّ الريش بالمقذّ: حذف أطرافه، والقذّة: الريشة المقذوذة، ويقال: حذوت له نعلا: إذا قطعتها على مثال. ومعنى: حذو القذة بالقذة، أي: كما تقدر كل قذة على صاحبتها يضرب مثلا للشيئين يستويان. ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، 132/5، والزمخشري، أساس البلاغة، 60/2، وابن الجوزي، غريب الحديث، 226/2.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج260/3، وأبو حيان، البحر المحيط، ج461/6.

ومع القول بهذا، إلا أن في النفس من معنى التراخي الزمني شيئا بحيث يتراخى الزمان في عدم إتباع صدقته بالمن والأذى حتى يتناسى أنه تصدق، قال ابن المنير بعد ذكره دلالة (ثم) على التفاوت عند الزمخشري: "وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها: وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها، وإرخاء الطول في استصحابه، فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن، ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه... أي: يدومون على تناسي الإحسان، وعلى ترك الاعتداد به والامتنان، ليسوا بتاركيه في أزمنة إلى الإذاية، وتقليد المنن بسببه، ثم يتوبون"[1].

وقد وازن الزمخشري بين الاستبعاد، والتراخي الرتبي، ويقصد بالاستبعاد: "التباعد بين أمرين يمتنع ترتيب ثانيهما على أولهما"[2]. ويقصد بالتراخي الرتبي: "التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة، فيجعل المعطوف أرفع رتبة من المعطوف عليه، وليس بينهما من التناقض ما في الاستبعاد"[3].

المطلب الرابع: حرف (أو)

حرف عطف يعطف مفرداً على مفرد، وجملة على جملة، ويشرك في الإعراب عند الجمهور، وفي الإعراب والمعنى عند ابن مالك، وهو من الحروف الهوامل[4]. "ووضع للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها"[5]، و"حقها أن تكون في الشك واليقين لأحد الشيئين"[6].

---

[1] ابن المنير، الانتصاف، ج291/1.

[2] الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، ص187.

[3] المصدر السابق، ص187، وينظر: أبو موسى، محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مكتبة وهبة –القاهرة، ط2، 1408هـ، 1988م، ص190.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص52، والمرادي، الجنى الداني، ص227، وأبو حيان، الارتشاف، ج1989/4، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص173.

[5] السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص198، وينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص92.

[6] المبرد، المقتضب، ج301/3.

ومن المعاني التي جاء بها (أو): **التخيير**، كقوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة: 196]، **والإباحة**، نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، والفرق بينهما أن الجمع يجوز في الإباحة، ويمنع في التخيير[1]. وإذا دخلت (لا) الناهية على التخيير والإباحة امتنع فعل الجميع، كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان: 24] ويأتي **للشك**، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[المؤمنون: 113] **وللإبهام**، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾[يونس: 24]، والفرق بينهما أن الشك من جهة المتكلم، والإبهام على السامع[2]. وتأتي **للإضراب** بمعنى (بل)[3]، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصافات: 147]. ويدل على **التفصيل**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾[البقرة: 135]، أي: قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا[4].

ويأتي **بمعنى (الواو) الحالية**، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[النساء: 43]، المعنى: وجاء أحد منكم من الغائط، أي: في هذه الحالة[5]. ويكون **بمعنى (إلا) في الاستثناء**، وينتصب المضارع بعدها بإضمار (أنْ)، نحو لأقتلنّ الكافر، أو يسلم[6]، أي: لأقتلنّ الكافر، إلا أن يسلم فلا أقتله.

---

[1] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص210، وأبو حيان، الارتشاف، ج1995/4، والمرادي، الجنى الداني، ص228.

[2] ينظر: أبو حيان، الارتشاف، ج1995/4، وابن هشام، المغني، ص100، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص173.

[3] ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج72/1.

[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص210، وابن هشام، المغني، ص104.

[5] ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج473/15، والمرادي، الجنى الداني، ص229.

[6] ينظر، المبرد، المقتضب، ج28/2-29، والمالقي، رصف المباني، ص212، وابن هشام، المغني، ص105، وبسيوني، سمير، معجم الأدوات النحوية دراسة أسلوبية، مكتبة الإيمان -المنصورة، ط1، 1424هـ، 2003م، ج311/1.

ومن أحكامه أنه إذا وقع قبله الاستفهام، صح أن يكون بالهمزة وبغيرها، نحو: أقام سعيد أو حسن؟[1] ويفرد الضمير في الخبر إذا كان العطف بأو، وفي غير الخبر تختار الإفراد، أو التثنية حسب القصد[2].

ورد حرف (أو) في سورة البقرة ثلاثين مرة[3]. وقد أفاد عند الزمخشري وأبي حيان التفصيل، والتخيير، والتنويع، والشك، والإباحة، وأفادت مرة واحدة معنى (إلا أن) عند الزمخشري[4]. وبيان ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: 111].

الآية تتحدث عن أهل الكتاب اليهود والنصارى، الذين قال كل فريق منهم لن يدخل الجنة إلا هم، فاليهود حصروا دخول الجنة عليهم، والنصارى حصروا دخولها على أنفسهم، وهذا من اللف[5] الذي جاء به القرآن على أحسن صورة تحسينية؛ "ولذلك جاء العطف بأو التي هي للتفصيل، والتنويع وأوضح ذلك العلم بمعاداة الفريقين، وتضليل بعضهم بعضاً؛ فامتنع أن يحكم كل فريق على الآخر بدخول الجنة"[6].

فالحرف (أو) أفاد تفصيل قول كل من اليهود والنصارى على طريقة اللف، والتفصيل أن اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وهذه أماني وظنون

---

[1] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص212، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص175.

[2] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج580/1.

[3] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج435/1.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج266/1.

[5] "اللف والنشر: هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾". ينظر: الجرجاني: التعريفات، ص193.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج520/1.

لا برهان لها، وأكد كل من الفريقين نفي دخول غيرهم بأداة النفي (لن) ومن الذين قالوا بدلالة (أو) على التفصيل: الرازي[1]، والسمين الحلبي[2]، وابن عادل[3]، والألوسي[4].

وقد ذكر أبو حيان دلالة التفصيل للحرف (أو) عند آيات أخرى من سورة البقرة، كآية: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾[البقرة: 135][5]. فاليهود قالوا: ليس من مهتد إلا من كان هوداً؛ فالله لا يقبل ديناً غير دين اليهودية، وكذلك قالت النصارى: المهتدي من كان نصرانياً، ودينهم خير الأديان. وكذلك (أو) في قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة: 140]، فقد أفادت التفصيل[6].

الآية الثانية: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة: 236].

توضح الآية إباحة طلاق المرأة قبل المسيس، وقبل فرض المهر لها، وإذا وقع ذلك وجب على المطلِّق متاعاً للمرأة جبراً لخاطرها، وتخفيفاً عنها لما أصابها من صدمة الطلاق، وعدم إتمام الزواج. ومعنى حرف (أو) عند الزمخشري: إلا أن، أو حتى، فقد بيّن عند هذه الآية أنه لا تبعة على المطلِّقين من إيجاب المهر مالم يجامعوهن، إلا أن يفرضوا، أو حتى يفرضوا[7].

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج5/4.
[2] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج70/2.
[3] ينظر: ابن عادل، اللباب، ج397/2.
[4] ينظر، الألوسي، روح المعاني، ج358/1.
[5] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج577/2.
[6] ينظر: المصدر السابق، ج587/1.
[7] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج266/1.

أما أبو حيان في بحره[1] فقد نقل أقوال العلماء في دلالة (أو) مبيناً إياها على النحو الآتي:

الأول: أو على بابها من كونها تأتي لأحد الشيئين أو لأشياء، وهذا قول ابن عطية[2]، والمعنى في الآية أن الجناح منفي عن المطلِّق عند انتفاء أحد أمرين: إما الجماع، أو تسمية المهر، وصوّب انتفاء الجناح عند انتفاء الجماع، ولم يصوّبه عند انتفاء تسمية المهر.

الثاني: (أو) بمعنى إلا أن. وهذا قول الزمخشري[3]. ومعنى الآية: انتفاء الجناح عند المطلِّق عند انتفاء الجماع إلا أن يفرض لها مهراً.

الثالث: جملة (أو تفرضوا) معطوفة على جملة محذوفة، إذ التقدير: فرضتم أو لم تفرضوا، والمعنى: انتفاء الجناح بانتفاء الجماع سواء فرض أم لم يفرض، والمراد بالجناح هنا لزوم المهر، وقد قال أبو حيان هنا: "والثالث لبعض أهل العلم، ولم يسم" وكان قد رد هذا القول. وحرصت على نسب هذا القول لصاحبه، لكني لم أصل إلى ذلك، وقال السمين الحلبي: "وهو ضعيف جداً ولعله لضعفه لم يأبه به الكثير من أهل العلم"[4].

الأخير: (أو) بمعنى (الواو)، وهو قول نسبه أبو حيان للسجاوندي. والمعنى: انتفاء الجناح بانتفاء الجماع، وتسمية المهر معاً؛ فإن وجد الجماع وانتفت التسمية فلها مهر مثلها، وإن انتفى الجماع ووجدت التسمية فنصف المسمى، فيثبت الجناح إذ ذاك في هذين الوجهين.

أمّا في نهره فقد قال: "و(تفرضوا) معطوف على (تمسوهن) مجزوم على مجزوم؛ فهو داخل تحت نفي (لم)، والمعنى انتفاء الجناح عن المُطَلِّق عند انتفاء أحد الأمرين: إمّا الجماع، وإمّا تسمية المهر"[5]. ومن قوله هذا يتبين أنه يرتضي القول الأول المنسوب لابن عطية.

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج241/2.

[2] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج318/1.

[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج266/1.

[4] السمين الحلبي، الدر المصون، ج487/2.

[5] أبو حيان، النهر الماد، ج348/1.

محل النزاع: مما سبق يتبين أن معنى (أو) عند الزمخشري: إلا أن، أو إلى أن، أي: حتى، في حين أن معناها عند أبي حيان تدل على أحد الأمرين: إمّا الجماع، وإمّا تسمية المهر، وعدم الإشراك بينهما، كما هو أصل وضعها.

المناقشة: حين مراجعة أهل اللغة، وأهل التفسير، نجد أن (أو) في الآية موضع الدراسة دلّت عندهم على ما قاله الزمخشري وأبو حيان، وأضافوا لها دلالة الواو.

فمن الذين قالوا بدلالتها على ما قاله الزمخشري: النسفي[1]، وأبو السعود[2]، والألوسي[3]. أمّا السمين فقد كرر ما قاله شيخه في بحره، ولم يعقب عليه[4].

وقد ذكر البيضاوي دلالة (أو) في الآية على معنيي (إلا أن، والواو) حيث قال: "إلا أن تفرضوا، أو حتى تفرضوا، أو وتفرضوا"[5]، ومثله عند الطيبي[6]. إلا أن البيضاوي رجح معنى (إلا) حيث قال: "والمعنى أنه لا تبعة على المطلِّق من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، ولكن يسمّ لها مهراً، إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى، أو مهر المثل، ولو كانت غير ممسوسة، ولكن سمى لها فلها نصف المسمى"[7].

أمّا أن تكون (أو) بمعنى (الواو)؛ فقد قال به جمع من أهل العلم، ومنهم الراغب الأصفهاني[8]، وابن الجوزي[9]، وابن جزي[10]، والبقاعي[11]، وابن عجيبة[12]، والشوكاني[13].

---

[1] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج1/198.
[2] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/233.
[3] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج1/545-546.
[4] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج2/487.
[5] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/146.
[6] ينظر: الطيبي، فتوح الغيب، ج3/435-436.
[7] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/146.
[8] ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج1/490.
[9] ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج1/212.
[10] ينظر: ابن الجزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1/126.
[11] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج3/352.
[12] ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد، ج1/264.
[13] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج1/289.

وكان الرازي قد أوضح أن أقسام المطلقات أربعة: المطلقة التي يكون مفروضا لها، ومدخولا بها؛ فلها كمال المهر، والمطلقة التي لم يكن مدخولاً بها، ولا مفروضاً لها؛ فليس لها مهر، ولها المتعة بالمعروف، والمطلقة التي يكون مفروضاً لها، ولم يكن مدخولاً بها؛ فلها نصف المهر. والمطلقة التي يكون مدخولاً بها، ولكن لا يكون مفروضاً لها؛ فلها مهر المثل[1].

ويرجح الباحث أن الحرف (أو) في الآية بمعنى الواو؛ وذلك للأسباب الآتية:

1. سبب النزول: نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهراً، وطلقها قبل أن يمسها فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت قال له رسول الله ﷺ: "متعها ولو بقلنسوتك"[2].
2. السياق: فقد ذكرت الآية، التي تلت الآية موضع الدراسة، المطلقة التي لم يكن بها دخول، لكن فرض لها مهر بأن لها نصف المهر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[البقرة:237]، فاجتمعتا في أن الطلاق قبل المسيس، وافترقتا في أن هذه الآية فرض لها الفريضة، والتي قبلها لم تفرض، قال الكيا الهراسي: "فلو كان الأول بمعنى ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة أو لم تفرضوا لما عطف عليها المفروض لها، فعلم أن معناه: مالم تمسوهن، ولم تفرضوا لهن فريضة؛ فتكون أو بمعنى الواو"[3]، وهذا القسم كالمقابل لذلك القسم"[4].

---

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج473/6,

[2] ينظر: مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي(ت:150هـ)، تفسير مقاتل بن سلمان، تح: عبد الله محمود بن شحاتة، دار إحياء التراث –بيروت، ط1، 1423هـ، ج200/1. والثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م، 188/2، وهذه الرواية لم أجدها في كتب الحديث، ولا في كتب التفسير المعتبرة.

[3] ينظر: الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي(ت،504هـ)، أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1405هـ، ج200/1.

[4] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج457/6.

3. من النحاة والمفسرين من نصّ على أنه إذا وقعت (أو) بعد نفي أو نهي كانت في معنى الواو. يقول ابن مالك: "وإذا وقع نهي، أو نفي قبل أو كانت بمعنى الواو، فمثال ذلك مع النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[الانسان:24]، ومثال ذلك مع النفي قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ﴾[النور:61]"[1]. وقال الرازي: "حرف (أو) إذا دخلت على النفي؛ صارت في معنى الواو"[2].

4. السياق العام للقرآن الكريم: فقد وردت آيات سبقت فيها (أو) بنفي أو نهي، وكان النفي أو النهي متضمناً الجميع، لا أحد الشيئين، أو الأشياء، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾[آل عمران:195]، أي: إن الله تعالى نفى أن يضيع عمل عامل منكم سواء أكان ذكرا أم أنثى، فكلاهما مجزي بعمله. ومنها: قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾[النور:31] فإبداء المرأة زينتها منهي عنه إلا لزوجها ولأبيها، وأبنائها، وغيرهم ممن ذكرتهم الآية. ومنها: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾[الأنعام: 145]، فالميتة والدم المسفوح، ولحم الخنزير كلها حرام. وقال العكبري: "وإن اتصلت بالنهي وجب اجتناب الأمرين عند محققي النحويين"[3].

والعدول عن (الواو) إلى (أو) أبلغ وأقوى؛ وذلك منعاً لتوهم أن النهي عن أحدهما دون الآخر؛ بل يدفع الجناح، ولا يلزم المهر عند عدم المسيس، وعدم الفريضة. يقول الزركشي: "وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ

---

[1] ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج365/3، وينظر: سيبويه، الكتاب، ج148/3، والمبرد، المقتضب، ج11/1، وابن هشام، المغني، ص100.

[2] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج519/9.

[3] العكبري، اللباب، ج423/1.

ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾[الإنسان: 24] فليس المراد منه النهي عن إطاعة أحدهما دون الآخر، بل النهي عن إطاعتهما مفردين، أو مجتمعين، وإنما ذُكرت أو؛ لئلا يتوهم أن النهي عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان"[1].

المطلب الخامس: حرف أم

"من الحروف الهوامل؛ لأنها تدل على الاسم والفعل"[2]. أقسامها أربعة: أم المتصلة، والمنقطعة، والزائدة، والتي هي حرف تعريف[3]. والذي يعنينا هنا المتصلة والمنقطعة؛ كونهما عطفاً.

أم المتصلة: وهي حرف عطف في الاستفهام، تقع بين المفردين والجملتين سواء اسميتين أم فعليتين، أم اسمية وفعلية، وتقع بين مفرد وجملة[4]. وتسمى المعادلة؛ لأنها عادلت همزة التسوية في إفادة التسوية، وعادلت همزة الاستفهام في إفادة الاستفهام[5].

وهي نوعان: الأول: أن تسبقها همزة التسوية، وتتوسط بين مفردين، أو جملتين خبريتين، كلتاهما صالح لتأويله بمفرد، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة: 6]، أي: إنذارك وعدمه سواء.

الثاني: أن تسبقها همزة الطلب، أو التعيين، وتقدر مع (أم) بـ(أي)، وجوابها أحد الشيئين، نحو: أزيد في الدار أم عمرو؟[6] التقدير: أيهما في الدار؟ وتعيّن أحدهما زيداً أو عمراً.

والفرق بين النوعين من أوجه: (أم) الواقعة بعد همزة التسوية، لا تستحق جواباً، بخلاف همزة الاستفهام. والكلام مع (أم) التي بعد همزة التسوية خبري، يحتمل الصدق والكذب، وليست تلك كذلك؛ لأن الاستفهام

---

[1] الزركشي، البرهان، ج212/4.

[2] الرماني، معاني الحروف، ص45، وينظر: المرادي، الجنى الداني، ص204.

[3] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص178–180، والمرادي، الجنى الداني، ص204–207، وابن هشام، المغني، ص74–83.

[4] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص178، والمرادي، الجنى الداني، ص204، وبسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص246–247.

[5] ينظر: حسن، النحو الوافي، ج588/3، وبسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص250.

[6] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص178، وابن هشام، المغني، ص74–75، وبسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص246.

معها على حقيقته، والواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين في تأويل المفردين، أمّا الأخرى فتقع بين المفردين غالباً، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾[النازعات: 27][1].

ولا يشترط فيها أن تسبق همزة التسوية بكلمة (سواء)، فقد يغني عنها ما يؤدي معناها، نحو: ما أبالي أقمت أم قعدت[2]. ومن أحكامها كذلك أن تحذف همزة التسوية، وهمزة التعيين عند أمن اللَّبس، كقراءة ابن محيصن: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة: 6] بإسقاط الهمزة من (أنذرتهم)، وهذه القراءة شاذة[3].

وقول عمر بن أبي ربيعة:

لَعَمْرُكَ ما أدري، وإن كنت دارياً بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمرَ أم بِثَمانِ[4]

أي: أبسبع أم بثمان. وتظل حالات (أم) وأحكامها بعد حذف الهمزة كما كانت قبلها[5].

وشرطها عند أبي حيان أن تعادل الهمزة، ويجيء بعدها مفرداً، أو جملة في معنى المفرد، فإذا انخرم هذان الأمران، أو أحدهما سميت منفصلة[6].

أم المنقطعة: وهي التي لم تسبق بهمزة التسوية، ولا بهمزة تعيين[7]. وهي التي لا يفارقها الإضراب المقدر بـ(بل) والهمزة، فتكون بمنزلتهما، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ التقدير: بل أعندك عمرو[8].

---

[1] ينظر، المالقي، رصف المباني، ص179، وابن هشام، المغني، ص75، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص123-124.

[2] ينظر: الزجاجي، حروف المعاني والصفات، ج25/1.

[3] ابن جني، المحتسب، ج50/1.

[4] ابن أبي ربيعة، عمر (ت:93هـ)، ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم -بيروت، ص209.

[5] ينظر: البسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص249.

[6] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج171/1.

[7] ينظر: الحمد، والزعبي، المعجم الوافي، ص68.

[8] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص46. وابن هشام، المغني، ص79.

ويقدر الزمخشري (أم) ببل والهمزة إذا جاء الاستفهام بعدها، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[النمل: 60][1]. في حين أن أبا حيان يقدرها ببل والهمزة إذا وقع بعدها حرف الاستفهام (هل)، أمّا إذا وقعت أداة استفهام أخرى فتقدر ببل فقط[2].

وتفيد **الإضراب**، كقوله تعالى: ﴿ت تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[السجدة: 2-3]، أي: بل يقولون: افتراه[3].

ومن أحكامها: عدم دخولها على المفرد، ولا يليها إلا الجملة ظاهرة الجزأين، نحو: أزيد عندك أم عمرو، أو مقدراً إحداهما، نحو: إنها لإبل أم شاءٌ، والتقدير: بل أهي شاء[4].ولخلوها من الاستفهام، فهي تدخل على أدوات الاستفهام ما عدا الهمزة، كقوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[الرعد: 16][5].

وسميت منقطعة أو منفصلة، لانقطاع ما بعدها عما قبلها[6]، ولا تكون إلا في الإضراب الانتقالي، أمّا الإضراب الإبطالي فلا تستعمل فيه[7]. وكان بسيوني قد قام بعمل جدول يوضح فيه الفرق بين أم المنقطعة، وأم المتصلة[8]. وقد وردت (أم) بنوعيها: الاتصال، والانقطاع في سورة البقرة سبع مرات[9]. والتمثيل من الآيات يبين ذلك فيما هو آت.

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج376/3.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج155/5، 370.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص204، الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص68.

[4] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص206، وابن هشام، المغني، ص81، وعضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ج348/1.

[5] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص206.

[6] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص127.

[7] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج263/3.

[8] ينظر: بسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص245-255.

[9] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج355/1.

الآية الأولى: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: 80-81].

أجاز الزمخشري وأبو حيان إفادة (أم) في هذه الآية: الاتصال والانقطاع. قال الزمخشري: "و(أم) إمّا أن تكون معادلة بمعنى أي: الأمرين كائن على سبيل التقرير؛ لأن العلم واقع بكون أحدهما. ويجوز أن تكون أم منقطعة"[1].

وكذلك الأمر عند أبي حيان، لكن مع توسع حيث قال: "قوله: (أم تقولون) معادل لقوله: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾... وكأنه يقول: أي هذين واقع أأتخاذكم العهد عند الله، أم قولكم على الله ما لا تعلمون، وأخرج في ذلك مخرج المتردد في تعيينه على سبيل التقرير، وإن كان قد علم وقوع أحدهما، وهو قولهم على الله ما لا يعلمون، ونظيره: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[سبأ: 24]"[2].

وأفادت عنده الانقطاع، حيث قال: "وقيل: أم هنا منقطعة، فيتقدر ببل والهمزة، كأنه قال: بل أتقولون على الله مالا تعلمون، وهو استفهام استنكار؛ لأنه قد وقع منهم قولهم على الله مالا يعلمون، فأنكروا عليهم صدور هذا منهم"[3].

ومن هذا نجد أن أبا حيان يتوسع في الدلالة، مع استدلاله بآية سبأ على معنى الاتصال، ونراه كذلك يذكر إفادة (أم) الانقطاع بصيغة التمريض (قيل)، ولم ينسب القول للزمخشري.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج150/1.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج445/1.

[3] المصدر السابق، ج445/1.

ومن المفسرين الذين قالوا بإفادتها في هذه الآية معنيي الاتصال والانقطاع: البيضاوي[1]، والنسفي[2]، وأبو السعود[3]، والألوسي[4].

وعلى معنى الاتصال فالله تعالى يخبر نبيه ﷺ، أن يقول لهم: أي الأمرين كان: اتخاذ عهد عند الله تعالى أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة، أم قولكم على الله مالا تعلمون. والاستفهام استنكاري، تبكيتاً لهم، وتوبيخاً. والكائن هو أنهم كاذبون فيما زعموا.

وعلى معنى الانفصال، أي تقدير (أم) ببل والهمزة، فالمعنى: إضراب عن التوبيخ لهم بزعمهم اتخاذ عهد عند الله أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، إلى الإنكار عليهم وتبكيتهم على قولهم على الله تعالى ما ليس لهم به علم.

الآية الثانية: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة: 132-133].

اختلف الزمخشري وأبو حيان في مدلول (أم) في قوله (أم كنتم شهداء)، فالزمخشري بعد أن ذكر أنها منقطعة إن كان الخطاب للمؤمنين، قال: "ولكن الوجه أن تكون (أم) متصلة على أن يقدر قبلها محذوف، كأنه قيل: أتدّعون على الأنبياء اليهودية؟ أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت، يعني: أن أوائلكم من بني إسرائيل

[1] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج90/1.
[2] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج104/1.
[3] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج121/1.
[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج305/1.

كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدّعون على الأنبياء ما هم منه براء؟"[1].

فالزمخشري قدر محذوفاً قبل (أم)، وعليه فهي متصلة، وهذا ما اعترض عليه أبو حيان الذي بيّن أن حذف ما يعادلها قبلها، لا يحفظ في شعر ولا في غيره، فلا يصح: أم زيد، وأنت تريد: أقام عمرو أم زيد؟ وسبب عدم جواز الحذف أن الكلام في معنى: أي الأمرين وقع؟ فهي في الحقيقة جملة واحدة: فـ(أم) هنا منقطعة بمعنى: بل والهمزة، والإضراب يعني: الانتقال من شيء إلى شيء، لا أن ذلك إبطال لما قبله، ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ، وهو في معنى النفي، أي: ما كنتم شهداء، فكيف تنسبون إليه مالا تعلمون[2].

محل النزاع: الزمخشري يقول بإفادة (أم) في الآية موضع الدراسة الاتصال، في حين أنها تفيد عند أبي حيان الانقطاع. وحين مراجعة أقوال أرباب الصنعة أهل اللغة، وأهل التفسير نجد أن منهم من وافق الزمخشري، ومنهم من عارضه موافقاً أبا حيان، ومنهم من لم يرجح إحدى الدلالتين على الأخرى.

فمن الذين وافقوا الزمخشري في الاتصال: البقاعي[3]، ومن الذين وافقوا أبا حيان في الانقطاع: الزجاج[4]، والعكبري[5]، والصافي[6]، والخراط[7]، ومن المفسرين: الواحدي[8]، وابن عادل[9]، وأبو السعود[10]، وابن عجيبة[11]،

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج181/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج572/1.

[3] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج179/2.

[4] ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج212/1.

[5] ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج118/1.

[6] ينظر: الصافي، محمود بن عبد الرحيم (ت:1376هـ، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد –دمشق، مؤسسة الإيمان –بيروت، ط1418،4هـ، ج271/1.

[7] ينظر: الخراط، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426هـ، ج49/1.

[8] ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي(ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ، ص133.

[9] ينظر: ابن عادل، اللباب، ج504/2.

[10] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج164/1.

[11] ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد، ج168/1.

وابن عاشور[1]، ومن الذين لم يرجحوا إحدى الدلالتين على الأخرى: صاحب كتاب إعراب القرآن[2]، ومن أهل التفسير: الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7].

والذي تميل إليه النفس أنها منقطعة؛ وذلك لأن السياق يتحدث عن إبراهيم عليه السلام، وبنيه، وعن اليهود الذين زعموا أن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ماتا على اليهودية، وقد نفى الله تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام اليهودية، والنصرانية، والشرك، حيث قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: 67]. وذكر سبحانه أن اليهود والنصارى زعم كل من الفريقيْن أن من كان منهم فهو المهتدي، فرد الله عليهم زعمهم هذا فقال: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: 135]، وهذه الآية تلي الآية موضع الدراسة، وكان قد جاء قبلها: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: 130، 131] فالله تعالى وبخ من رغب عن ملة إبراهيم الحنيفية، وجهّله، فلما زعمت يهود أن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ماتا على اليهودية، أضرب عن توبيخهم برغبتهم عن الملة الحنيفية، إلى توبيخهم على زعمهم أن يعقوب وصى بنيه باليهودية، فخاطبهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾[البقرة: 133]، أي: لم تكونوا حضوراً حين حضور يعقوب الموت؛ كي تعلموا ما وصيته لبنيه، ولم تكونوا تعلمون الغيب؛ لتلقوا بزعمكم الذي زعمتم. وسورة البقرة أبانت كثيراً من سوءات اليهود، وزعمهم على أنبياء الله، ما برأهم الله منه،

---

[1] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج730/1.
[2] ينظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج191/1.
[3] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج65/4.
[4] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج107/1.
[5] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج132/1.
[6] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج169/1.
[7] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج388/1.

كما قال سبحانه: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[البقرة: 140].

ومما يرجح كونها المنقطعة كذلك أنها لم تسبق بهمزة التسوية، ولا همزة التعيين، ودخولها أيضا على جملة لا يمكن تأويلها بمفرد (أم كنتم شهداء)، وكذلك الاستفهام هنا تصديق، وليس تصوريا، إذ يمكن الإجابة عنه بأحد أحرف الإجابة، نحو: نعم، أو لا.

المبحث الثاني: حروف النفي والاستفهام

المطلب الأول: حروف النفي

النفي لغة يعني تعرية شيء من شيء، وإبعاده منه، ويعني الطرد، والتنحية[1]، ويعني الجحد والإنكار، وهو ضد الإثبات[2]. وفي الاصطلاح: "ما لا ينجزم ب(لا)، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل"[3]. وهذا ما يفرق به بين النفي وبين النهي، فالفعل المضارع بعد (لا) الناهية مجزوم، في حين أنه بعد (لا) النافية غير مجزوم.

والنفي قسمان: محض وهو ما يوجب الإثبات، ولا يأتي بعده ما ينقضه، نحو: لن أتكاسل، وغير محض: وهو ما يأتي بعده ما ينقضه، ويوجب الإثبات، نحو: لا أشاهدك إلا تدرس[4].

أمّا أدوات النفي فهي: لم، ولما، ولن، وما، وإن، ولا، ولات[5]، ومنها كذلك أداة النفي (ليس) التي تستعملها العرب استعمال الأفعال، فتقول: لست، وليسا، وليست، وعلى هذا فالجملة المبدوءة بها فعلية[6]. فهي قبلت علامة الفعل، لذا فهي فعل ماض ناقص من أخوات كان، ولا تدخل إلا على الأسماء؛ لذا فلا مجال لدراستها هنا.

أمّا فيما يتعلق بأداة النفي (لات) فأكثر ما تستعمل في نفي الزمن، ولم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في آية: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص:3]. أمّا الحرف (لما) فقد ورد في سورة البقرة إحدى عشرة مرة[7]، كان منها مرة واحدة جازماً في الآية (214) من السورة، والباقي دخل فيها على الفعل الماضي، ولا يدخل على الأسماء.

---

[1] ينظر: الفراهيدي، العين، ج375/8، وابن فارس، مقاييس اللغة، 456/5، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج1340/1.

[2] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص484.

[3] الجرجاني، التعريفات، ص245.

[4] ينظر: يعقوب، موسوعة الحروف، ص484.

[5] ينظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج254/3.

[6] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج253/1.

[7] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج938/2.

وحرفا (لم، ولن) يدخلان على الأفعال، وقد تمت دراستهما فيما مضى[1]، وليست هنا دراستهما. وعليه فإن الدراسة في هذا المطلب تختص بحروف (لا، ما، إن).

أولا: حرف (لا) النافية

حرف (لا) "حرف يكون عاملاً، وغير عامل، وأصول أقسامه ثلاثة: لا النافية، ولا الناهية، ولا الزائدة"[2]. والذي يهمنا هنا لا النافية، الذي يدخل على الأسماء ويكون عاملاً، وغير عامل، ويدخل على الأفعال الماضية والمضارعة، ويتناولها الباحث بناء على هذا التقسيم.

أولا: لا النافية الداخلة على الأسماء

إمّا أن تكون عاملة في الأسماء، أو غير عاملة. والعاملة تقسم إلى قسمين: النافية للجنس عاملة عمل(إنّ)، النافية العاملة عمل (ليس).

1. **لا النافية للجنس**؛ وتعمل عمل (إنّ)، ويراد بها نفي الشمول عن الجنس كله، إذ تنفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها[3]. وشروط عملها عمل (إنّ): أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، وأن يليها اسمها، وأن تكون نافية للجنس نصاً لا على سبيل الاحتمال[4]. كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: 2].

والأصل في الحروف التي تدخل على الأسماء والأفعال ألا تعمل، لكن (لا) النافية للجنس عملت؛ لأنه: "لما قصد بها التنصيص على العموم اختصت بالأسماء؛ لأن قصد الاستغراق على سبيل التنصيص، يستلزم

---

[1] ينظر: حرف (لن) ص135، وحرف (لم) ص142 من هذه الدراسة.

[2] المرادي، الجنى الداني، ص290.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج275/2، والمرادي، الجنى الداني، ص290، وابن هشام، المغني، ص309.

[4] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج276/2، والمبرد، المقتضب، ج359/4، وأبو حيان، الارتشاف، ج1295/3.

وجود (من) لفظاً، أو معنى، ولا يليق ذلك إلا بالأسماء النكرات"[1]. وعملت عمل (إنّ)؛ لمشابهتها لها في التوكيد، ف(لا) لتوكيد النفي، و(إنّ) لتوكيد الإثبات[2].

وقد أبان ابن هشام[3] أنها تفترق عن إنّ من أوجه سبعة: أنها لا تعمل إلا في النكرات وإذا لم يكن اسمها عاملاً فإنه يبنى؛ لتضمنه معنى (من) الاستغراقية، ورفع خبرها عند أفراد اسمها، نحو: لا رجل قائم بما كان مرفوعاً به قبل دخولها لا بها، وألا يتقدم خبرها على اسمها ولو كان ظرفاً أو مجروراً، ويجوز مراعاة محلها مع اسمها قبل مضي الخبر وبعده، فيجوز رفع النعت والمعطوف، نحو: ولا رجل وامرأة فيها. والسادس: يجوز إلغاؤها إذا تكررت، نحو: لا حول ولا قوة إلا بالله، والسابع: يكثر حذف خبرها إن علم، كقوله تعالى: ﴿لَا ضَيۡرَ﴾[الشعراء:50].

والنفي بلا النافية للجنس أبلغ من نفي الفعل، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾[الأنبياء: 94]، أبلغ من قوله فلا يكفر سعيه[4]. واسمها إمّا أن يكون مفرداً مبنياً على الفتح؛ تشبيهاً بخمسة عشر، كقوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[البقرة:2]، وإمّا مضافاً، نحو: لا صاحب بر مذموم، أو شبيهاً بالمضاف، نحو: لا راغباً في الشر محمود[5]. وتسمى لاء التبرئة[6]. وجاء اسم لا النافية للجنس مفرداً في القرآن، ولم يقع مضافاً، ولا شبيهاً بالمضاف إلا في آية واحدة محتملة[7]. ولها أحكام أخرى مبسوطة في كتب النحو.

---

[1] المرادي، الجنى الداني، ص291-292.

[2] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص333، والمرادي، الجنى الداني، ص292.

[3] ينظر: ابن هشام، المغني، ص309-310

[4] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج313/6.

[5] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج100/2، وأبو حيان، الارتشاف، ج1295/3، والمرادي، الجنى الداني، ص290-291، وابن هشام، المغني، 312، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص265-266.

[6] ينظر: الرضي الأسترأباذي، شرح الكافية في النحو، ص255.

[7] ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج442/2.

2. **لا العاملة عمل ليس**، وهي النافية للوحدة، وهي حرف يعمل عمل الأفعال الناقصة في رفع المبتدأ، ونصب الخبر، ولا تعمل إلا في النكرة[1].

ويشترط لعملها: أن يتقدم اسمها على خبرها، وألا ينتقض نفيها ب (إلا)، وألا تتكرر؛ لأن نفي النفي إثبات، وألا تزاد بعدها (إن)، وأن يكون اسمها وخبرها نكرتين، ويكون ذلك في الشعر لا في النثر[2]. و(لا) هذه تخالف (ليس) من جهة: أن عملها قليل، وذكر خبرها قليل، ولا تعمل إلا في النكرات[3]. وإعمالها عمل (ليس) قليل خاص بلغة أهل الحجاز[4]. قال الرضي: "لم يثبت إعمال لا عمل ليس والأولى حمل ذلك على الضرورة والشذوذ"[5].

أمّا فيما يتعلق ب(لا) النافية الداخلة على الأسماء، ولا تكون عاملة فمواضعها عند أهل النحو هي:

لا العاطفة، لا وجود لها في القرآن؛ لاقترانها بالواو العاطفة غالبا، والعمل للأقوى، والواو العاطفة أم الباب[6]، ولا الداخلة على جملة اسمية صدرها معرفة، ولا هنا لا تعمل؛ لأنها تدخل على النكرة كما مر سابقا، وظاهر المعرفة "مؤول باعتقاد تنكيره... بأن جعل الاسم واقعا على مسماه، وعلى كل من أشبهه؛ فصار نكرة لعمومه"[7]، ولا الداخلة على جملة اسمية صدرها شبه جملة، كقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[الصافات: 47]، فلا عمل لها؛ لضعفها إذ لا تعمل إلا فيما يليها، فإن فصل بينها وبين النكرة لم تعمل[8]، ولا الداخلة على الصفة، ويجب تكرارها إذا وليها خبر، أو حال، أو صفة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾[البقرة: 68][9]. ولها أحكام أخرى مبسوطة في كتب النحو.

---

[1] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص292، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص382، والحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص2689.

[2] ينظر: ابن هشام، شرح قطر الندى، ص145، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص383.

[3] ينظر: ابن هشام، المغني، ص311.

[4] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص53، والسامرائي، معاني النحو، ج258/1.

[5] الرضي الأسترأباذي، شرح الكافية، ص258.

[6] ينظر: نعيرات، نعيم صالح سعيد، "لا" في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، جامعة النجاح الوطنية –فلسطين، 2007م، ص55.

[7] السيوطي، همع الهوامع، ج524/1.

[8] ينظر: المبرد، المقتضب، ج361/4.

[9] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص299، وابن هشام، المغني، ص316.

ثانيا: لا النافية الداخلة على الأفعال

تدخل على المضارع، لنفي الحال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾[المائدة: 84]، ولنفي الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[البقرة: 86]، ولا يجب تكرارها، ولا تعمل في المضارع إذ يبقى مرفوعا[1].

وتدخل على الماضي، وهي معه قليل، ويجب تكرارها، وتكرارها إذا كان الفعل ماضيا غير دعاء، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[القيامة: 31]، وتكون بمعنى غير، وشروط ذلك ثلاثة: أن تدخل على لفظة (شيء)، نحو: غضبت من لا شيء، وأن ينجر من بعد (لا) بباء الجر قبلها، نحو: كنت بلا حال، وأن يعطف ما بعد (لا) على المجرور بكلمة غير، كقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفاتحة: 7][2]. وتدخل على الماضي في القسم، نحو: والله لا صليت، وفي الدعاء، نحو: لا رعاك الله، وتكون زائدة لتوكيد النفي[3].

وردت (لا) النافية في سورة البقرة مئة وسبع عشرة مرة[4]. ودلت عند الزمخشري وأبي حيان على نافية عاملة، ونافية غير عاملة، والتمثيل من الآيات يبين ذلك فيما هو آت.

الآية الأولى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: 2].

دل حرف (لا)، الذي دخل على المصدر هنا، على نفي الجنس العامل عمل (إنّ). وقد أبان الزمخشري دلالته على طريقته في الفنقلة حيث قال: "فإن قلت: كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق؟ وكم من مرتاب

---

[1] ينظر: الرضي الأسترأباذي، شرح الكافية، ص258-259، المرادي، الجنى الداني، ص296، الزركشي، البرهان، ج4/353-354. والسامرائي، معاني النحو، ج3/263-264.

[2] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج8/109، الرضي الأسترأباذي، شرح الكافية، 258-259، والمرادي، الجنى الداني، ص297-298، الزركشي، البرهان، ج4/353-354.

[3] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص300-301.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج2/891-894.

فيه؟ قلت: ما نفى أن أحداً لا يرتاب فيه، وإنما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة، وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه"[1].

فالقرآن ليس فيه أي فرد من أفراد الريب، أمّا الارتياب فقد وقع من البشر، واستدل الزمخشري لهذا المعنى بآية أخرى، حيث أتم كلامه قائلا: "ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[البقرة: 23]، فما أبعد وجود الريب! وإنّما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب"[2].

وقد وافق أبو حيان الزمخشري فيما قال، إذ قال: "ونفي الريب يدل على نفي الماهية، أي: ليس مما يحله الريب، ولا يكون فيه، ولا يدل ذلك على نفي الارتياب، لأنه قد وقع ارتياب من ناس كثيرين"[3]. إلا أنه عارض الزمخشري في استدلاله بالآية، فقد قال متمما قوله السابق: "فعلى ما قلناه لا يحتاج إلى حمله على نفي التعليق، والمظنة كما حمله الزمخشري، ولا يرد علينا قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾؛ لاختلاف الحال والمحل، فالحال هناك المخاطبون والريب هو المحل، والحال هنا منفي والمحل الكتاب؛ فلا تنافي بين كونهم في ريب من القرآن، وكون الريب منفيا عن القرآن"[4].

والذي يراه الباحث أن كلامهما في دلالة (لا) الاستغراقية واحد، فالزمخشري أراد أن يثبت أن الارتياب وقع من البشر، لا أن الريب في القرآن، فجاء بالآية مؤكداً ذلك، واعتراض أبي حيان على استدلال الزمخشري لا يؤثر، وإن كنت لا أرتضيه، فقد وافقه في دلالة (لا) على نفي جنس الريب عن القرآن الكريم، وأراد الزمخشري من وراء استدلاله بالآية إثبات نفي جنس الريب عن القرآن الكريم، في التحدي للبشرية في أن يأتوا بسورة من مثله؛ فإن لم يستطيعوا، ولن يستطيعوا، فهذا يعني أنه ليس فيه أي فرد من أفراد الريب صغيره وكبيره، قليله وكثيره.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج48/1.

[2] المصدر السابق، ج48/1.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج160/1.

[4] المصدر السابق، ج160/1.

الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: 174].

تتحدث الآية عمن كتم علماً علمه إياه الله؛ طمعاً في دنيا يصيبها، أو منصبٍ يعتليه، أو زلفى عند حاكم يرجوها، وقد توعدهم الله تعالى بنفي تكليمهم كلام رحمة، ولا يثني عليهم بالحسنى، ونفي تطهيرهم، ولهم عذاب أليم.

قال الزمخشري: "(ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه، وتزكيتهم بالثناء عليهم"[1]. وكان قد نقل قولين لآية (ولا يكلمهم) بصيغة التمريض: "وقيل: نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم، كمن غضب على صاحبه؛ فصرمه وقطع كلامه. وقيل: ولا يكلمهم بما يحبون، ولكن بنحو قوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: 108][2]. والقول الأول للحسن، كما ذكر أبو حيان[3]، والثاني قول الطبري[4].

وقد أبان أبو حيان دلالة (ولا يكلمهم) إن ظاهره نفي الكلام مطلقاً، أي: مباشرتهم الكلام، واهتم بإزالة ما ظاهره التعارض بين هذه الآية، وبين آيات أخرى تبين أن الله يكلم الكافرين يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: 108]، أنه متأول بأن الله يأمر من يقول لهم ذلك، ويكون في نفي كلامه تعالى إياهم دلالة على غضبه عليهم، ومعنى (ولا يكلمهم)، أي: يغضب عليهم، وليس المراد نفي الكلام مع الكافرين، وهذا قول الحسن. أو المعنى ليس على العموم، فقد جاء في القرآن أنه يكلمهم، كقوله

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج202/1.

[2] المصدر السابق، ج202/1.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج667/1.

[4] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج330/3.

تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: 92]، والسؤال لا يكون إلا بالتكليم. فالمعنى أنه يكلمهم كلاماً يشق عليهم، لا كلام خير[1]. وقد ذكر أبو حيان قول الزمخشري السابق بصيغة التمريض: "وقيل: ولا يكلمهم الله تعريضاً بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه"[2].

فالحرف (لا) في (لا يكلمهم) عند الزمخشري وأبي حيان دلّ على أنه ليس تنصيصاً في جنس الكلام، إنما كان في نفي الكلام الذي فيه رحمة ورأفة، أمّا كلام الغضب والعتاب واللوم الشديد على ما كان من الكفار، فلا تدل عليه (لا) في الآية. ونجد هذا في آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[الأنعام: 30] وأخبر سبحانه عن المجرمين أنه يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾[المدثر: 42-44]. فالكافر يسأل سؤال تقريع وتوبيخ؛ إذلالاً له وتحقيراً.

ثانيا: ما النافية

حرف تعددت مواضعه في اللغة، وقد اختلف أهلها في هذه المواضع. وذكر الزجاجي أن لها تسعة مواضع[3]، وعند الرماني عشرة مواضع[4]، وعند ابن فارس فهي ثمانية[5]، أمّا عند الهروي فقد جعلها اثني عشر موضعا[6]. وهو حرف مشترك؛ يكون اسماً وحرفاً. فإذا كان اسماً فله مواضع يكون فيها استفهاماً، وشرطاً، وتعجباً، وخبراً بمعنى الذي، ونكرة موصوفة. وإذا كان حرفاً فيكون نفياً، وزائداً، ومع الفعل في تأويل المصدر[7]. وهو قسمان: عامل وغير عامل.

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج667/1.

[2] المصدر السابق، ج667/1.

[3] ينظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي (ت: 337هـ)، الجمل، اعتنى به: الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل -الجزائر، 1926م، ص310-311.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص59-63.

[5] ينظر: ابن فارس، الصاحبي، ص125-126.

[6] الهروي، الأزهية، ص71.

[7] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص59-62، والمرادي، الجنى الداني، ص322.

أمّا العاملة فهي التي ترفع الاسم، وتنصب الخبر، وتجري مجرى ليس، وهذا مذهب أهل الحجاز ونجد؛ لذا تسمى الحجازية، وجاء التنزيل بها، كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[يوسف:31][1]. قال سيبويه: "وأمّا أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذا كان معناها كمعناها"[2]. أمّا مذهب أهل تميم فيجرونها مجرى أمّا وهل، فهم لا يعملونها في شيء، والاسمان بعدها بالرفع على الابتداء والخبر[3].

وعملت عند أهل الحجاز؛ لأنها شابهت ليس في نفي الحال والاستقبال، وفي دخولها على الجملة الاسمية[4]، ولدخول الباء في خبرها كما تدخل في خبر ليس، نحو: ما زيد بقائم، كما تقول: ليس زيد بقائم[5]، وتدخل الباء في خبر (ما) عند أهل تميم كذلك[6].

وشروط عملها: ألا يتقدم خبرها على اسمها، وألا ينتقض نفيها ب (إلا) وإلا بطل عملها، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[القمر: 50] وألا يزاد بعدها (إنْ) الزائدة؛ لشبهها بالنافية، ودخول النفي على النفي إيجاب، فإن زيدت بطل عملها كقولك: ما إنْ زيدٌ قائمٌ، وألا تؤكد ب(ما)، نحو: ما زيد ذاهب، وألا يتقدم معمول خبرها على اسمها، فإن تقدم بطل عملها، نحو: ما أمر الله أنا عاص، إلا أن يكون معمول الخبر، ظرفاً أو مجروراً، فيصح، نحو: ما بك أنا منتصراً[7].

أمّا (ما) غير العاملة فهي الداخلة على الأفعال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة: 272][8]. وإذا دخلت على الماضي بقي على مضيه، وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال.

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج428/2، والمالقي، رصف المباني، ص337، وأبو حيان، الارتشاف، ج1197/3، والمرادي، الجنى الداني، ص322.

[2] سيبويه، الكتاب، ج57/1.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج57/1، وأبو حيان، الارتشاف، ج1197/3.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص61، والمرادي، الجنى الداني، ص322-323.

[5] ينظر: المالقي، رصف المباني، ص378.

[6] ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج42/2.

[7] ينظر: المبرد، المقتضب، ج189/4، المالقي، رصف المباني، ص378، وأبو حيان، الارتشاف، ج1197/3-1201، والمرادي، الجنى الداني، ص323-328، والغلاييني، جامع الدروس العربية، ج292/2.

[8] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص329، وابن هشام، المغني، ص382.

يقول سيبويه: "وأمّا (ما) فهي نفي لقوله: هو يفعل، إذا كان في حال الفعل، فتقول: ما يفعل"[1]. وتخلص المضارع للاستقبال إذا وجدت قرينة تدل على الاستقبال، نحو: ما يعمل زيد غداً[2]. ومن أحكامها كذلك أن لها الصدارة في الكلام. وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[آل عمران: 144][3].

أمّا تكرارها في سورة البقرة فقد كان ستاً وثلاثين مرة[4]. تحدث فيها الزمخشري وأبو حيان عن دلالتها على النفي، وهاؤم تمثيل لذلك.

الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾[البقرة: 114].

تبين الآية أنه لا أظلم ممن يمنع ذكر الله في بيوته، وهؤلاء لا ينبغي أن يدخلوا المساجد إلا وهم في حال الخوف من المؤمنين أن يقتلوهم؛ فضلاً عن أن تكون لهم ولاية يمنعوا بها المساجد من أن يذكر فيها اسمه.

يقول الزمخشري: "ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله (إلا خائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها، ويمنعوا المؤمنين منها، والمعنى: ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم"[5]. وقد أكد هذا المعنى أبو حيان فقال: "أولئك ما ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا وهم خائفون من الله، وجلون من عقابه، فكيف لهم أن يتلبسوا بمنعها من ذكر الله والسعي في تخريبها"[6]. فالزمخشري وأبو حيان ذكرا دلالة حرف(ما) على نفي الابتغاء.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج221/4، وينظر: المبرد، المقتضب، ج188/4، والمالقي، رصف المباني، ص380.

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص329، وابن هشام، المغني، ص382، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص432.

[3] الحمد والزعبي، المعجم الوافي، ص303.

[4] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج969/2-973.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج169/1.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج528/1.

وقد ذكر أبو حيان معنى آخر، وهو أن الأوْلى أن يدخلوا مساجد الله خاضعين خاشعين لله تعالى إذ هو بيت الله أمر بالمثول فيه بين يديه للعبادة، أو ما كان لهم في حكم الله؛ أي: إن الله قد حكم وكتب في اللوح المحفوظ أنه ينصر المؤمنين حتى لا يدخل المساجد الكفار إلا وهم خائفون[1].

فالواجب على أهل الإسلام أن تكون لهم من الهيبة ما يمنع أهل الكفر من أن تكون لهم ولاية على المساجد، أيا كانت هذه المساجد، يمنعون أولياءها من ذكر الله فيها، وفي هذا نهي للمؤمنين عن التباطؤ عن مجاهدة الكفار ومقاتلتهم، حتى يلحقهم الصغار؛ فلا يدخلوا أي مسجد إلا وهم في حال الخوف من صولة المؤمنين، خاصة أن الآية جاءت بصيغة الاستثناء المفرغ من جميع الأحوال إلا هذه الحال، وليس كما هو حالنا اليوم من منعنا من أقصانا، وتدنيسه من أهل الرجس والوثن.

الآية الثانية: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[البقرة: 57].

تحدث أبو حيان عن قبائح يهود التي فعلوها، فلم يصل إلى الله منها نقص أو ضرر، وإنما ضرر قبائحهم على أنفسهم، والمعنى: وما ظلمونا بقولهم: أرنا الله جهرة، بل ظلموا أنفسهم بما أصابهم بقولهم هذا من عذاب الصاعقة، وكذلك: ما ظلمونا بكفر النعم، بل ظلموا أنفسهم بحلول النقم، ونفي وقوع ظلم منهم لله تعالى بعبادة العجل، بل ظلموا أنفسهم بقتال بعضهم بعضاً. فقوله تعالى: (وما ظلمونا) جملة منفية تدل على أن ما وقع منهم من تلك القبائح لم يصل إلينا بذلك نقص، ولا ضرر، بل وبال تلك القبائح راجع إلى أنفسهم، ومختص بهم[2]. وكان الزمخشري قد قدر محذوفاً عند هذه الآية: "(وما ظلمونا) يعني: فظلموا بأن كفروا هذه النعم، وما ظلمونا، فاختصر الكلام بحذفه؛ لدلالة (وما ظلمونا) عليه"[3].

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج528/1.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج375/1-376.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج137/1.

وقد اعترض أبو حيان على هذا التقدير؛ "لأنه قد صدر منهم ارتكاب قبائح من اتخاذ العجل إلها، ومن سؤال رؤية الله على سبيل التعنت، وغير ذلك مما لم يقص هنا"[1].

وتقدير محذوف يصار إليه حين تتعذر صحة السياق دونه، أمّا إذا صح السياق دون التقدير؛ فلا يصار إليه، وهو الأَوْلى وهنا استغنى السياق عن التقدير، فلا حاجة إليه.

بقي أن يذكر الباحث ما يتعلق ب (إنْ) النافية، فقد وردت مرة واحدة في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة: 78]. ولم يتحدث الزمخشري عن هذا الحرف في هذه الآية بشيء[2]. أمّا أبو حيان فقد تحدث عنه من الناحية النحوية لا الدلالية، فذكر أنه لم يعمل عمل ما الحجازية، ويدخل على المبتدأ أو الخبر، والمبتدأ في الآية الضمير (هم)، والخبر (إلا يظنون)[3]. لأجل هذا لم يفرد هذا الحرف بمطلب خاص به.

المطلب الثاني: حروف الاستفهام

الاستفهام هو أحد فروع الكلام الإنشائي الطلبي الذي يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم. والاستفهام من فهم، وفهمت الشيء: علمته، وعقلته وعرفته، والفهم: معرفتك الشيء بالقلب، واستفهمه: سأله أن يُفْهِمَه، ورجل فَهِم: سريع الفهم[4]. وحقيقة الاستفهام: "طلب الفهم"[5]، والسين للطلب. والفهم: "تصور المعنى من لفظ المخاطب"[6]. فالاستفهام هو طلب العلم بما لم يكن حاصلا في ذهن المستفهِم، (المتكلم)، مما عند المخاطب بإحدى أدواته.

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج376/1.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، 149-150.

[3] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج442/1-443.

[4] ينظر: الجوهري، الصحاح، ج2005/5، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج338/4، وابن منظور، لسان العرب، ج459/12.

[5] السيوطي، الإتقان، ج167/3.

[6] الجرجاني، التعريفات، ج169/1.

والاستفهام: "هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[1]. والتصور يعني: "إدراك المفرد، أي: معنى الماهية دون الحكم عليها بنفي أو إثبات، عكسه التصديق"[2].

والتصور يعني: "إدراك المفرد، أي: تعيينه"[3]، تقول: أأنت المسافر أم أخوك؟ فالمستفهِم يعرف النسبة التي تضمنها الكلام، وهو السفر، لكنه يتردد بين المخاطب وأخيه، ويطلب تعيين أيهما الذي سافر، فالجواب يكون هنا بالتعيين، وهذا هو التصور. وفي التصديق تقول: أيصدأ الذهب؟ فالمتكلم متردد بين ثبوت الصدأ للذهب ونفيه عنه؛ لذا يطلب معرفة النسبة هذه، ويكون الجواب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي[4].

أدوات الاستفهام: تنقسم إلى أسماء، وهي: من، ما، كيف، كم، وظروف، وهي: أين، أنّى، متى، أيٌّ حين، أيان، وحروف، وهي: الهمزة، وأم، وهل [5]. وعند الزمخشري حرفان هما: الهمزة، وهل[6].

وأدوات الاستفهام منها ما يختص بطلب التصديق وهي (هل)، ومنها ما يختص بطلب التصور وهي باقي الأدوات، ما عدا الهمزة التي تختص بطلب التصور والتصديق[7]؛ لهذا كانت أصل الباب.

حرف همزة الاستفهام

حرف مهمل، يدخل على الجملة الاسمية والفعلية[8]، وهي أم الباب؛ لذا فقد اختصت بأحكام، منها: جواز حذفها سواء تقدمت على (أم) أم لم تتقدم، وتمام التصدير بتقديمها على حروف الفاء والواو وثم العاطفة، وترد للتصور وللتصديق، وتدخل على الإثبات، كما تدخل على النفي[9].

---

[1] الجرجاني، التعريفات، ج18/1.

[2] عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ)، بمساعدة فريق العمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، ج1333/2.

[3] مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ، 1983م، ج1/ص308.

[4] ينظر: الجارم، علي، وأمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ص192-193.

[5] ينظر: أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، ص267.

[6] ينظر: الزمخشري، المفصل، ص437، والغلاييني، جامع الدروس العربية، ج266/3.

[7] ينظر: ابن هشام، المغني، ص42.

[8] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص30، وبسيوني، معجم الأدوات النحوية الهمزة، ص27.

[9] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص30-31، وابن هشام، المغني، ص41-43، ويعقوب، موسوعة الحروف، ص34.

وحذفها كما قال المتنبي:

أَحْيَـا، وَأَيْسَـرُ مـا قـاسَـيـتُ مـا قَتَلا وَالْبَيْنُ جـارَ على ضَـعْفِي ومـا عَـدَلا[1]

أي: "أأحيا" حذفت همزة الاستفهام[2]. وتقدمها على الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[يوسف: 109]، وتقدمها على الواو كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾[الأعراف: 100]، وتقدمها على (ثم) كقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[يونس: 51]، ودخولها على الإثبات كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾[البقرة: 6]، وعلى النفي كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[يس: 60].

ومن أحكامها مع (أم)، أن (أم) إن جاءت بعد همزة التصور فهي المتصلة؛ فيكون ما بعدها داخلاً في حيز الاستفهام الذي قبلها وقد يستغنى عن ذكر المعادل، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[الأنبياء: 62]. أمّا إذا جاءت أم بعد همزة التصديق فهي المنقطعة بمعنى بل الانتقالية[3].

ومن أحكامها كذلك أن المسؤول عنه يليها مباشرة، كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[الزمر: 64] فالإنكار على عبادة غير الله تعالى، وليس على العبادة نفسها؛ لأن عبادة الله تعالى هي الواجبة دون عبادة غيره.

وتخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى[4]، ومنها: **التسوية**، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[المنافقون: 6]، وتقع همزة التسوية بعد "ما أبالي" و "ما أدري".

---

[1] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (ت: 354هـ)، ديوان المتنبي، دار بيروت –بيروت، 1403هـ، 1983، ص17.

[2] ينظر: ابن هشام، المغني، ص41.

[3] ينظر: بسيوني، معجم الأدوات النحوية، ص29.

[4] ينظر: الرماني، معاني الحروف، ص1–2، والمرادي، الجنى الداني، ص32–33، وابن هشام، المغني، ص44–46.

وتأتي **للإنكار الإبطالي**، أي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدّعيه كاذب، كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[الصافات: 149]، وتكون **للتوبيخ والتقرير**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[الشعراء: 18]، وتدل على **التهكم**، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[هود: 87]، وتدل كذلك على **الاستبطاء**، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد: 16]، **والأمر**، كقوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[آل عمران: 20]، أي: أسلموا، **والتهديد**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المرسلات: 16]. ومن دلالاتها: **التعجب**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[الفرقان: 45]، وترد **معاقبة حرف القسم**، أي: عوض منه، نحو: الله لأفعلن[1].

وقد وردت همزة الاستفهام خمسا وعشرين مرة في سورة البقرة[2]. وقد جاءت عند الزمخشري وأبي حيان على معاني الإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعجيب، والتهكم، والاستهزاء. والتمثيل من الآيات يبين ذلك.

الآية الأولى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 44].

تتحدث الآية عن الذي يأمر الناس بالخير، ولا يأتيه، وينهى عن الشر، ويأتيه، فالآية تنكر على دالّ الناس على الخير، ناسياً نفسه، وكأنه لا عقل له. وقد ورد في الآية همزتان (أتأمرون) و(أفلا تعقلون).

يقول الزمخشري: "الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم... (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم، بمعنى: أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول؛ لأن العقول تأباه وتدفعه، نحو: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: 67]"[3].

---

[1] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج171/1.

[2] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج75/1.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج129/1.

ولم يبتعد أبو حيان عن دلالة الهمزة على التوبيخ في هذه الآية، فقد وافق الزمخشري في ذلك حيث قال: "المعنى الإنكار عليهم، وتوبيخهم على أن يأمر الشخص بخير ويترك نفسه، ونظيره في النهي قول أبي الأسود:

لا تَـنْـهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتِـيَ مِـثـلَـه عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـتَ عـظـيـمُ[1]

... فيقبح في العقول أن يأمر الإنسان بخير وهو لا يأتيه، وأن ينهى عن سوء وهو يفعله"[2].

فالآية وإن كانت تتحدث عن بني إسرائيل إلا أن فيها إنكار على كل من أمر غيره بالخير، ونسي نفسه، فهذا مما لا يقتضيه عقل عاقل، ومن فعل ذلك فقد استحق التوبيخ والتقريع وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[الصف: 2-3]. وجاء في صحيح البخاري قول النبي ﷺ: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار؛ فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه"[3].

ومن كانت هذه عقوبته لمخالفة فعله قوله؛ فقد استوجب التقريع والتوبيخ العظيم، وهذا حال يدعو إلى التعجيب. فهذا الذي وقع، وما كان ينبغي أن يقع، صاحبه ملوم عليه؛ لأن العقل يقتضي أن يأمروا أنفسهم بالبر أولا؛ إنجاء لها من النار، ثم يأمروا غيرهم. وهذا مستفاد من همزة (أتأمرون) و(أفلا تعقلون).

---

[1] قائل البيت: المتوكل الليثي، ينظر: المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت: 384هـ)، معجم الشعراء، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2، 1402هـ، 1982م، ص410.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج1/338-339.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق -باب صفة النار، رقم الحديث (3267)، ج4/121.

الآية الثانية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[البقرة: 170].

تناولت الآية التقليد الأعمى، وقد نعت على الذي لا يعمل عقله، متبعاً ما وجد عليه غيره من الناس. وجاءت فيها همزة الاستفهام (أولو) إنكارا على هذا الصنف من الناس.

يقول الزمخشري: "لا ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون... والهمزة بمعنى الرد والتعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين، ولا يهتدون للصواب"[1]. وقال أبو حيان: "الهمزة للاستفهام المصحوب بالتوبيخ، والإنكار، والتعجيب من حالهم"[2].
جاءت الهمزة لإنكار واقع معاش في كل جيل ضعيف، لا يقوى على الاستدلال لما ينفعه في دنياه وآخرته، فحين ينادى عليه باتباع شرع الله الذي فيه من العزة والرفعة، والسؤدد، والرشاد، تولى معرضاً عن ذلك، متبعا ما وجد عليه آباءه، فهو جيل يرغب عن شرع الله ودينه، رغبة في شرعة آبائه، ولو كان حال آبائه لا عقل لهم ولا يهتدون.

فغاية القبح والفساد أن تتبع كل ناعق حتى في حالة عدم تعقله أي شيء، وعدم اهتدائه لأي شيء، وهذا الأمر القبيح الفاسد المستنكر، فيه من الدنو ما لم تفعله الأنعام التي تهتدي لما ينفعها من مأكل ومشرب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[الأعراف: 179]؛ لهذا أبرزهم الله تعالى في هيئة الغائب (وإذا قيل لهم) تعجيبا من حالهم، وتهوينا لهم، وصورهم صورة البهيمة التي لا تدرك كما في قوله سبحانه في الآية التي تلي الآية موضع الدراسة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي

[1] الزمخشري، الكشاف، ج200/1
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج655/1.

يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[البقرة: 171]. ومن كانت هذه حاله فهو حقيق بالتوبيخ والتقريع، وأرى في الهمزة معنى التهكم بهم، والتحقير لهم، وهذه حالة تستحق التعجب منها؛ لأنه لا أضل ممن يسْلم عقله لمن لا عقل له.

أمّا فيما يتعلق بحرف الاستفهام (هل) فقد ورد مرتين في سورة البقرة[1]. والآيتان اللتان ورد فيهما هذا الحرف هما: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[البقرة: 210]، وآية ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾[البقرة: 246].

وقد تحدث أبو حيان عن دلالة (هل) في الآيتين، في حين تحدث الزمخشري عن دلالة الحرف في الثانية. فقد ذكر أبو حيان[2] أن (هل) في الآية الأولى أفادت النفي، أي: ما ينظرون، وهو كثير الاستعمال في القرآن، والذي دل على النفي مجيء أداة الاستثناء(إلا)، وهو استثناء مفرغ، واستدل على هذه الآية بآيتي: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾[سبأ: 17]، و﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الأنعام: 47]، وبالشعر من قول دريد بن الصمة:

وَهَــل أَنَــا إلا مــن غَــزِيَّــةَ إنْ غَــوَتْ   غَـوِيـتُ وإنْ تَـرْشُــــدْ غَـزِيّـةُ أَرْشُـــــدِ[3]

ولم يكن للزمخشري بيان لدلالة (هل) في هذه الآية[4].

---

[1] ينظر: الشريف، معجم حروف المعاني، ج1141/3.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج132/2.

[3] ابن الصمة، دريد، ديوان دريد بن الصمة (ت:8هـ) . تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف–القاهرة، ص62، وقد مات على شركه.

[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج237/1.

أمّا بالنسبة للآية الثانية فهي تتحدث عن ملأ من بني إسرائيل ذاقوا ويلات معاصيهم بالقتل والسبي والإخراج من الديار على يد أعدائهم، فأخذتهم الأنفة والحمية؛ فطلبوا من نبي لهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه، فسألهم نبيهم مستفهما ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾[البقرة: 246].

وقد اتفق الزمخشري وأبو حيان على دلالة (هل) في الآية على التقرير، فأراد نبيهم أن يستثبت ما طلبوه من الجهاد، وأن يتعرف على سريرتهم، فاستفهم عن مقاربتهم ترك القتال إن كتب عليهم، كأنه أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا، فقد توقع جبنهم، ونكوصهم عن الجهاد، فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون. فأراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أن ما ظنه كائن منهم، وقد كان كما توقع[1].

أمّا بالنسبة لحرف (أم) فهو مختلف في دلالته على الاستفهام، وسبقت دراسته كحرف عطف؛ لذا لم يفرد بالدراسة هنا.

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج272/1، وأبو حيان، البحر المحيط، ج263/2-264.

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، ثم الحمد لله الذي وفق وأعان على إتمام هذه الدراسة والتي توصلت إلى نتائج يمكن الإشارة إلى أبرزها:

1. أقسام الكلمة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، وهو مختلف عن الحرف الذي تبنى منه الكلمة، وليس له معنى.
2. حروف المعاني تدل على معنى في غيرها، لا في ذاتها، ولها أهمية كبيرة في تركيب الكلام، واختصار جمله، وفهم معانيه، وتذوق بلاغته، لأجل هذا اعتنى بها العلماء، وصنفوا فيها المصنفات.
3. أبرز موضوعات سورة البقرة: موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية، ومقابلتهم لها بالجحود والنكران والكفر، وموضوع إعداد الجيل الإسلامي الذي يحمل أمانة الدعوة خلفا لليهود الذين فرطوا فيها.
4. يغلب على تفسير الزمخشري علم البلاغة، وعلى تفسير أبي حيان علم النحو.
5. أبو حيان أكثر توسعاً في الحديث عن حروف المعاني في تفسيره من الزمخشري في تفسيره، ومن عادته، غير المنضبطة، أن يذكر معاني الحرف عند أول ورود له في السورة.
6. موقف أبي حيان من الزمخشري في حروف المعاني: تارة يوافقه فيها، وتارة يعارضه فيها، ويحالفه الصواب أحياناً، وهو الأقل، وأحياناً يجانبه الصواب، وهو الأكثر، وتارة يعارضه، ثم يعود إلى قوله.
7. موقف أبي حيان حين نقله كلام الزمخشري: إمّا ينسبه إليه صراحة، وإمّا ينسبه إليه بصيغة التمريض، وإمّا يذكره دون أية إشارة للزمخشري.
8. للزمخشري أثر في حروف المعاني من حيث الجدة في بعض معانيها التي لم يسبق إليها كالفاء الفصيحة، وثم للاستبعاد والتراخي الرتبي.
9. معاني الحروف عند الزمخشري وأبي حيان:

أ. الداخلة على الأسماء: حرفا إنّ، وأنّ أفادا التوكيد والتعليل، وحرف لكنّ الاستدراك، وحرف (كأنّ) التشبيه، وحرف (لعل) الترجي والتعليل.

أمّا حروف الجر: فقد أفاد حرف (عن) السببية، والمجاوزة، وبمعنى الباء، وحرف (على) الاستعلاء، والإلصاق، والظرفية، والمصاحبة، والمجاوزة، وبمعنى اللام. وحرف (إلى) انتهاء الغاية، والمصاحبة، وبمعنى الباء، وعلى، واللام. أمّا حرف (الباء) فيعني الإلصاق، والتعدية، والتقوية، والسببية، والمقابلة، والمصاحبة، والاستعانة، والغاية، والظرفية، والاستعلاء، وزائد للتوكيد. وحرف (لام الجر) أفاد الاختصاص، والتبليغ، والسببية، والملك، والتعدية، والتبيين، وحرف (الكاف) التشبيه والتعليل، والزيادة، و(حتى) تدور بين الغائية، والتعليل عندهما.

وفيما يتعلق بحرف النداء (يا) فدارت معانيها حول التنبيه، والتأكيد، والتحنن، والتشريف، والتخصيص، والحث. وحرف (ألا) دلّ على التنبيه والاستفتاح.

ب. الحروف الداخلة على الأفعال: حرف (لن) أفاد التوكيد، وحرف (لم) إفاد النفي فقط حين دخول همزة الاستفهام عليها، أمّا حرف (لو) فقد دلّ على الشرطية، والمصدرية، والتمني. وحرف (قد) التوقع والتحقيق.

ج. الحروف الداخلة على الأسماء والأفعال: معاني (ثم) التراخي، والتفاوت، والاستبعاد، والترتيب، وحرف (أو) أفاد التفصيل، والتخيير، والتنويع، والشك، والإباحة. وجاءت همزة الاستفهام بمعاني الإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعجيب، والتهكم، والاستهزاء.

توصيات

بعد إتمام هذه الأطروحة يوصي الباحث بعمل دراسات في المحاور الآتية:

1. حروف المعاني عند الزمخشري دراسة دلالية.
2. تعقبات أبي حيان على الزمخشري في حروف المعاني.
3. الاتفاق والاختلاف بين الزمخشري وأبي حيان في دلالات حروف المعاني.
4. الدلالات المستجدة لحروف المعاني عند الزمخشري في كشافه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت:723هـ)، **متن الآجرومية**، دار الصميعي، 1419هـ.

الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني، **معجم الأفعال المتعدية بحرف**، دار العلم للملايين –بيروت، ط1/1979م.

الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، **معاني القرآن**، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ، 1990م.

الإربلي، علاء الدين بن علي بن بدر الدين، **جواهر الأدب في معرفة كلام العرب**، مطبعة وادي النيل –مصر.

الأزهري، محمد بن أحمد (ت:370هـ)، **تهذيب اللغة**، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 2001م.

الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد (ت: 1417هـ)، **الموجز في قواعد اللغة العربية**، دار الفكر –بيروت، 2003م.

الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت:1420هـ)، **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، دار باوزير –جدة، ط1، 1424هـ، 2003م.

الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المكتب الإسلامي.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1415هـ.

امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي (ت: 545م)، **ديوان امرئ القيس**، تح: عبد الرحمن المصطاوى، دار المعرفة –بيروت، ط2، 1425هـ، 2004م.

أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، **صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت: 557هـ)، **أسرار العربية**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ، 1999م.

أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت: 577هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف للنحويين: البصريين والكوفيين**، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ، 2003م.

بسيوني، سمير، **معجم الأدوات النحوية دراسة أسلوبية**، مكتبة الإيمان –المنصورة، ط1، 1424هـ.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ، 1997م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية –بيروت، 1998م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تح: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ.

أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ)، **الكليات**، تح: عدنان درويش –محمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية –بيروت، 1415هـ،1995م.

بكوش، يوسف، **حروف المعاني**، دار هومة –الجزائر، 2004م.

بلقنيشي، علي، **الفاء الفصيحة دلالاتها النفسية وقيمها الحجاجية**، تيارت –الجزائر، جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، 2021م.

البناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت: 1117هـ)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية–لبنان، ط3، 1427هـ، 2006م.

، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1418هـ.

ابن تغري، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت:874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب –مصر.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمران (ت:793هـ)، **شرح المقاصد في علم الكلام**، دار المعارف النعمانية باكستان، 1401هـ،1981م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمران (ت:793هـ)، **مختصر المعاني**، دار الفكر، ط1، 1411هـ.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، **التعريفات**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ–1983م.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط1، 1416هـ.

الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس، (ت:50هـ)، **ديوان النابغة الجعدي**، تح: واضح الصمد، دار صادر –بيروت، ط1، 1998م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، عالم الكتب –بيروت، تح: محمد علي النجار.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت:392هـ)، **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت:392هـ)، **اللمع في العربية**، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية –الكويت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ، 1999م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تح: عبد الرحمن المهدي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1422هـ.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علوم الوجوه والنظائر**، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت:393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت، ط4، 1407هـ–1987م.

الجويني: مصطفى الصاوي، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**، دار المعارف –القاهرة، ط3.

ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس (ت:646هـ)، **كافية ابن الحاجب**، مكتبة البشرى – كراتشي، ط1، 1429هـ، 2008م.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ (ت: 357هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1414–1993.

الحديثي، خديجة، **أبو حيان النحوي**، مكتبة النهضة –بغداد، 1385هـ، 1966م.

حسن، عباس (ت: 1398هـ)، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط15.

الحكمي، حافظ بن أحمد (ت: 1342هـ)، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تح: عمر بن محمود، دار ابن القيم –الدمام. ط1، 1410هـ، 1990م.

الحمد، علي توفيق، والزعبي، يوسف جميل، **المعجم الوافي في أدوات النحو العربي**، دار الأمل –إربد، الأردن، ط2، 1414هـ، 1993م.

الحملاوي، أحمد بن محمد (ت: 1351هـ)، **شذا العرف في فن الصرف**، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد –الرياض.

الحميدي، نشوان بن سعيد (ت:573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، دار الفكر –بيروت –دمشق، ط1، 1420هـ–1999م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: 745هـ)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تح: رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط12، 1418هـ، 1998م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، (ت:745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، 1420هـ.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت:745هـ)، **النهر الماد من البحر المحيط**، تح: عمر الأسعد، دار الجيل –بيروت، ط1، 1416هـ، 1995م.

الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 714هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1415هـ.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، **إعراب ثلاثين سورة من القران الكريم**، دار مكتبة الهلال، 1985م.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، **الحجة في القراءات السبع**، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق–بيروت، ط4، 1401هـ.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، **القراءات الشاذة**، المطبعة الرحمانية –مصر، ط1، 1934م.

الخراط، أحمد بن محمد، **المجتبى من مشكل إعراب القرآن**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ.

الخضري محمد الأمين، **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، مكتبة وهبة –القاهرة، ط2، 1437هـ، 2015م.

الخضري، محمد الأمين، **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم**، مكتبة وهبة –القاهرة، ط2، 1427هـ، 2007م.

ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، (ت:776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العملية –بيروت، ط1، 1424هـ.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت:808هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر –بيروت، ط2، 1408هـ.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط1، 1994م.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص –سورية، (دار اليمامة –دمشق –بيروت)، (دار ابن كثير –دمشق –بيروت)، ط4، 1415هـ.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 748هـ)، **تلخيص المستدرك**، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1340هـ.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث –القاهرة، 1427هـ،2006م.

الذهبي: محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة –القاهرة، ط8، 1424هـ، 2003م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط3، 1420هـ.

راشد، صادق خليفة، **دور الحرف في أداء معنى الجملة**، منشورات جامعة قاز –يونس –بنغازي، 1996م.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد (ت: 502هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب –جامعة طنطا، ط1، 1420هـ، 1999م.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –بيروت، ط1، 1412هـ.

ابن أبي ربيعة، عمر (ت:93هـ)، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم –بيروت.

الرضي الأسترأباذي، محمد بن الحسن (ت: 686هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تح: محمد نور الحسن، وآخرون، دار الكتب العلمية –بيروت، 1395هـ، 1975م.

الرضي الأسترأباذي، محمد بن الحسن، **شرح الكافية**، عالم الكتب، ط1، 1420هـ، 2000م.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 384هـ)، **معاني الحروف**، تح: عرفان بن سليم العشى حسونة، المكتبة العصرية –بيروت، 1435هـ، 2014م.

الرماني، علي بن عيسى بن علي (ت: 384هـ)، **رسالة منازل الحروف**، تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر –عمان.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهيل (ت:311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تح: عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1408هـ.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: 337هـ)، **الإيضاح في علل النحو**، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: 337هـ)، **الجمل**، اعتنى به: الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل –الجزائر، 1926م.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت:337هـ)، **حروف المعاني والصفات**، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1984م.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت: 337هـ)، **اللامات**، تح: مازن مبارك، دار الفكر –دمشق، ط2، 1405هـ، 1985م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: 794هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية –بيروت، 1421هـ، 2000م.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، 1391هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت538هـ)، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1419هـ–1998م.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ)، **الأنموذج في النحو**، اعتنى به: سامي بن محمد المنصور، ط1، 1420هـ، 1999م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت:538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الحديث –القاهرة، 1433هـ، 2012م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت:538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تح: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت:538هت)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال –بيروت، ط1، 1993م.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت:403هـ)، **حجة القراءات**، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

السامرائي: فاضل صالح، **الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري**، دار النذير للطباعة والنشر –بغداد، 1971.

السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، دار الفكر –عمان، ط1، 1420، 2000.

سبحاني، محمد عناية الله أسد، **البرهان في نظام القرآن**، في الفاتحة والبقرة وآل عمران، دار عمار –عمان، ط1، 1426هـ، 2005م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت:771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2، 1413هـ.

ابن السراج، محمد بن السري بن سهل النحوي (ت:316هـ)، **الأصول في النحو**، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد(ت:626هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت: 375هـ)، **بحر العلوم**، تح: محمود مطرجي، دار الفكر –بيروت.

السمعاني، أبو سعد، **الأنساب**، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط1، 1408هـ.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت:489هـ)، **تفسير القرآن**، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن –الرياض، ط1، 1418هـ،1997م.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت:581هـ)، **نتائج الفكر في النحو**، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م.

سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، (ت:180هـ)، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

سيد قطب: إبراهيم حسين الشاري (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق –بيروت –القاهرة، ط17، 1412هـ.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ) **المخصص**، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م.

السيرافي، الحسن بن عبد الله بن مرزبان (ت: 368هـ)، **شرح كتاب سيبويه**، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 1974م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، **أسرار ترتيب القرآن**، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام –القاهرة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1408هـ–1988م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر.

ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت:542هـ)، **أمالي ابن الشجري**، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ، 1991م.

الشريف، محمد حسن، **معجم حروف المعاني في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م.

شكري، أحمد خالد، **أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه**، دار عمان، ط1، 1428هـ، 2007م.

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر (ت: 1069هـ)، **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، دار صادر –بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت:1250هـ)، **البدر الطالع بمحاسن القرن السابع**، دار المعرفة –بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت:951هـ)، **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط11419هـ، 1999م.

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت:476هـ)، **اللمع في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ، 2003م.

الصافي، محمود بن عبد الرحيم (ت:1376هـ)، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد –دمشق، مؤسسة الإيمان –بيروت، ط4، 1418هـ.

الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط24، 2000.

صدر الدين البصري، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت: 659هـ)، **الحماسة البصرية**، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب –بيروت.

الصعيدي، عبد المتعال (ت:1391هـ)، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ، 2005م.

الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت: 764هـ)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر –بيروت، دمشق، ط1، 1418هـ، 1998م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ)، **نكث الهميان في نكت العميان**، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1428هـ–2007م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث –بيروت، 1420هـ–2000م.

ابن الصمة، دريد، **ديوان دريد بن الصمة** (ت:8هـ) . تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف –القاهرة.

الطائي، أبو تميم حبيب بن أوس (ت:231هـ)، **ديوان الحماسة**، دار الكتب –بيروت، ط1، 1418هـ.

الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت:310هـ) **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، **التفسير والبيان لأحكام القرآن**، مكتبة دار المنهاج –الرياض، ط1، 1438هـ.

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، دار سحنون – تونس، 1997م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث –القاهرة.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ)، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى –القاهرة، 1381هـ

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي (ت: 1224هـ)، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1423هـ، 2002م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: 852هـ)، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) –ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط1، 1415هـ–1994م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت:852هـ)، **الدرر الكامنة في الأعيان الثامنة**، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية –حيدر أباد، ط2، 1392هـ.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة –بيروت، 1379هـ.

ابن عصفور، أبو الحسن علي الإشبيلي (ت:669هـ)، **شرح جمل الزجاجي**، تح: قواز الشعار، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1429هـ، 1998م.

عضيمة، محمد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، دار الحديث –القاهرة، 1425هـ.

عطا، دياب عبد الجواد، **حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي**، دار المنار –القاهرة، 1421هـ.

ابن عطية، عبد الحق بن عبد الرحمن بن تمام (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1422هـ.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت: 769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث –القاهرة، ط20، 1400هـ، 1980.

ابن عقيل، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (ت: 513هـ)، **الواضح في أصول الفقه**، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت:616هـ)، **إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: 616هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدا لله(ت:616هـ)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر –دمشق، ط1، 1416هـ، 1995م.

علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد (ت:730هـ)، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزودي**، تح: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م.

علي بن عَدْلان، بن حماد بن علي الربعي الموصلي (ت: 666هـ)، **الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب**، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1405هـ 1985م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري (ت:1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ)، بمساعدة فريق العمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م.

عمر، حسن عبد العاطي محمد، **دلالات ثم في القرآن الكريم**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج6، ع (2)، 1434هـ، 2013م.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت: 444هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث –الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م.

الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (ت: 1364هـ)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية –صيدا، بيروت، ط28، 1414هـ،1993م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: 395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت:207هـ)، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية -مصر، ط1.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت:170هـ)، **العين**، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة -بيروت، ط8، 1426هـ، 2005م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (ت: 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية -بيروت.

القاضي أبو يعلى، محمد بن حسين بن محمد بن خلف (ت:458هـ)، **العدة في أصول الفقه**، تح: أحمد بن علي سير المباركي، ط2، 1990م.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت: 684هـ)، **الاستغناء في الاستثناء**، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م.

القرطبي، محمد بن أحمد بن بكر (ت: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: هشام سمير البخاري، دار الكتب العلمية -الرياض،1423هـ، 2003م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف(ت:646هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المكتبة العصرية -بيروت، ط1، 1424هـ.

قيس، أحمد، **الكامل في النحو والصرف والإعراب**، دار الجيل –بيروت، ط2، 1974م.

الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي(ت،504هـ)، **أحكام القرآن**، تح: موسى محمد علي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2، 1405هـ.

لوش، نور الهدى، **حروف الجر في اللغة العربية بين المصطلح والوظيفة**، المكتب الجامعي الحديث،

المالقي، أحمد بن عبد النور (ت: 702هـ)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق، ط4، 1435هـ، 2014م.

المالقي، أحمد بن عبد النور(ت:702هـ)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تح: أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية –دمشق.

ابن مالك، محمد ابن عبد الله الطائي الجياني(ت:672هـ)، **ألفية ابن مالك**، دار التعاون.

ابن مالك، محمد بن عبد الله (ت: 672هـ)، **شرح الكافية الشافية**، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط1.

والماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ)، **النكت والعيون**، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المكتبة السلفية –المدينة المنورة، ط2، 1406هـ، 1986م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت:285)، **المقتضب**، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب –بيروت، 1431هـ، 2010م.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (ت: 354هـ)، **ديوان المتنبي**، دار بيروت –بيروت، 1403هـ، 1983.

المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال (ت:479هـ)، **شرح عيون الإعراب**، تح: عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب –القاهرة، ط1، 2007م.

ابن مجاهد، أحمد بن موسى ين العباس (ت: 324هـ)، **السبعة في القراءات**، ثم: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

المخزومي، مهدي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مصطفى البابي، الحلبي وأولاده –مصر، ط2، 1377هـ.

المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (ت:749هـ)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ–2008م.

المرادي، الحسن بن قاسم (ت:749هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، 1992م

مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت: 384هـ)، **معجم الشعراء**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1402هـ، 1982م.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت:261هـ) **صحيح مسلم**، تح: مجموعة من المحققين، دار الجيل –بيروت.

مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ،

مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي(ت:150هـ)، **تفسير مقاتل بن سلمان**، تح: عبد الله محمود بن شحاتة، دار إحياء التراث –بيروت، ط1، 1423هـ.

المقري، أحمد بن محمد (ت:1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط1، 1997م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر –بيروت، ط3، 1414هـ.

أبو موسى، محمد محمد، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**، مكتبة وهبة –القاهرة، ط2، 1408هـ، 1988م.

ناصر البدر، بدر، **أبو حيان وتفسيره البحر المحيط**، مكتبة الرشد –الرياض، 1420هـ، 2000م.

النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 338هـ)، **إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ.

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (ت: 303هـ)، **المجتبى من السنن (السنن الصغرى)**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية –حلب، ط2، 1406هـ، 1986م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود(ت:710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م.

ابن نور الدين، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب(ت:820هـ)، **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، تح: جمال طلبة، ط1، 1415هـ، 1995م.

الهروي، علي بن محمد النحوي (ت: 415هـ)، **الأزهية في علم الحروف**، تح: عبد المعين الملوحي، ط2، 1413هـ،1993م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف جمال الدين (ت: 761هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: فخر الدين قباوة، دار اللباب –اسطنبول، ط3، 1440هـ، 2019م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله(ت:761هـ)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، دار الجيل –بيروت ط5، 1979م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت: 761هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفه كلام العرب**، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع –سوريا.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (ت: 761هـ)، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ.

الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر (ت:905هـ)، **شرح التصريح على التوضيح**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.

الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر (ت: 905هـ)، **موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب**، تح: عيد الكريم مجاهد، الرسالة –بيروت، ط1، 1415هـ، 1996م.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ)، **معجم البلدان**، دار الفكر –بيروت.

ابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت:643هـ)، **شرح المفصل في صنعة الإعراب**، إدارة الطبعة المنيرية – مصر.

الملاحق

ملحق (أ)

غلاف البحث المستل من الأطروحة المنشورة في المجلة الدولية للاجتهاد القضائي

عنوان البحث: حروف الجزم في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري وأبي حيان: دراسة دلالية

International Journal Of Legal Interpretative Judgement
ISSN 2748-5056
Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland

المجلة الدولية للاجتهاد القضائي
مجلة علمية دولية محكمة
العدد 09- مارس- 2023

شهادة نشر

تشهد المجلة الدولية للاجتهاد القضائي وهي دورية علمية دولية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، برلين-ألمانيا

أن: طالب دكتوراه جمال سعد أحمد إبراهيم ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

قد شارك ببحث علمي يحمل عنوان:

حروف الجزم في سورة البقرة بين تفسيري الزمخشري و أبي حيان: دراسة دلالية.

وقد تم تحكيمه و نشره ضمن العدد رقم (09) مارس 2023

إمضاء رئيس تحرير المجلة:

رئيس التحرير
د. سهيل الاحمد
المجلة الدولية للاجتهاد القضائي
INTERNATIONAL JOURNAL OF LEGAL INTERPRETATIVE

بتاريخ: 10/ 03/ 2023

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

PREPOSITION EXPLANATIONS IN SURAH– AL BAQARA BETWEEN THE ZAMAKHSHRI AND ABI HAYYAN INTERPRETATIONS (SEMANTIC STUDY)

By

Jamal Saad Ahmed Ibrahim

Supervisor

Prof. Mohammed Jawad Al-Noori

This Disseration is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Ph.D Fundamentals Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2023

PREPOSITION EXPLANATIONS IN SURAH– AL BAQARA BETWEEN THE ZAMAKHSHRI AND ABI HAYYAN INTERPRETATIONS (SEMANTIC STUDY)

By
Jamal Saad Ahmed Ibrahim
Supervisor
Prof. Mohammed Jawad Al-Noori

Abstract

This semantic study entitled "Letters of Meanings in Surat Al-Baqarah between the Interpretations of Al-Zamakhshari and Abi Hayyan" was conducted to show the prominent and obvious effect of the connotative meanings of letters, in directing the interpretation of the saurah between the two Imams who paid considerable attention to these letters in their interpretations.

The researcher used the inductive, descriptive, and analytical approaches. The study aims at clarifying what is meant by letters of meaning, indicating that these letters have no clear connotations once they are pronounced, but they signify meanings to other words. It also shows the letters of meaning related to names (letters resembling verbs, prepositions, exception letters, vocative letters, caution letters), the letters of meaning related to verbs (accusatives, apocopatives, conditional particles, future particles and expectations) and the common letters that comebine with nouns and verbs (connectives, negatives, and interrogatives).

This study of these letters was introduced in two parts: a theoretical one which defines the word letter, touching upon its meanings and clarifying some related rules, and, then, an application part in which these rules are applied to the Surah.

The study concluded that AL-Zamakhshari was a pioneer in establishing new connotative meanings that didn’t exist before for some other letters, from which other Scholars Benefited a lot. He was brief and deep in the way he expressed the connotative meaning of the letter. He is more concise and thorough than Abu Hayyan, who was incredibly detailed in his Approach. Abu Hayyan failed to get his objections to Al-Zamaksharie’s significance meanings of letters; rather, he was occasionally referring to Al-

Zamaksharie’s words. The study also showed the contradiction of Abu Hayyan in some connotative meanings of some letters.

The study recommends that further research into the letters of meanings according to Al-Zamakhshari and Abu Hayyan be done, such as the new connotations of the letters of meanings according to Al-Zamakhshari in his book of interpretation (Al-Kashaf).

Keywords: letters of meanings, Surat Al-Baqarah, Al-Zamakhshari, Abu Hayyan.